



الجمهورية الإسلامية الإيرانية

مجلس الشورى الإسلامي

١٨٠

مُعِينُ الْخَطْبَاءِ

(في جلسته الجديدة)

مُحَاضِرَاتُ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْإِخْلَاقِ

تأليف

الشيخ كاظم الزهراءى

الجزء الرابع

الإشراف العلمي

مؤسسة الأئمة

للأئمة العظماء في الجمهورية الإسلامية

الطبعة ٧٠

مُعِينُ الْخُطَبَاءِ

(فِي مُجَلَّتِهِ الْجَدِيدَةِ)

مُحَاضِرَاتُ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْإِخْلَاقِ

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة: IQ- KaPLI rda IQ - KaPLI ara

رقم تصنيف: LC: BP260.4.B34 2017

المؤلف الشخصي: البهادلي، كاظم. مؤلف.

العنوان: معين الخطباء في حلّته الجديدة: محاضرات في العقيدة والأخلاق.

بيان المسؤولية: تأليف: كاظم البهادلي.

بيانات الطبعة: الطبعة الثانية.

بيانات النشر: النجف، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤسسة

وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م.

الوصف المادي: ٥ مجلد، ٢٤ سم.

سلسلة النشر: مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية.

تبصرة بليوغرافية: يتضمن ارجاعات بليوغرافية.

مصطلح موضوعي: الخطب الدينية الإسلامية (شيعة).

مصطلح موضوعي: الوعظ والإرشاد.

مصطلح موضوعي: عقائد الشيعة الإمامية.

مصطلح موضوعي: الأخلاق الإسلامية - الشيعة الإمامية.

مصطلح موضوعي: المأتم الحسيني ومجالس العزاء.

مصطلح موضوعي: المأتم الحسيني ومجالس العزاء.

اسم هيئة إضافي: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤسسة وارث الأنبياء

لِلدراسات التخصصية في النهضة الحسينية - جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٣١٨) لسنة (٢٠١٧م)

مُعِينُ الْخَطْبَاءِ

(فِي حُلَّتِهِ الْجَدِيدَةِ)

مُحَاضِرَاتٌ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْأَخْلَاقِ

تَأليف

الشيخ كاظم الزهرايي

الجزء الرابع

الإشراف العلمي

مؤسسة إرشاد النبلاء

للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية



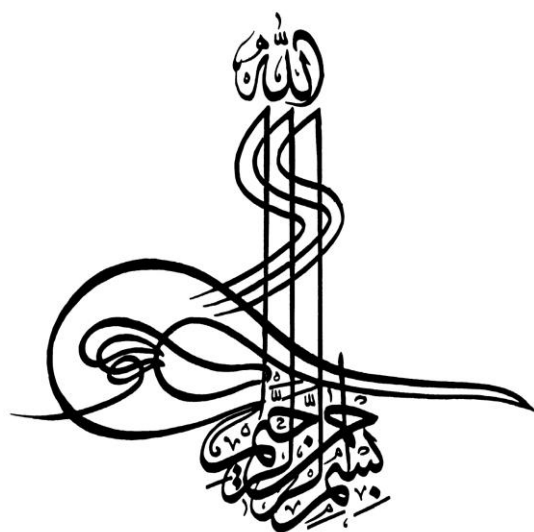
جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الثانية

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

إصدار

مؤسسة وارث الأئمة
للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية



هوية الكتاب

معين الخطباء.. في حلّته الجديدة: الجزء الرابع

الشيخ كاظم البهادلي

اللجنة العلمية في مؤسسة وارث الأنبياء

حسين المالكي

الثانية

دار المؤمن

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

١٠٠٠

• عنوان الكتاب

• المؤلف

• الإشراف العلمي

• الإخراج الفني

• الطبعة

• المطبعة

• سنة الطبع

• عدد النسخ

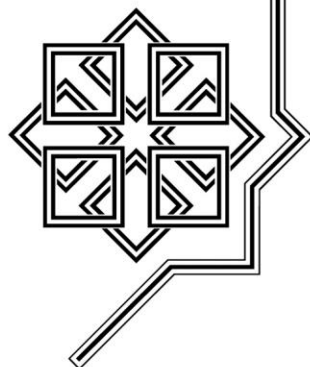
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أكرمنا بسيد أنبيائه وأشرف أصفياه، مُحَمَّدٍ والنُّجباء من عترته
وأوصيائه، حجج الله في أرضه وسماؤه، صلوات الله عليه وعليهم ما استنارت بحبيهم
قلوبُ أحبائهم، وانشرحَت بولائهم صدور أوليائه.
وبعد، هذا هو الجزء الرابع من كتابي (مُعِين الخطباء.. في حلته الجديدة).

الحاضرة الأولى



حكمة الخلق



قال الله عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١).

إنَّ الغاية من خلق السماوات والأرض، والعرش والكُرسي، وجميع المخلوقات هي المعرفة والعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)، والآيات في هذا المجال بالإضافة إلى الروايات عديدة، وهي خير دليل على عدم العبثية في الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَْعِبِينَ﴾^(٣)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٤).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وعلموا أنَّ الدنيا ليست لهم بدارٍ، فاستبدلوا؛ فإنَّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سُدىً»^(٥).

«الْعَبَثُ بالتحريك: اللعب، يُقَالُ: عبث يعبث - من باب (علم) عبثاً بالتحريك -:

لعب وعمل ما لا فائدة فيه، كَمَنْ ينزف الماء من البحر إلى البحر عابث»^(٦).

فهل من الممكن أن نُصدِّق، بأنَّ هدف الله تبارك وتعالى من خلقه هذا الخلق، بما فيه الإنسان الذي هو أكمل المخلوقات على الإطلاق، هل نُصدِّق بأنَّه خُلِقَ لأجل أن يقضي عدداً من السنين وحسب، ويمرَّ بكلِّ مراحل الحياة ومضايقاتها وأتاعها ومشاقها وابتلائتها المرّة، وليأكل مقداراً من الطعام ويشرب مقداراً من الشراب،

(١) المؤمنون: آية ١١٥.

(٢) الذاريات: آية ٥٦.

(٣) الأنبياء: آية ١٦.

(٤) القمر: آية ٤٩.

(٥) نهج البلاغة: ج ١، ص ١١٠، عنه بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٣١٤، ح ١٥.

(٦) مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٠٥.

ويلبس وينام ثم يموت، وينتهي كلّ شيء؟!

أليس هذا هو العبث بعينه، والذي هو خلاف حكمة الحكيم الصانع عزّ وجلّ؟!
أفهل نُصدّق بأنّ هذه المجرّات والكواكب المدهشة للبشر كلّها مخلوقة لأجل
غايات الإنسان الدنيئة هذه؟!

الجواب: كلا وألف كلا، إنّ خلقه هذا الخلق بجميع شراشره إنّما هو مقدّمة لعالم
أوسع من عالمنا هذا، وهذا العالم هو الذي يمتاز بالدوام الخالد، وهو الذي يُعطي
لحياتنا هذه معناها اللائق بها؛ كي لا تكون هي الغاية القصوى من الخلق، ويخلّص
هذه الدنيا من إشكال التفاهة وعدم الهدفية^(١).

والملفت للنظر أنّ فطرة البشر وعقولهم تستنكر العبثية، لذا نبّهت الآية الشريفة إلى
ذلك بهذا الإستفهام الإستنكاري والبيان البديع، ومن هنا قال بعض العلماء: «... فإنّه
يدلّ على أنّ العبث قبيح، وقبحه مستقرّ في العقول، ولذا أنكر عليهم إنكار منبه ليرجعوا
إلى عقولهم، ومثله قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾، ونحوه قوله تعالى: ﴿أَمْ
تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾،
وهذا أيضاً يدلّ على أن قبح ذلك مركّز في العقول»^(٢).

فالخلاصة: أنّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثاً؛ وإلاّ لما تميّز المطيع عن
العاصي، والصدّيق من الزنديق، والصالح من الطالح.

قال بعض أعلام الطائفة: «فلو كان الإنسان مخلوقاً للحياة الحيوانية فقط لكان
إعطاؤه العقل الذي لا يقتنع إلاّ بإدراك أسرار الوجود لغواً، وخلقته على الفطرة التي لا
تطمئن دون أية مرتبة من الكمال حتى يصل إلى مبدأ الكمال الذي ليس له حد عبثاً.
فالحكمة الإلهية توجب أن لا تُنحتم حياة الإنسان بالحياة الماديّة والحيوانية، بل تتواصل

(١) أنظر: تفسير الأمثل: ج ١٠، ص ٥٣٢.

(٢) بداية المعارف الإلهية: ج ١، ص ١٢٣.

لتحقيق الهدف الذي خلقت قوى عقله وروحه من أجله^(١).

ولو رجعنا للآية محل البحث، وجدنا أنَّ أسلوبها أسلوب الإستفهام الاستنكاري، وليس سؤالاً فحسب، بل هو توبيخٌ عظيمٌ للإنسان الذي يؤتى به يوم القيامة، وهو يحمل أوزاراً على ظهره، فيقول له الباري عز وجل: أحسبت أنَّ الأمر انتهى في الحياة الدنيا، ولا رجوعَ إلى عالم آخر تحاسب فيه عن كلِّ صغيرة وكبيرة، وكلَّ عمل عملته لم يكن من ورائه إلاَّ ضرر البشرية، بل الخلق جميعه، وإن تدعي الجهل فستحاسب حتى عن جهلك.

قال بعض الأكابر: «ردالة الجاهل، وعدم اعتباره، وسفالة حاله، ممَّا دلَّ عليه كثير من الآيات الكريمة، والروايات الصحيحة، وسرَّ ذلك: أنَّ المقصود من خلق الإنسان ليس ذاته من حيث هو، بل العلم بالأسرار الإلهية، والأحكام الربانية، وتنوير القلب بالإشراقات اللاهوتية، والمكاشفات الملكوتية، ثمَّ سلوك طريق العمل بنور الهداية، والاجتناب عن سبيل الضلالة والغواية، والجاهل بمعزل عن هذا المرام، وبعيد عن هذا المقام، وفي كلام الحكماء المتقدمين والمتأخرين أيضاً دلالة على أنَّ الشرف والتقدم للعالم. قال افلاطون: المستحقون للتقديم هم العارفون بالنواميس الإلهية، وأصحاب القوى العظيمة الفائقة.

وقال أرسطاطاليس: المستحقون للتقديم هم الذين عناية الله بهم أكثر.

وقال المحقق الطوسي: كلُّ اثنين بينهما اشتراك في علمٍ واحدٍ، وأحدهما أكمل فيه من الآخر فهو رئيس له، ومُقَدَّمٌ عليه، وينبغي للآخر الإطاعة والانقياد له؛ ليتوجَّه إلى كمالٍ لائقٍ به، وهكذا يتدرجون إلى أن ينتهوا إلى شخصٍ هو المطاع المطلق، ومقتدى الأمم، كلَّهم بالاستحقاق والملك على الإطلاق، ولا نعني بالملك في هذا المقام مَنْ له خيل وحشم، وتصرف في البلاد، واستيلاء على العباد، بل نعني أنَّه المستحقُّ للملك في الحقيقة، وإن لم

(١) منهاج الصالحين (مقدمة في أصول الدين): ص ١٣٠.

يلتفت إليه أحد بحسب الظاهر، وإذا تقدّم عليه غيره كان غاصباً جائراً، ويوجب ذلك فشو الجور في العالم وفساد نظامه»^(١).

ثمّ قالت الآية: ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، والمقصود من الرجوع إليه ﷺ: هو الوقوف بين يديه حيث لا مالك ولا حاكم سواه عزّ اسمه.

والمعنى الإجمالي للآية: «أنّه لو لم يكن رجوع بعد هذه الدنيا إلى الله، فإنّ الحياة في هذه الدنيا ليست سوى عبث في عبث. نعم، فإنّ الحياة في هذه الدنيا تجد معناها، ويكون لها مفهومٌ ينسجم مع حكمة الله سبحانه وتعالى عندما تعتبر: (الدنيا مزرعة للآخرة)، و(الدنيا قنطرة) ومكان تعلّم، وجامعة للاستعداد للعالم الآخر، ومتجر لذلك العالم، تماماً كما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في كلماته العميقة المعنى: إنّ الدنيا دار صدق لمن صدّقها، ودار عاقبة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتّعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحى الله، ومتجر أولياء الله.

خلاصة القول: إنّ الفحص والمطالعة في وضع هذا العالم يؤدّي إلى الاعتقاد بعالم آخر وراء هذا العالم، ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذكرون»^(٢).

المعنى الأول لفهم الدنيا

ليس المراد من عدم اعتبار الدنيا هي الهدف من الخلق، أن تترك أبداً، بل المقصود هو الإشارة إلى كَيْفِيَّة استثمار هذه الحياة؛ لتكون ممراً إلى ذلك المقرّ، فإنّ الحياة الدنيا والنشأة فيها لم تكن مذمومة، ولا ينبغي معاداتها، وإنّما المذموم هو الاعتماد الكليّ على الدنيا، مع طول الأمل ونسيان الموت، فيؤخّر الأعمال الصالحة لذلك، وبه يكون قد

(١) شرح أصول الكافي: ج ٢، ص ٢٠٦.

(٢) تفسير الأمل: ج ١٤، ص ٢٦٦.

سَوِّفَ التَّوْبَةُ، وَعَمَلُ كُلِّ قَبِيحٍ، أَوْ جَمْعُ الْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ، وَبَنَى الْقُصُورِ الرَّفِيعَةِ، وَوَفَّرَ سَائِرَ الْأُمُورِ الْكِمَالِيَةِ، مُعْتَمِداً عَلَى هَذَا الْعَمْرِ الْفَانِي بِتَسْوِيلَاتِ الشَّيْطَانِ، فَتَحْصِلُ الْغَفْلَةُ عَمَّا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ، وَيَفْنِي عَمْرَهُ فِي تَحْصِيلِ الْإِعْتِبَارَاتِ الْفَانِيَةِ، وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ حِينَئِذٍ؛ لِتَعَلُّقِهِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَسَائِرِ مَا يَمْلِكُهُ، وَيُرِيدُ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا لِتَمَتُّعِ بِهِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، كَمَا رَوَى هَذَا الْمَعْنَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ فَقَالَ: لِأَنَّكُمْ عَمَّرْتُمُ الدُّنْيَا وَأَخْرَبْتُمُ الْآخِرَةَ فَتَكْرَهُونَ أَنْ تُنْقَلُوا مِنْ عُمُرَانِ إِلَى خَرَابٍ، فَقَالَ لَهُ: فَكَيْفَ تَرَى قُدُومَنَا عَلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ، فَكَالْغَائِبِ يَقْدُمُ عَلَى أَهْلِهِ، وَأَمَّا الْمُسِيءُ مِنْكُمْ، فَكَالْبَاقِ يَرُدُّ عَلَى مَوْلَاهُ، قَالَ: فَكَيْفَ تَرَى حَالَنَا عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: اعْرَضُوا أَعْمَالَكُمْ عَلَى الْكِتَابِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾، قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللَّهِ؟ قَالَ: رَحْمَةُ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، قَالَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وَكُتِبَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَا أَبَا ذَرٍّ أَطْرَفَنِي بِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ: الْعِلْمُ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ لَا تَسِيءَ إِلَى مَنْ تَحِبُّهُ، فَافْعَلْ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: وَهَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا يُسِيءُ إِلَى مَنْ يَحِبُّهُ؟ فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، نَفْسُكَ أَحَبُّ الْأَنْفُسِ إِلَيْكَ، فَإِذَا أَنْتَ عَصَيْتَ اللَّهَ فَقَدْ أَسَأْتَ إِلَيْهَا»^(١)، أَوْ أَنَّهُ يَأْبَى التَّضَحِّيَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حُبًّا فِي الْحَيَاةِ، وَمَنْ ذَلِكَ فَقَدْ يَتْرَكَ الْمَرْءُ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ؛ خَوْفًا مِنْ ضَعْفِ قَوَاهُ وَأَعْضَائِهِ وَجَوَارِحِهِ، فَالْحَيَاةُ لِأَجْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ هِيَ الدُّنْيَا الْمَذْمُومَةُ الْمَوْجِبَةُ لِلشَّقَاءِ، وَلَيْسَ أَصْلُ هَذِهِ النِّشْأَةِ، بَلْ إِنَّ هَذِهِ النِّشْأَةَ إِذَا اسْتَفِيدَ مِنْهَا بِالطَّرِيقَةِ الْمَطْلُوبَةِ وَالتِّي رَسَمَتْهَا لَنَا السَّمَاءُ أَمَكْنَ بِهَا تَحْصِيلَ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَةِ، مُضَافًا إِلَى أَنْ جَمِيعَ الْمَعَارِفِ وَالْعِبَادَاتِ، وَالْعُلُومِ وَالْكِمَالَاتِ وَالْخَيْرَاتِ تَحْصُلُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَإِدَارَةُ الْحَيَاةِ بِتَحْصِيلِ هَذِهِ الْأُمُورِ وَطَلَبِهَا مِنَ اللَّهِ حَسَنٌ؛ فَلِذَا يَقُولُ الْإِمَامُ سَيِّدُ السَّاجِدِينَ عليه السلام: «... وَعَمَّرَنِي مَا

كان عُمري بذلة في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان، فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إليّ، أو يستحكم غضبك عليّ»^(١)، بل ورد النهي عن ذم الدنيا، فقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلاً يذم الدنيا، فقال له: «أيها الذام للدنيا، المغترّ بغرورها، المخدوع بأباطيلها، أنغترّ بالدنيا ثم تدمّها؟!»^(٢).

يعني أن الإنسان هو نفسه يمكن أن يستثمر الدنيا لأجل الآخرة، ويمكن أن لا يفعل ذلك: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٣)، فلا يسيء الاستفادة منها، ثم بعد ذلك يلقي اللوم عليها، ويقول: الدنيا مذمومة.

فإن الدنيا دار صدق لمن صدّقها، ودار عافية لمن فهم معناها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتّعظ بها، كما تقدّم هذا المضمون وورد كذلك في بعض الروايات الشريفة الأخرى^(٤).

المعنى الثاني لفهم الدنيا

البعض من الناس فهم الدنيا بمعنى ثانٍ، وحصرها بالدينار والدرهم، والأثاث والأموال، وليس كلّها من الدنيا، بل إنّ الدنيا منها ما سبّب الغفلة عن الله تعالى، وارتكاب المحارم لتحصيلها، والحبّ الشديد لها بحيث لا ينفقها في سبيل الله، ولا يخرج حقوق الله تعالى منها.

والدنيا لمن أراد بها تحصيل الآخرة من أحسن الأشياء، كما مدح الله تعالى جمعاً كثيراً في القرآن بإنفاق أموالهم في سبيل الله، وشراء الجنة بها، فهي سبب لتحصيل السعادة الأخروية، ولم تكن مذمومة، بل إنّ المذموم حُبّها وترك الآخرة لأجلها، قال

(١) الصحيفة السجّادية: ص ١٠١، دعاء مكارم الأخلاق.

(٢) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٣١، خطبة ١٣١.

(٣) الإنسان: آية ٣.

(٤) أنظر: نهج البلاغة: ج ٤، ص ٣٢. تحف العقول: ص ١٨٦. خصائص الأئمة: ص ١٠٢.

تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مِنْهَا وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

وروي عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «نِعَمَ الْعَوْنُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الْغَنَى»^(٢)، وورد أيضاً عن حفيده الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «نِعَمَ الْعَوْنُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ»^(٣).
ولقد أجاد مَنْ قال:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتماعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل^(٤).

المعنى الثالث لفهم الدنيا

هناك مجموعة من الناس تفهم الدنيا على أنها تمتع باللذات، ومعاشرة الناس، وتوفير الأمور الثمينة، والملابس الفاخرة وحسب. وهذا بالواقع يرجعنا إلى الآية المباركة؛ إذ الدنيا حيثنّذ تكون عبثية؛ لأنّها دار يمكث فيها الإنسان مدّة معيّنة ولا يكون متروكاً دون ضوابط وقوانين تحكمه، وهي الدين، فيكون الدين هو الذي يجب اتّباعه من فعل الواجبات، مثل: الصلاة والصوم والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك المحرّمات، مثل: القتل والزنا والسرقه والكذب، فيكون الإنسان في هذه الدنيا عاملاً بلا حساب، أي، مكلفاً بالفعل الواجب وتاركاً للعمل المحرّم.

فالإنسان المؤمن مَنْ آمن بالله والرسول وما أنزل عليه، فلكي يكون عمله كاملاً في الدنيا يجب الإطاعة، والإيمان بكلّ ما أنزل على الرسول، وإذا تخلّف عن ذلك عصي وأفسد في الأرض، وحيثنّذ يكون مستحقاً للعقاب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى

(١) البقرة: آية ٢٦٢.

(٢) الكافي: ج ٥، ص ٧١، ح ١.

(٣) المصدر السابق: ج ٥، ص ٧٢، ح ٨.

(٤) لم أعثر على قائله. أنظر: خاتمة المستدرک: ج ٢، ص ٧٢. أعيان الشيعة: ج ٤، ص ١٣٧. أخلاق أهل

البيت عليه السلام: ص ١٩٩.

يجب على الإنسان أن يعمل في الدنيا؛ فإنَّ الدنيا ساعة، عليه أن يجعلها طاعة، وأن يتفكَّر بها، وبما هو صائر إليه، فعن الحسن الصيقل، قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عما يروي الناس: أن تفكَّر ساعة خير من قيام ليلة. قلت: كيف يتفكَّر؟ قال عليه السلام: «يمرُّ بالخربة أو بالدار، فيقول: أين ساكنوك أين بانوك، ما بالك لا تتكلَّمين»^(١).

ويتفكَّر أيضاً بما هو صائر إليه من حفرة صغيرة، إما أن تكون روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران، وسوف يسأل عن كل ما قدَّمه. وروى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - وهو يمرُّ على مقبرة - أنه قال: «السَّلامُ عليكم يا أهل القبور أنتم لنا سلف، ونحن لكم خلف، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، أما المساكن فسُكنت، وأما الأزواج فنُكحت، وأما الأموال فقُسمت، هذا خبر ما عندنا، فليت شعري ما خبر ما عندكم. ثمَّ قال: أما إنهم إن نطقوا لقالوا: وجدنا التقوى خير زاد»^(٢).

وأما الآخرة فهي دار مقرّ، ولا يوجد فيها تكاليف، وإنَّما هي دار جزاء تكون للذين آمنوا وعملوا الصالحات، للذين أنسوا بالله، للذين لم يستكبروا في الأرض، ولم يفسدوا. فإذا عرفنا أنَّ خلقنا نحن بني البشر لم يكن عبثاً، بل لأجل الاختبار والابتلاء، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٣)، فتعالَ معي لنعرف ما هو الواجب علينا، وما هو المحرَّم، حتَّى نأتي بالواجب ونُدع المحرَّم، فنكون قد حصلنا على رضا الله تبارك وتعالى، الذي منتهاه الخلود في الجنة، التي أعدَّها الله عزَّ وجلَّ للمتقين.

وإذا جاء بما أمر الله تبارك وتعالى به، وانتهى عما نهاه عنه فسوف يحبُّ لقاء الله؛ لأنَّ لقاء الله معناه الانتهاء من هذه الدنيا وشهواتها واختبارتها، والانتقال إلى دار ليس

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٤، ح ٢. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ١٩٦، ح ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٧١، ح ٣٥.

(٣) الملك: آية ٢.

فيها إلا ما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين، وتطيب برؤيته القلوب، وتخضع له الجوانح والجوارح؛ لذا روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام، أهبط إليه ملك الموت، فقال: السلام عليك يا إبراهيم. قال: وعليك السلام يا ملك الموت، أذاع أم ناع؟ قال: بل داعٍ يا إبراهيم، فأجب. قال إبراهيم عليه السلام: فهل رأيت خليلاً يُميت خليله؟ قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جلَّ جلاله، فقال: إلهي قد سمعت ما قال خليلك إبراهيم. فقال الله جلَّ جلاله: يا ملك الموت، اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ إنَّ الحبيبَ يُحِبُّ لقاءَ حبيبه»^(١).

وهكذا هو الحال في سيد الشهداء عليه السلام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقد عبَّر عن هذا المعنى تعبيراً عملياً، فهو الذي ترك كلَّ شيءٍ من أجل خالق الأشياء.

وأَيْتَمْتُ العِيَالَ لَكِي أَرَاكَ	تَرَكْتُ الخَلْقَ طُرّاً فِي هَوَاكَ
لَمَّا مَالَ الفَوَادُ إِلَى سَوَاكَ ^(٢) .	وَلَوْ قَطَعْتَنِي بِالْحُبِّ إِرْبَاً

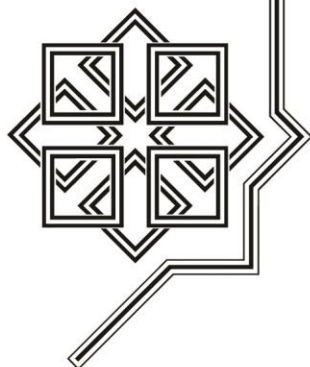
(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٢٦٤، ح ٢.

(٢) ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: ص ١١٦.

الحاضرة الثانية



الَّذِينَ آمَنُوا سَجَّحْنَا لَهُمُ الْوُجُوهَ
وَجَنَّبْنَا عَنْ الْأَعْيُنِ



من وصية النبي الأكرم ﷺ لأبي ذر أنه قال: «يا أبا ذر، الدنيا سجنُ المؤمن، وجنَّةُ الكافر، وما أصبح فيها مؤمناً إلا حزيناً»^(١).

«قد بين الله تعالى لعباده طرقَ الفوز، ودلَّهم على ما يرضيه من الأعمال التي تعود عليهم أنفسهم بالصلاح، بما أنزله من الشرائع الإلهية على لسان أنبيائه الكرام (عليهم الصلاة والسلام) الذين أقام بهم الحجة على العباد، فصدعوا بأمره، وزجروا عن معصيته، فأنزل الله على كلِّ رسول ذي شريعة كتاباً بلسان قومه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وليسمعوا كلامَ ربِّهم، ويعرفوا أحكامه.

والرسول هو الزعيم بتفصيل ما أجمل في الكتاب، وتبيان ما أتهم منه، فكان من ذلك الكتاب، وكان من ذلك السنة النبوية، اللذان هما أول الأدلة عند علماء أصول الفقه، ثم علَّم الأنبياء أوصيائهم وأمناءهم وخواص أصحابهم ما إليه يرجعون، وبه يهتدون، من معاني كتاب ربِّهم، وسنة نبيِّهم؛ ليكونوا بعده مناراً به يُهتدى، ونبراساً بنوره يُستضاء، إذا اذهلهم ليلُ الجهالة، وأدجن ظلامُ الأهواء؛ لئلا تذهب بالأمَّة مذاهبُ الأهواء، فتصرف موارد الشريعة عن مجراها، ويتأولون أحكام الله على ما يريدون لا على ما يريد الله، ميلاً مع الشهوات، وجرياً مع الأهواء المضلَّة ويتكلَّمون بالرأي في القرآن بلا سند إليه يستندون، ولا استمسك بكلام الراسخين في العلم إليه»^(٢).

ومن هؤلاء العظام الذين حملوا هذا النبراس، الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، الذي نقل لنا هذه الرواية عن رسول الله ﷺ.

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٩٢. بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٧٨.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ١، ص ١٩٠.

حقيقة الدنيا

لم يخلق الله تبارك وتعالى الدنيا لراحة المؤمنين، بل تصل إليهم الأحزان والبلايا بحسب مراتبهم وإيمانهم، ويكفي لتحقيق هذا الأمر النظر في أحوال الأنبياء والأوصياء ورسول الله وأهل بيته عليهم السلام، وقد ورد عنه عليه السلام أنّه قال: «ما أُوذي نبيّ مثلاً أُوذيتُ»^(١).

وقد ثبت بحسب التجربة، إنّ ما من شيءٍ أكثر إصلاحاً للنفس من البلايا والمصائب الموجبتين للزهد في الدنيا، والتوجّه نحو الله تعالى، كما قال عليه السلام: «إنّ عظيمَ البلاء يكافأ به عظيمُ الجزاء، فإذا أحبّ الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضيَ فله عند الله الرضا، ومن سخط البلاء فله عند الله السخط»^(٢).

وسأل عبد الله بن بكير أبا عبد الله الصادق عليه السلام: «أيُّتلى المؤمنُ بالجذام والبرص وأشباه هذا؟ قال: فقال: وهل كُتِبَ البلاءُ إلّا على المؤمن»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام في حديثٍ آخر: «إنّ في كتاب علي عليه السلام إنّ أشدّ الناس بلاءً النبيّون، ثمّ الوصيّون، ثمّ الأمثل فالأمثل، وإنّا يُتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صحّ دينه وحسن عمله اشتدّ بلاؤه»^(٤).

وعن محمد بن قيس، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ملكان هبطا من السماء فالتقيا في الهواء، فقال أحدهما لصاحبه: فيما هبطت؟ قال: بعثني الله تعالى إلى بحر آيل أحشر سمكة إلى جبار من الجبابرة انتهى عليه سمكة في ذلك البحر، فأمرني أن أحشر إلى الصياد

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٤٢. كشف الغمّة: ج ٣، ص ٣٤٦. بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٥٦.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٥٣، ح ٨. كتاب التمهيد: ص ٣٣، ح ٢٠. الخصال: ص ١٨، ح ٦٤.

(٣) قرب الإسناد: ص ١٧٤، ح ٦٣٨. الكافي: ج ٢، ص ٢٥٨، ح ٢٧، عنه بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ٢٢١، ح ٢٧.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٢٥٩، ح ٢٩. علل الشرائع: ج ١، ص ٤٤، ح ١، عنه تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٤٤٣، ح ٤٤٧.

سمكة البحر حتى يأخذها له؛ ليلبغ الله ﷻ الكافر غاية مناه في كفره. قال الآخر لصاحبه: ففيمًا بُعثت أنت؟ قال: بعثني الله ﷻ في أعجب من الذي بعثك فيه، بعثني إلى عبده المؤمن الصائم القائم المعروف دعائه وصومه في السماء؛ لأكفي قدره التي طبخها لأفطاره؛ ليلبغ الله في المؤمن من الغاية في اختبار إيمانه^(١).

وروي عن محمد بن عجلان أنه قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فشكا إليه رجل الحاجة، فقال له: اصبر فإن الله سيجعل لك فرجاً.

قال: ثم سكت ساعة، ثم أقبل على الرجل فقال: أخبرني عن سجن الكوفة كيف هو؟ فقال: أصلحك الله ضيق، مُتْن وأهله بأسوأ حالٍ. قال: فإنما أنت في السجن، فتريد أن تكون فيه في سعة، أما علمت أن الدنيا سجن المؤمن^(٢).

ومع قطع النظر عن هذه البلايا والمحن، لو كان المؤمن في الرفاه والنعمة، فإن الدنيا سجنه؛ لأنه بالنسبة إلى نعم الآخرة، والمنازل التي أعدّها الله له في الآخرة، لو أُعطي جميع الدنيا لكانت سجنًا بالنسبة له، وإن الكافر لو ابتلي في الدنيا بأنواع البلايا، لكانت الدنيا جنّة بالنسبة إلى عذاب الآخرة.

روي أن الإمام الحسن بن علي عليه السلام يسير، وهو على بغلة فارهة: «فعرض له في طريقه من محاييج اليهود، همّ في هدمٍ قد أنهكته العلة، وارتكبتة الذلّة، وأهلكته القلّة، وجلده يسترّ عظامه، وضعفه يُقيّد أقدامه، وضرّه قد ملك زمامه، وسوء حاله قد حبت إليه حمامه، وشمس الظهيرة تشوى شواه، وأخصه تصافح ثرى مشاه، وعذاب عرعر به^(٣) قد عراه، وطول طواه قد أضعف بطنه وطواه، وهو حامل جر مملو على مطاه، وحاله

(١) علل الشرائع: ج ٢، ص ٤٦٥، ح ١٦، عنه بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ٢٢٩، ح ٤٠.

(٢) كتاب المؤمن: ص ٢٦، ح ٤٣. الكافي: ج ٢، ص ٢٥٠، ح ٦. مشكاة الأنوار: ص ٤٧١. بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ٢١٩-٢٢٠، ح ٩، عن الكافي.

(٣) عرعر به: نزل به، أنظر: لسان العرب: ج ٤، ص ٥٦١.

تضعف عليه القلوب القاسية عند مرآه، فاستوقف الحسن عليه السلام وقال: يا بن رسول الله أنصنني. فقال عليه السلام: في أي شيء؟ قال: جدك يقول: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وأنت مؤمن وأنا كافر، فما أرى الدنيا إلا جنة لك، تتنعم فيها وتستلذ بها، وما أراها إلا سجناً لي قد أهلكني ضرّها، وأتلفني فقرها. فلما سمع الحسن عليه السلام كلامه أشرق عليه نور التأييد، فاستخرج الجواب الحق بفهمه من خزانة علمه، وأوضح لليهودي خطأ ظنه، وخطأ زعمه، وقال: يا شيخ، لو نظرت إلى ما أعدّ الله تعالى للمؤمنين، الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، من نعيم الجنان والخيرات الحسان في الدنيا والآخرة، ممّا لا عين رأت، ولا أذن سمعت؛ لعلمت أنّي قبل انتقالي إليه من هذه الدنيا في سجن ضنك، ولو نظرت إلى ما أعدّ الله لك ولكل كافر في الدنيا والآخرة من سعير نار الجحيم، ونكال العذاب المقيم لرأيت أنّك قبل مصيرك إليه، الآن في جنة واسعة ونعمة جامعة^(١).

إذن ما عليه الأوصياء والأولياء مهما بلغ لا يساوي شيئاً إذا ما قيس إلى الآخرة؛ ولذا تجد أحوال الأنبياء والرسول وأوصيائهم مملوءة بالعناء والابتلاء في هذه الحياة الدنيا، لكن ما أعدّ الله لهم من النعيم لا يمكن تصوره أبداً، بخلاف الكفار الذين يتنعمون في هذه الحياة الدنيا، والتي لو كانت تعدل شيئاً عند الله تعالى لما سقى منها الكافر شربة ماء، كما جاء في الآثار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام^(٢).

فترى المؤمن فيها حزيناً باكياً، والكافر فيها مسروراً جذلاً، والظالم متقدّم على المظلوم، والأنبياء يُقتلون ويُذبحون في سبيل شهوات الظالمين ولذاتهم.

(١) مطاب السؤؤل في مناقب آل الرسول: ص ٣٤٠. كشف الغمة: ج ٢، ص ١٦٧. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) أنظر: مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٦٣. الاختصاص: ص ٢٤٣. مكارم الأخلاق: ص ٤٣٩. معارج اليقين في أصول الدين: ص ٥٠٤، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ١٢٤، ح ١١٤، عن الاختصاص، وج ٧٤، ص ٥٤. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٨١٧، ح ٤.

روي «أن عيسى بن مريم عليه السلام بعث يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يُعَلِّمونَ الناسَ وينهاهم^(١) عن نكاح ابنة الأخت، قال: وكان لملكهم بنت أخت تعجبه، وكان يريد أن يتزوجها، فلما بلغ أمها أن يحيى نهى عن مثل هذا النكاح أدخلت بنتها على الملك بزيئة، فلما رآها سألتها عن حاجتها، قالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا، فقال: سلي غير هذا. فقالت: لا أسألك غير هذا. فلما أبت عليه دعا بطشت، ودعا يحيى عليه السلام فذبحه، فبدرت قطره من دمه فوقعت على الأرض، فلم تزل تعلو حتى بعث الله بخت نصر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل فدلته على ذلك الدم، فألقى في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل عليها سبعين ألفاً في سنة واحدة، ثم سكن^(٢).

وفي الأثر: «أن زكريا عليه السلام سأل ربه أن يُعَلِّمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل فعَلَّمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن سري عنه همُّه، وانجلى كربُّه، وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة^(٣)، فقال ذات يوم: يا إلهي، ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسليتُ بأسائهم من همومي، وإذا ذكرتُ الحسينَ تدمع عيني وتشور زفرتي؟ فأنبأه الله تعالى عن قصته، وقال: ﴿كَهَيَّعَصَ﴾ (فالكاف) اسم كربلاء، و(الهاء) هلاك العترة، و(الياء) يزيد، وهو ظالم الحسين عليه السلام. و(العين) عطشه، و(الصاد) صبره. فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام، ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكانت ندبته: إلهي أنفجع خير خلقك بولده، إلهي،

(١) كذا في المصدر.

(٢) قصص الأنبياء (الراوندي): ص ٢٢١، ح ٢٨٩، قصص الأنبياء (الجزائري): ص ٤٥١. بحار الأنوار: ج ١٤، ص ١٨٢، ح ٢٤. وأنظر: المستدرک على الصحيحين: ج ٢، ص ٥٩٢. تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٤، ص ٧٠٧.

(٣) البهر: تتابع النفس وانقطاعه، كما يحصل بعد الإعياء والعدو الشديد. أنظر: الصحاح: ج ٣، ص ١٢٦٧.

أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائته، إلهي أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة، إلهي أتحلّ كربة هذه الفجيعة بساحتها؟! ثمّ كان يقول: اللهم ارزقني ولدًا تقرّ به عيني على الكبر، وأجعله وارثاً وصياً، واجعل محله مني محل الحسين، فإذا رزقته فافتني بحبه، ثمّ افجعني به كما تفجع محمداً حبيبك بولده! فرزقه الله يحيى وفجعه به، وكان حمل يحيى ستة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك»^(١).

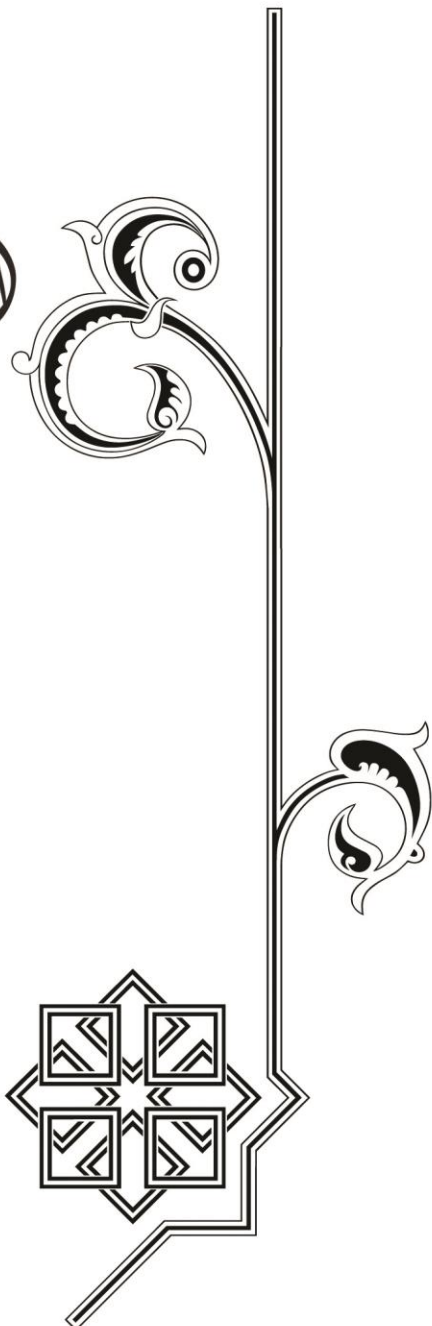
لكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله...

أيأتي مثل رزء الطف رزؤً
عظيمٌ قد بكته الأنبياء

(١) كمال الدين وتام النعمة: ص ٤٦١، ح ٢١. دلائل الامامة: ص ٥١٣. مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٣٧. مدينة المعاجز: ج ٨، ص ٥٧. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٣١٩، ح ٣. الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٧٢، عنه بحار الأنوار: ج ١٤، ص ١٧٨، ح ١٤.

الحاضرة الثالثة

نَادِ السُّفْرَ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى



قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَكَرَّزُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَأْتُوا
الْأَلْبَابَ﴾^(١).

ذكرنا في المحاضرتين السابقتين: أنَّ الله تبارك وتعالى لم يخلق هذه الدنيا عبثاً، تنزه
عن ذلك، وعلا علواً كبيراً، بل إنَّما خلقها لتكون محل إبتلاء وإختبار لعباده، وأنَّ
المؤمن لم يُخلق فيها ليخلد، بل هي دار حزن وهمٌّ دائمان له، وأنَّه مسافر إلى دار
الآخرة، مسافر إلى الله تبارك وتعالى، وكادح للوصول إليه جلّ وعلا، قال تعالى:
﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٢).

والملاقة بنفسها ليست فضيلة للإنسان؛ إذ يمكن أن يلاقي الإنسان ربَّه وهو
غضبان عليه، حتَّى يصل الحال بأنَّ الباري عزَّ وجلَّ لا ينظر إليه ولا يكلمه، كما جاء في
بعض الآثار عن رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَزِيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.
فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسَرُوا، قَالَ: الْمَسْبِلُ إِزَارَهُ، وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتَهُ
بِالْحَلْفِ الْكَاذِبَةِ، وَالْمَنَانُ عَطَاءَهُ»^(٣).

ويمكن أن يلاقي الإنسان ربَّه عزَّ وجلَّ، ويأمر به إلى الجنة. وبما أنَّ غاية كلِّ إنسان
عاقِل هو الثاني، فلا بدَّ أن يعمل له بكلِّ ما أُوتي من قوَّة ورباطة جأشٍ، وهذا لا يتحقق
إلَّا من خلال اتِّباع القرآن الكريم والعترة الطاهرة عليهم السلام، الذين هما حبل الصعود
والوصول إليه سبحانه وتعالى.

(١) البقرة: آية ١٩٧.

(٢) الانشقاق: آية ٦.

(٣) أنظر: السنن الكبرى (النسائي): ج ٥، ص ٤٨٨، ح ٩٧٠١.

فقد روى الفريقان بأسانيد متعددة، أَنَّ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ قال: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَعِترتي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»^(١).

وبما أَنَّ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ لا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢)؛ إِذْنٌ لا بَدْءَ مِنْ اتِّبَاعِهِ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ ﷺ حَتَّى نَصَلَ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ ﷻ، وبالتالي إلى النعيم الخالد، إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى ذَهْنٍ بَشَرٍ.

كما روي ذلك فيمن بكى من خشية الله: «...أَلَا وَمَنْ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ قَطْرَةٍ قَطْرَتٌ مِنْ دُمُوعِهِ قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ، مَكْلَلٌ بِالذَّرِّ وَالْجَوْهَرِ، فِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ»^(٣).

وحينئذٍ فلا بَدْءَ لَنَا مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، حَتَّى نَكُونَ قَدْ حَقَّقْنَا رِضَاهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَنَحْنُ نَرَى هَذِهِ الْآيَةَ، الَّتِي افْتَحْنَا بِهَا الْكَلَامَ، تَأْمُرُ بِالْتَّوَدُّ، وَالشَّيْءُ الَّذِي تَأْمُرُنَا بِالتَّوَدُّ مِنْهُ مَحْذُوفٌ، دَلٌّ عَلَيْهِ وَسْطُ الْآيَةِ، حَيْثُ قَالَتْ: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الْزَّادِ النَّقْوَى﴾.

قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: «إِنَّ الْمُرَادَ: وَتَزَوَّدُوا مِنَ التَّقْوَى، وَالِدَلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾. وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ فِيهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ

(١) مسند أبي يعلى الموصلي: ج ٢، ص ٣٠٣، ح ١٠٢٧، وأنظر: المصادر التالية: أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٠٠، ح ١٥. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٦٨، ح ٢٥٩. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٣٥، ح ٤٨. والحديث متواتر في مصادر الفريقين. وللمزيد من التعرُّف على الحديث وطرقه وأسانيده يُنظر كتاب: حديث الثقلين - لمؤلفه نجم الدين العسكري، المتوفى سنة ١٣٩٠ هـ - طباعة ونشر: مطبعة الآداب، النجف الأشرف - ففيه الكفاية.

(٢) النجم: آية ٣-٤.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥١٧.

سفران:

سفر في الدنيا، وسفر من الدنيا، فالسفر في الدنيا، لا بدّ له من زاد، وهو الطعام والشراب، والمركب والمال. والسفر من الدنيا، لا بدّ فيه أيضاً من زاد، وهو معرفة الله ومحبته، والإعراض عمّا سواه، وهذا الزاد خير من الزاد الأول؛ لوجوه:

الأول: إنّ زاد الدنيا يخلّصك من عذاب موهوم، وزاد الآخرة يخلّصك من عذاب متيقّن.

وثانيها: إنّ زاد الدنيا يخلّصك من عذاب منقطع، وزاد الآخرة يخلّصك من عذاب دائم.

وثالثها: إنّ زاد الدنيا يوصلك إلى لذة ممزوجة بالآلام والأسقام والبلبات، وزاد الآخرة يوصلك إلى لذات باقية خالصة عن شوائب المضرة، آمنة من الانقطاع والزوال.

ورابعها: إنّ زاد الدنيا وهي كلّ ساعة في الإدبار والانقضاء، وزاد الآخرة يوصلك إلى الآخرة، وهي كلّ ساعة في الإقبال والقرب والوصول.

وخامسها: إنّ زاد الدنيا يوصلك إلى منصّة الشهوة والنفس، وزاد الآخرة يوصلك إلى عتبة الجلال والقدس؛ فثبت بمجموع ما ذكرنا أنّ خير الزاد التقوى.

إذا عرفت هذا، فلنرجع إلى تفسير الآية، فكأنّه تعالى قال: لما ثبت أنّ خير الزاد التقوى فاشتغلوا بتقواي يا أولي الألباب، يعني إنّ كنتم من أرباب الألباب الذين يعلمون حقائق الأمور، وجب عليكم بحكم عقلكم ولبّكم، أن تستغلّوا بتحصيل هذا الزاد؛ لما فيه كثرة المنافع، وقال الأعشى في تقرير هذا المعنى:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التّقَى	ولاقيتَ بعدَ الموتِ من قد تزوّدَا
ندمتَ على أن لا تكونَ كمثلهِ	وأنتَ لم ترصدكُمَا كانَ أرصدًا ^(١) .

(١) التفسير الكبير (تفسير الرازي): ج ٥، ص ١٨٤-١٨٥.

فلا بدّ للإنسان حينئذٍ من التزوّد من المتاع الأخرى، الذي يوصله للسعادة الأبدية، وإلى الحياة الحقيقية.. ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وهذا لا يعني أنّ الإنسان يترك زاد الدنيا بالمرّة؛ فإنّ هذا أيضاً غير مقبول، كما مرّ عليك في المحاضرة السابقة، بل يمكن له أن يوظّف زاد الدنيا لزاد الآخرة. ولذا روي عن العالم عليه السلام أنه قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»^(٢).

وكلّما كان العمل ممزوجاً بتقوى الله، كان أكثر بركةً وقبولاً من عمل بغير تقوى الله عزّ وجلّ.

فعن الفضل بن عمر، قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكرنا الأعمال فقلت أنا: ما أضعف عملي. فقال: مه، استغفر الله. ثمّ قال لي: إنّ قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى. قلت: كيف يكون كثير بلا تقوى؟ قال: نعم، مثل الرجل يطعم طعامه، ويرفق جيرانه، ويوطئ رحله، فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه، فهذا العمل بلا تقوى، ويكون الآخر ليس عنده فإذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه»^(٣).

أثار التقوى

يعتقد بعض الناس أنّ أثر التقوى إنّما يظهر في الحياة الآخرة فحسب، ولا يشمل الحياة الدنيا، فمن أطاع الله سبحانه وتعالى، وانتهى عن معاصيه فسوف يُثاب في الآخرة جنات تجري من تحتها الأنهار، ومن لم يتق الله، وتجاوز حدوده في هذه النشأة؛

(١) العنكبوت: آية ٦٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٥٦، ح ٣٥٦٩. وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ٧٦، ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٧٦، ح ٧. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٤١، ح ٢، بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ١٠٤، ح ٧، عن الكافي.

فإنه سيعاقب في النشأة الآخرة بنار أحاط بهم سرادقها، ولكن الصحيح أن الأمر ليس كذلك، بل للتقوى آثار دنيوية بالإضافة إلى الآثار الأخروية، ومن هذه الآثار:

أولاً: الحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾^(١)، فالحياة الطيبة للمؤمن ليست في الدار الآخرة فحسب، بل هي كذلك في الحياة الدنيا؛ لأن الآية الشريفة لم تحدّد الحياة الطيبة، ومقتضى الإطلاق وعدم التحديد الشمول للحياتين معاً.

ثانياً: الفرقان بين الحقّ والباطل، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنفُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾^(٢)، فيصبح المؤمن المتقي قادراً على التفريق بين الحقّ والباطل، والإيمان والكفر، والهدى والضلال، والطاعة والمعصية، وكلّ ما يرضي الله أو يسخطه. ثالثاً: المخرج من العسر والشدة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَبَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾^(٣).

وبخلاف ذلك نجد أن الإنسان غير المتقي تتوجّه نحوه تبعات سلبية؛ لفجوره في الدنيا، ويبتظر عذاباً أعدّه جبار السماوات والأرض لمن عصاه. ومن تلك الآثار السلبية:

أولاً: المعيشة الضنكى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾^(٤)، والضنك: هو الضيق من كلّ شيء^(٥).

ثانياً: الحشر أعمى، إذ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

(١) النحل: آية ٩٧.

(٢) الأنفال: آية ٢٩.

(٣) الطلاق: آية ٢-٣.

(٤) طه: آية ١٢٤.

(٥) أنظر: كتاب العين: ج ٥، ص ٣٠٢. الصحاح: ج ٤، ص ١٥٩٨.

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى»^(١)، والأعمى هنا، أعمى القلب، فلا يفهم ما يُقال له من حقائق، ولا يفقه، ولا يبصر ما أمامه، فهو مصروف عن الذكر، محروم عن الطمأنينة والسكون، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»^(٢)، وكم أتعب أمثال هؤلاء رسولَ الله ﷺ! وكم عانى منهم المسلمون جميعاً؛ ولذا تراه لا يسمعون ولا يعون كلامَ رسولِ الله ﷺ، بل لا يريدون أن يفقهوا حتى أوضح الأحاديث له ﷺ حتى مثل قوله: «الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنة»^(٣)، فيقرأون الحديث ويحفظونه، ثم يترضون على قاتلي الحسن والحسين عليهما السلام، فأَيُّ جهلٍ أكبر من هذا؟! من هذا؟!

أقول: ليتك حاضرٌ يا رسولَ الله، لتنظر ماذا جرى على ولديك؟! جرى عليهما ما أخبرت به أُمَّتُكَ يا رسولَ الله، حيث قلت: «... إلى الله أشكو عدوهم من أمتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، والله ليقتلن ابني، لا أنا لهم الله شفاعتي»^(٤).

بعضٌ بطيئةٌ مدفونٌ وبعضُهُم
بكرِ بلاءٍ وبعضٌ بالغريِّينِ
وأرضٌ طوسٍ وسامرا وقد ضمنتُ
بغدادُ بدرينِ حلا وسطَ قبرينِ^(٥).

(١) طه: آية ١٢٤.

(٢) الحج: آية ٦٤.

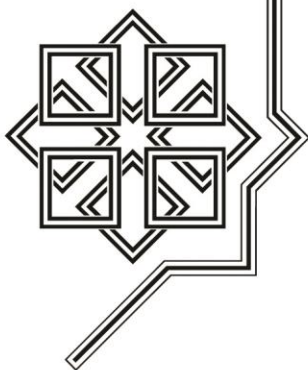
(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٧٨، ح ٧. مسند أحمد: ج ٣، ص ٣. سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٤٤، ح ١١٨. سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٢١، ح ٣٨٥٦.

(٤) كامل الزيارات: ص ١٤٦، ح ٣، عنه بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٠٢، ح ١٢.

(٥) الغدير: ج ٤، ص ١٦٣، والبيتان من قصيدة رائعة لابن حماد العبدي رحمه الله من أعلام القرن الرابع الهجري.

الحافظة الرابعة

الصَّلَاةُ
حَصْنُ الْمُؤْمِنِينَ



قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الشيطان هائباً ذِعْراً من المؤمنِ ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيعهنَّ تجرأ عليه فألقاهُ في العظام»^(١).

«الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وبها تطفأ النيران، وقربان كل تقى، ومعراج كل مؤمن نقي، وتغسل الذنوب كما يغسل النهر الجاري درن الجسد، وتكرارها كل يوم خمساً كتكراره، وأوصى الله بها المسيح ما دام حياً، وغيره من الرسل، بل هي أصل الإسلام، وخير العمل، وخير موضوع، والميزان والمعيان لسائر أعمال الأنام، فمن وفى بها استوفى أجر الجميع، وقُبلت منه كلها، فهي حينئذٍ للأعمال، بل للدين كالعمود للفسطاط؛ ولذا كانت أوّل ما يُحاسب به العبد ويُنظر فيه من عمله، فإذا قُبلت منه نُظر في سائر عمله وقُبل منه، وإذا رُدّت لم ينظر في باقي عمله ورُدّ عليه، فلا غرو لو سُمّي تاركها من الكافرين، بل هو كذلك لو كان الداعي له الإستخفاف بالدين، وهي التي لم يعرف الصادق عليه السلام شيئاً ممّا يتقرب به ويحبّه الله تعالى بعد المعرفة أفضل منها، بل قال عليه السلام: هذه الصلوات الخمس المفروضات من أقامهن وحافظ على مواقيتهن، لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخل به الجنة، ومن لم يصلهن لمواقيتهن ولم يحافظ عليهن فذلك لله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

وصلاة فريضة خير من عشرين حجة، كلّ حجة خير من بيت مملو ذهباً يتصدّق منه حتى يفنى، بل صلاة فريضة أفضل من ألف حجة كلّ حجة أفضل من الدنيا وما فيها، وأن طاعة الله خدمته في الأرض، وليس شيء من خدمته يعدل الصلاة، فمن ثمة نادى الملائكة زكريا وهو قائم يصلي في المحراب، وإذا قام المصلي إلى الصلاة نزلت عليه الرحمة

(١) مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٢٧.

من أعنان السماء إلى أعنان الأرض، وحفّت به الملائكة، وناداه ملك: لو يعلم هذا المصلي ما في الصلاة ما انتقل إلى غير ذلك ممّا ورد فيها ممّا لا يحصى عدده»^(١).

وقد جعل الباري عزّ وجلّ الصلاة لتكميل نفوس بني البشر، وهو العلامّ الخبير، وهكذا سائر الواجبات والمحرمات، وهي الهداية إلى الصراط المستقيم كما نطق به القرآن الكريم، حيث يقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(٢).

وجاء في الحديث المروي عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «أيها الناس، والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلّا وقد أمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلّا وقد نهيتكم عنه»^(٣)، فكلّ ما جاء به القرآن الكريم، والرسول العظيم ﷺ، هو لإصلاح النفوس وتكميلها، وكلّ ما نهى عنه القرآن الكريم، والرسول العظيم إنّما هو لتهديب النفوس وتطهيرها، كقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾^(٤).

آثار إقامة الصلاة

الصلاة هي أجمع العبادات؛ إذ قد جمعت ما لا يجمعه غيرها من العبادات، من عبادة اللسان، والجنان بالقرآن، والذكر والاستكانة، والشكر والدعاء، وظهور أثر العبودية للمعبود بالركوع والسجود، وجعل أعلى موضع وأشرفه على أدنى موضع وأخفضه، وهي كفارة^(٥)، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الصلوات الخمس

(١) جواهر الكلام: ج ٧، ص ٤٣.

(٢) الإسراء: آية ٩.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٧٤، ح ٢.

(٤) التوبة: آية ١٠٣.

(٥) أنظر: جواهر الكلام: ج ٧، ص ٤.

كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وهي التي قال الله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ﴾^(١).

وعن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «إنَّما مثل هذه الصلوات الخمس مثل نهر جارٍ بين يدي باب أحدكم يغتسل منه في اليوم خمس اغتسالات، فكما ينقى بدنه من الدرن بتواتر الغسل، فكذا ينقى من الذنوب مع مداومته الصلاة، فلا يبقى من ذنوبه شيء»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «للمصلي ثلاث خصال: إذا قام في صلاته: يتناثر عليه البرّ من أعنان السماء إلى مفرق رأسه، وتحفّ به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء، وملك ينادي: أيها المصلي! لو تعلم مَنْ تناجي ما انفتلت»^(٣)، ويكفي ما نطق به القرآن الكريم، حيث قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(٤)، ولو لم تكن للمصلين إلا هذه الصفة - صفة الفلاح - لكان فيه الفوز في الدنيا والآخرة.

والحديث الذي افتتحنا به الكلام، أكبر دليل على أهمية الصلاة؛ إذ يقول النبي الأكرم ﷺ: «لا يزال الشيطان هائباً ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس»، يعني الشيطان لا يقرب المصلين الحقيقيين الذين يحافظون على صلاتهم بكل شروطها وأجزائها، وبهذا يكون الإنسان المصلي قريباً من العصمة في باقي ما أوجب عليه الباري عز وجل، وحينئذ لا يتردد في صيام شهر رمضان؛ لأنّ الشيطان لا يدنو منه حتّى يمنعه عن الصيام، وهكذا سائر الأعمال الواجبة والمحرّمة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٥).

(١) دعائم الإسلام: ج ١، ص ١٣٥، عنه مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ١٥، ح ٧، وفيه بدل (اجتنبت) كلمة (اجتنب).

(٢) أمالي الشيخ المفيد: ص ١٨٩، ح ١٦، عنه بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٢٢٣، ح ٤٥.

(٣) ثواب الأعمال: ص ٣٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٢١٥، ح ٣٠.

(٤) المؤمنون: آية ١-٢.

(٥) العنكبوت: آية ٤٥.

وأما إذا ضيَّع الإنسان المسلم صلاته؛ فمعنى هذا أنه قد ضيَّع هويَّته، وبقي عارياً،
ويقبل بأي لباس يُحاط له، حتَّى ولو كان هذا اللباس على خلاف ذوقه ورغبته.
ومن هنا ركَّز القرآن الكريم والرسول العظيم ﷺ وعترته الطاهرون ﷺ على
الاهتمام بالصلاة، والتحذير من تركها.

عقاب تاركي الصلاة

ذكرنا الثواب الذي يهبه الله تبارك وتعالى للمصلين، وأهمِّية الصلاة بالنسبة إلى
باقي العبادات، وكيف أنَّ النبي الأكرم ﷺ يصف الشيطان بالخوف والدَّعر، ما دام
المؤمن محافظاً على صلاته.

والآن ننتقل إلى المقطع الآخر من الحديث الشريف للنبي الأكرم ﷺ الذي
افتتحنا به الكلام، وهو: «فإذا ضيَّعُهنَّ تجرَّأ عليه فألقاه في العظام» والظاهر أنَّ المقصود
من تضييع الصلاة، هو المعنى الواسع، الشامل لعدم أداء الصلاة، وعدم الاهتمام بها
وبشرائها وبأجزائها، فيكون الحديث على غرار حديث الاستخفاف المروي عن
صادق العترة الطاهرة ﷺ الذي جاء فيه «إنَّ شفاعتنا لا تنالُ مُستخفَّاً بالصلاة»^(١)،
الشامل للشخص التارك للصلاة، و الساهي واللاهي أثناء الصلاة، والمؤخَّر لها عن
وقتها، ومَن لا يعلم مواضع الخلل فيها أو شروطها وأجزائها، وغير ذلك ممَّا هو
مطلوب فيها، فإذا ضيَّع الإنسان الصلوات الخمس، طمع فيه الشيطان وتجرَّأ عليه،
فألقاه في العظام، فترك ما افترض الله عليه، وأتى بما نهاه الباري عنه، وحينئذٍ يكون قد
خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٧٢، ح ١٠. مَن لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٠٦، ح ٦١٨. بحار
الأنوار: ج ٨٠، ص ١٩، ح ٣١، عن الأمالي.

عقوبة المتهاون بصلاته

وللتهاون بالصلاة عدّة عقوبات، تجمعها هذه الرواية الشريفة المروية عن سيّدة النساء، فاطمة الزهراء عليها السلام، أنّها سألت أباه رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: «يا أبتاه، ما لمن تهان بصلاته من الرجال، والنساء؟ قال: يا فاطمة، من تهان بصلاته من الرجال والنساء، ابتلاه الله بخمسة عشر خصلة، ست منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره.

فأما اللواتي تصيبه في دار الدنيا: فالأولى: يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله سيئات الصالحين من وجهه، وكلّ عمل يعمل لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظ في دعاء الصالحين.

وأما اللواتي تصيبه عند موته: فأولاهن: أنّه يموت ذليلاً، والثانية: يموت جائعاً، والثالثة: يموت عطشاناً، فلو سقي من أنهار الدنيا لم يروّ عطشه.

وأما اللواتي تصيبه في قبره: فأولاهن: يوكل الله به ملكاً يزعه في قبره، والثانية: يضيق عليه قبره، والثالثة: تكون الظلمة في قبره.

وأما اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره: فأولاهن: أن يوكل الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه، والثانية: يحاسبه حساباً شديداً، والثالثة: لا ينظر الله إليه، ولا يزيّكه، وله عذابٌ أليم^(١).

فهذه هي عقوبة التهاون بالصلاة التي دافع عنها رسول الله صلى الله عليه وآله، ودافع عنها أهل بيته عليهم السلام، ومن أبرز تلك المواطن التي دافع فيها أهل البيت عليهم السلام عن الصلاة ما كان يوم عاشوراء، لما أقبل أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وقال: «يا أبا عبد الله، نفسي لك الفداء، إنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأحبّ أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها. قال: فرفع الحسين رأسه،

(١) مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٢٣-٢٤، ح ١.

ثم قال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم، هذا أول وقتها. ثم قال: سلوهم أن يكفّوا عنا حتى نُصَلِّي، فقال لهم الحصين بن تميم: إنما لا تُقبل، فقال له حبيب بن مظاهر: لا تُقبل، زعمت الصلاة من آل رسول الله ﷺ لا تُقبل وتُقبل منك يا حمار^(١). سيّدي يا أبا عبد الله، أنت صليت الظهر، لكن القوم بعدها صلّوا عليك بسيوفهم ورماحهم، وبكلّ ما عندهم من خبث وحقد دفين، وترات لأبيك أظهره ذاك اليوم...

ورحم الله السيد رضا الهندي، حيث يقول:

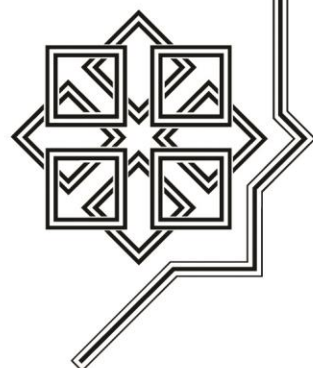
فغدا لساجدة الطُّبى محرابا	صلّت على جسم الحسين سيوفهم
ظلاً ولا غير النجيع شرابا	ومضى هيفاً لم يجد غير القنا
لو مسّت الصخر الأصم لذابا	ظمان ذاب فؤاده من غلة
عريان تكسوه الدماء ثيابا	لهفي لجسمك في الصعيد مجرّداً
ودّت لجسمك لو تكون ترابا	تربّ الجبين وعين كلّ موحد
يكسوه من أنواره جلبابا	لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا
رفعوا به فوق السنان كتابا	يتلو الكتاب على السنان وإنما
عزلوا الرؤوس وأمروا الأذنا	وليك دين محمد من أمة
من آل أحمد يستذلّ رقابا	هذا ابن هند وهو شر أمة
من خدرها وسكينة وربابا	ويصون نسوته وييدي زينباً
ذلاً وتركبها النياق صعابا	لهفي عليها حين تأسرها العدى
حاشا المهابة والجلال حجابا ^(٢) .	سلبت مقانعها وما أبقت لها

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) ديوان السيد رضا الهندي: ص ٤٣.

الحاضرة الخامسة

ذكر المؤلف



قال عليه السلام: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(١).

إنَّ لسان محاسن كثيرة، وإن كانت مساوؤه ليست بالقليلة.

ومن محاسن اللسان: الصدق، وقراءة القرآن الكريم، والأذكار، والأدعية، والصلوات، وغير ذلك مما هو كثير.

ونحن نتناول هنا موضوع الذِّكْر الذي أمرتنا به الآية المباركة.

والذِّكْر معنى يقابل النسيان، وقد يكون باللسان، وقد يكون بالقلب، وقد يكون بسائر الجوارح، إذا أطاع الله تبارك وتعالى بها.

الذِّكْر باللسان

أمَّا الذِّكْر باللسان، فهو أن يحمّد الإنسان ربّه، ويُسَبِّحه ويمجّده، ويقرأ كتابه، فقد ورد في القرآن العزيز أنَّ القلوب تطمئن بذكر الله تبارك وتعالى، حيث قال عزّ من قائل: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢)، وذكره جلّ وعلا لا يقتصر على كيفية خاصّة، فقد يكون بالتكبير أو التهليل، أو الحمد أو الحوقلة^(٣)، أو الصلاة على محمّد وآل محمّد، أو قراءة القرآن الكريم، وفي كلّ هذه الأذكار، لا بدّ من التوجّه والإخلاص، لكن المهم أن يكون المؤمن لسانه رطباً من ذكر الله تبارك وتعالى الذي هو أفضل الأعمال، فقد سئل النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله: أيّ الأعمال أفضل عند الله؟ قال: «قراءة القرآن، وأن تموت ولسانك رطبٌ من ذكر الله تعالى»^(٤).

(١) الأحزاب: آية ٤١-٤٢.

(٢) الرعد: آية ٢٨.

(٣) الحوقلة: قولك: (لا حول ولا قوّة إلا بالله).

(٤) تفسير مجمع البيان: ج ٨، ص ٣٠. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ١٦٢، ح ٦٢. بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ٢٠.

ومن خصائص الذكر لله تبارك وتعالى، أنه ليس له حدٌ ولا زمان، بخلاف بقية الفرائض، وهذا المعنى قد صرح به إمامنا الصادق عليه السلام، حيث قال: «ما من شيءٍ إلا وله حدٌ ينتهي إليه إلا الذكر، فليس له حدٌ ينتهي إليه، فرض الله ﷻ الفرائض، فمن أداهن فهو حدهنَّ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حده، والحجَّ فمن حجَّ فهو حده، إلا الذكر؛ فإن الله ﷻ لم يرخص منه بالقليل، ولم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ثم تلا هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ فقال: لم يجعل الله ﷻ له حدًّا ينتهي إليه، قال: وكان أبي عليه السلام كثير الذكر، لقد كنتُ أمشي معه، وإنه ليذكر الله، وأكل معه الطعام، وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم [و] ما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه، يقول: لا إله إلا الله. وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا، ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر.

والبيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويُذكر الله ﷻ فيه تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء، كما يضيء الكوكب الدري لأهل الأرض، والبيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن، ولا يُذكر الله فيه تقلُّ بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، وقد قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم أرفعها في درجاتكم، وأزكاها عند مليكمكم، وخير لكم من الدينار والدرهم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ فقالوا: بلى، فقال: ذكر الله ﷻ كثيراً، ثم قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: من خير أهل المسجد؟ فقال: أكثرهم لله ذكراً. وقال رسول الله ﷺ: من أعطي لساناً ذاكرةً فقد أُعطي خير الدنيا والآخرة. وقال: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ قال: لا تستكثر ما عملت من خير لله^(١).

والملفت للنظر في أهمية الذكر، أن القرآن يؤكّده حتى عند الانتهاء من سائر ما افترضه على العباد وحده لهم؛ لأجل أن يشتغلوا في طاعته، ويتعدوا عن معصيته التي

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٩، ح ١. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٢٨٥، ح ١٤٧، عن الكافي.

تلازم - في الأعم الأغلب - الفراغ، وهذا صريح قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْمْ مِّنْ سَكَّكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾^(١).

وعن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «مَنْ عَلَّمَ وَلَدًا لَهُ الْقُرْآنَ قَلَّدَهُ اللَّهُ الْأُولُونَ وَالْآخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وقد حذر النبي الأكرم ﷺ من ترك القرآن في البيت بلا قراءة، فقد قال ﷺ: «الغرباء في الدنيا أربعة: قرآن في جوف ظالم، ومسجد في نادي قوم لا يُصلي فيه، ومصحف في بيت لا يُقرأ فيه، ورجل صالح مع قوم سوء»^(٣).

ومن المناسب أن أذكر هنا، هذه المعجزة التي وقعت في عصرنا الحاضر، كان أحد المشايخ يعاني من ضعفٍ شديدٍ في النظر، وكانت النظارة التي يضعها على عينيه ذات عدسات سميكة، راجع الشيخ طيب العيون فخصَّص له درجة نظره، وحذّره من أن عينه تتجه نحو المزيد من الضعف، فلا بدّ من الإلتباه لهذا الأمر قبل فوات الأوان.

وبعد سنة قضاها هذا الشيخ في تدوين وترتيب كتاب تفسير القرآن الكريم، راجع الطبيب مرّةً أخرى، فلمّا فحص الطبيب عينه وجدها متحسّنة عمّا كانت عليه العام الماضي، فاندھش الطبيب، وسأله: ماذا صنعت خلال العام الماضي؟ هل راجعت طبيباً آخر، أو استعملت أدويةً مُعيّنة؟

قال الشيخ: نعم، راجعتُ القرآن الكريم، فقد صرت أقرأ في آيات وكلمات هذا الكتاب العظيم. وعندنا في الأحاديث الشريفة أنّ النظر إلى كتاب الله الحكيم يوجب جلاء البصر، وقوّة النظر وشفاء العين.

(١) البقرة: آية ٢٠٠.

(٢) كنز العمال: ج ١، ص ٥٣٣، ح ٢٣٨٦.

(٣) الجامع الصغير: ج ٢، ص ٢٠٣، ح ٥٧٩١.

فأخذ الطبيب بيد الشيخ وجاء به إلى غرفة الانتظار، وشرح للحاضرين هذه القصة، وقال: إنها معجزة القرآن الكريم^(١).

ومن أقسام الذكر أيضاً المهمة (الصلاة على محمد وآل محمد).
قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

وفي الروايات الشريفة أنها تذهب النفاق، فعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: الصلاة على وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق. وأنها أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة»^(٣).

وقال عليه السلام: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً لَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ ذَرَّةٌ»^(٤).
وعنه عليه السلام: «وَأَجْفَى النَّاسِ رَجُلٌ ذُكِرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(٥).
وعنه عليه السلام أنه قال: «حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي»^(٦).
وعنه عليه السلام أيضاً: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ»^(٧).

والخلاصة: إن الصلاة على النبي وأهل بيته الطاهرين المعصومين من أعلى مراتب الذكر، ولأثقل لك هذا الشاهد والمؤيد -بالإضافة إلى ما سمعته من الروايات الشريفة - يقول أحد المؤمنين الموثوقين: كنت متعوداً على ذكر (اللهم صل على محمد وآل محمد)،

(١) أنظر: الأخلاق والآداب الإسلامية: ص ٧٧-٧٨.

(٢) الأحزاب: آية ٥٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٧، ص ١٥١، ح ٢.

(٤) معارج اليقين في أصول الدين: ص ١٥٣، ح ٤. مستدرک الوسائل: ج ٥، ص ٣٣٤، ح ١٣.

(٥) أدب الإملاء والاستملاء: ص ٧٨، مع اختلاف يسير. منية المريد: ص ٣٤٧، عنه بحار الأنوار:

ج ٩١، ص ٧١، ح ٦٥. إعانة الطالبين: ج ١، ص ١٣.

(٦) كنز العمال: ج ١، ص ٤٨٩، ح ٢١٤٧.

(٧) بحار الأنوار: ج ١٩، ص ٧١.

وهذا الذكر دائماً على لساني، وفي يوم من الأيام كنتُ في إحدى الحسينيات استمع إلى الخطيب يقول: بأنّه ينادي يوم القيامة منادٍ، يقول: أين قراء سورة الإخلاص؟ فيؤمر بهم إلى الجنة من خلال باب خاصّ بهم، فقررت أن أقرأ سورة الإخلاص بدلاً من ذكر الصلاة على محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، وبدأت بسورة الإخلاص، وفي الليل كنت نائماً، وفي عالم الرؤيا شاهدت نفسي في يوم القيامة، وشاهدت طابوراً طويلاً جداً من الناس واقفين بانتظار دورهم للدخول إلى الجنة، فسألت: ما هذا الطابور؟ فقبل لي: بأنّ هذا طابور قراء سورة الإخلاص، فوقفت معهم باعتبار إنني صرت من قراء سور الإخلاص.

فجاءني ملك، وقال: لست أنت من قراء سورة الإخلاص، وإنما أنت من قراء الصلوات على محمد وآل محمد، وأنّ مكانك ليس هنا، بل اذهب إلى ذلك الطابور. فنظرت فوجدت طابوراً قصيراً، فيه قليل من الناس، وهم يدخلون إلى الجنة بسرعة، فذهبت إليهم ووقفت في طابور الصلوات على محمد وآل محمد، فقامت من النوم، وعرفت فضل ومنزلة الصلوات على محمد وآل محمد^(١).

ومن أقسام الذكر أيضاً التسبيح، وبالخصوص تسبيح الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.

أهمية تسبيح الزهراء عليها السلام

هناك روايات عديدة أشارت إلى أهمية هذا التسبيح، وأنّه لولا أهميته وعظمته منزلته لما وهبه رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة، ففي الرواية الشريفة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما عبد الله بشيء من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام»^(٢).

(١) أنظر: الأخلاق والأدب الإسلامية: ص ٧٩.

(٢) الكافي: ج ٣، ص ٣٤٣، ح ١٤. تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ١٠٥، ح ١٦٦. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٦٤، ح ٥٦، عن الكافي.

وفي روايةٍ أخرى: «تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله ﷻ: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾»^(١).

وفي روايةٍ ثالثةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام في كلّ يومٍ في دبر كلّ صلاة، أحبّ إليّ من صلاة ألف ركعة في كلّ يوم»^(٢).
وكيفيّته: أن يكبر الله أربعاً وثلاثين مرّةً، ويحمده ثلاثاً وثلاثين مرّةً، ويسبّحه كذلك.

وفي الرواية أنّ ابن فرقد يروي عن أخيه: «أنّ شهاب بن عبد ربّه سألنا أن نسأل أبا عبد الله عليه السلام، وقال: قل له: إنّ امرأةً تفزعني في المنام بالليل. فقال عليه السلام: قل له: اجعل مسبحاً (أي تسبيحاً)، وكبر الله أربعاً وثلاثين، وسبّح الله ثلاثاً وثلاثين، واحمده ثلاثاً وثلاثين»^(٣).
وما ذكرته هذه الرواية، هو كيفيّة أخرى لهذا التسبيح الشريف؛ إذ قدّمت التسبيح على التحميد، وإن كان الأولى الأول، كما أفتى به جملة من الأعلام^(٤)، ولعلّه المشهور بينهم.

وفي بعض الروايات أن تسبيح الزهراء عليها السلام مئة في اللسان، وألف في الميزان^(٥).
ومن جملة الأذكار الاستغفار، وهو لا يقل مرتبة وشأناً عن الأذكار السابقة، بل هو مفتاح كلّ خير، ويكفي في فضله قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٦).

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٠٠، ح ٤. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٢٨٦، ح ١٥٠.

(٢) ثواب الأعمال: ص ١٣٦. تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ١٠٥، ح ١٦٧.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٥٣٧، ح ٧. وسائل الشيعة: ج ٦، ص ٤٥٠، ح ٩.

(٤) أنظر: العروة الوثقى: ج ١، ص ٥٤٨.

(٥) أنظر: ثواب الأعمال: ص ١٦٣، عنه بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ٣٣٢، ح ١٠.

(٦) نوح: آية ١٠-١٢.

فقد رُتبت الآية عدّة نتائج على الاستغفار:

أولها: المغفرة.

وثانيها: تنزيل الأمطار الكثيرة.

وثالثها: الرزق الواسع من الأموال والبنين.

ورابعها: - وهو منى كلّ متمني - الجنّات والأنهار، وهو النعيم الدائم.

وروي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «تعتّروا بالاستغفار؛ لا تفضحكم روائح الذنوب»^(١).

وقال عليه السلام: «الاستغفار يزيد في الرزق»^(٢)، وهو يؤيّد الآية المتقدّمة.

وروي بسندٍ معتبر، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يقوم من مجلسٍ، وإن خفّ، حتّى يستغفر الله سبحانه خمساً وعشرين مرّةً»^(٣).

وروي بسندٍ معتبر أيضاً عنه عليه السلام أنّه قال: «مَنْ عمل سيئةً أجَلَ فيها سبع ساعات من النهار، فإن قال: (استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم) ثلاث مرات لم تكتب عليه»^(٤).

وعنه عليه السلام أنّه قال: «مَنْ قال: (استغفر الله) مائة مرّة في كلّ يوم، غفر الله سبحانه له سبعائة ذنب، ولا خير في عبدٍ يذنب في يوم سبعائة ذنب»^(٥).

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «ما من مؤمنٍ يقارف في يومه وليلته أربعين

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٣٧٢، ح ٥٢. شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ٢٨١، ح ٢٢٥، مع اختلاف يسير. بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢٢، ح ١٨، عن الأمالي، وج ٩٠، ص ٢٧٨، ح ٧، عنه أيضاً.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٢٧٧، ح ٤.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٥٠٤، ح ٤. مكارم الأخلاق: ص ٣١٣. عدّة الداعي: ص ٢٥٠. بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٥٨، ح ٤٠، عن الكافي، وج ٩٠، ص ٢٨١، ح ٢٢، عن مكارم الأخلاق.

(٤) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٣٧، ح ٥. كتاب الزهد: ص ٧١، ح ١٩٠، عنه بحار الأنوار: ج ٦، ص ٣٨، ح ٦٥، وج ٩٠، ص ٢٨٢، ح ٢٤، عنه أيضاً.

(٥) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٣٩، ح ١٠. المقنع: ص ٢٩٥. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٨٥، ح ٣.

كبيرةً، فيقول وهو نادم: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، وأسأله أن يُصليّ على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، وأن يتوب عليَّ. إلا غفرها الله ﷻ له، ولا خير فيمن يقارف في يومٍ أكثر من أربعين كبيرة^(١).
وعنه عليه السلام أنه قال: «إنَّ رسول الله ﷺ كان يتوب إلى الله كلَّ يوم سبعين مرّة من غير ذنب»^(٢).

وهناك أذكار عديدة، يمكن للإنسان أن يواظب عليها، أمثال التهليل والتسبيحة الكبرى، وهي: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، وفضلها كبير، وثوابها جزيل، فعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «مَنْ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. خلق الله منها أربعة أطيّار تسبّحه وتقدّسه وتهلله إلى يوم القيامة». وفي رواية محمد بن مروان، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا قال العبد: سبحان الله. فقد أنف لله، وحقّ على الله أن ينصره»^(٣).

وبغیرها من الأذكار الكثيرة التي يمكن للإنسان المؤمن أن يواظب عليها، هذا كلّ بالنسبة إلى ذكر الله تبارك وتعالى باللسان.

وأما ذكره بالقلب: فهو أن يكون الله سبحانه وتعالى حاضراً عنده، في كلّ أفعاله وأقواله وسكنته، وأن يتفكّر في مخلوقاته العجيبة، وصنائه العظيمة، وأسرارها الدقيقة، والتفكّر في الدلائل الدالة على ذاته وصفاته، والتفكّر في أحكامه - عزّ اسمه - وتكاليفه، وأوامره ونواهيه، والوعد والوعيد، والجنة والنار، والموت والحياة، وكلّ ما يدلّ عليه تبارك وتعالى.

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٣٨-٤٣٩، ح ٧. ثواب الأعمال: ص ٥٤٠، ح ١٢. الخصال: ص ١٦٩.

بحار الأنوار: ج ٨٤، ص ١، ح ٢، عن الخصال، مع اختلاف يسير.

(٢) قرب الإسناد: ص ١٦٩، ح ٦١٨. الكافي: ج ٢، ص ٤٥٠، ح ١. كتاب الزهد: ص ٧٣، ح ١٩٥، عنه حلية

الأبرار: ج ١، ص ٢٦٩، ح ١. بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٨٣، ح ١٣٢. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٥٨١، ح ٩٩.

(٣) المحاسن: ج ١، ص ٣٧، ح ٣٦.



وأما الذكر بالجوارح: فهو الإتيان بجميع ما أمر به ﷻ، والانتهاز عن جميع ما حرّمه (تقدّست أسماؤه).

ثمرات الذكر

هناك عدّة ثمرات مترتبة على الذكر بأنواعه الثلاث - ذكر اللسان والقلب والجوارح - ويمكن تلخيصها بما يلي:

١ - حياة القلوب ومفتاح الصلاح: ففي الرواية الشريفة المروية عن النبي الأكرم ﷺ: «بذكر الله تحيى القلوب»^(١)، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مداومة الذكر قوت الأرواح، ومفتاح الصلاح»^(٢)، وغيرها من الروايات الشريفة التي ندبت إلى ذكر الله تعالى سرّاً وعلانيةً^(٣).

٢ - مطردة الشيطان: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «ذكر الله مطردة الشيطان»^(٤).

٣ - حبّ الله للذاكر والبراءة له من النار والنفاق: فعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله ﷺ: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ ﷻ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»^(٥).

٤ - انشراح الصدر: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الذكر يشرح الصدر»^(٦).

(١) تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١٢٠.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٨٧.

(٣) أنظر: وسائل الشيعة: ج ٧، ص ١٦٣، باب استحباب ذكر الله في النفس وفي السرّ، واختياره على الذكر علانية.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٥٥.

(٥) تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٢٨٦، ح ١٤٩.

(٦) عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٢.

أماكن ينبغي إكثار الذكر فيها

هناك عدّة أماكن وحالات أمرنا النبي ﷺ، والأئمة الأطهار عليهم السلام بإكثار الذكر فيها، إمّا لكثرة غفلة الناس فيها، أو لكثرة الشياطين، أو غير ذلك، ومنها:

١ - عند الغضب: فعن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «أوحى الله إلى نبي من أنبيائه: ابن آدم، اذكرني عند غضبك، أذكرك عند غضبي»^(١).

٢ - عند دخول الأسواق: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أكثرُوا ذكر الله ﷻ إذا دخلتم الأسواق، [و]»^(٢) عند اشتغال الناس؛ فإنّه كفارة للذنوب، وزيادة في الحسنات، ولا تكتبوا في الغافلين»^(٣).

٣ - الخلوات وعند اللذات: فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «في التوراة مكتوب... يا موسى... اذكرني في خلواتك، وعند سرور لذاتك، أذكرك عند غفلتك»^(٤).

٤ - في الحرب: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إذا لقيتم عدوّكم في الحرب فاقولوا الكلام، وأكثرُوا ذكر الله ﷻ»^(٥).

٥ - عند المصيبة وعند ما حرّم الله: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الذكر

(١) كنز الفوائد: ص ٥٦. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٨٤، وص ٣١٤. بحار الأنوار: ج ٧٢،

ص ٣٢١، ح ٥٠، عن الكنز.

(٢) بعض المصادر الآتية خالية من الواو.

(٣) الخصال: ص ٦١٤، ضمن حديث الأربعمائة، ومثله في تحف العقول: ص ١٠٤. عيون الحكم والمواعظ: ص ٩٢. بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٩٢، ضمن الحديث الأربعمائة.

(٤) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٣٢٧، ح ٧. أمالي الشيخ المفيد: ص ٢١٠، ح ٤٦. قصص الأنبياء (الراوندي): ص ١٦٧. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٣٢٨، ح ٦، عن أمالي الشيخ الصدوق.

(٥) الكافي: ج ٥، ص ٤٢، ح ٥، الخصال: ص ٦١٧، ضمن حديث الأربعمائة، ومثله في تحف العقول: ص ١٠٧. مكارم الأخلاق: ص ١٤٨. عيون الحكم والمواعظ: ص ١٣٨. تفسير نور الثقلين: ج ٢،

ص ١٣٨، ح ٣٥. بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٩٥، ضمن حديث الأربعمائة عن الخصال.

ذكران: ذكر عند المصيبة حسن جميل، وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرّم الله؛ فيكون ذلك حاجزاً^(١).

وذكر الله تبارك وتعالى عند المصيبة، لعلك لا تجد أحداً جسّده بأجلى مظهره، كما جسّده أهل البيت عليهم السلام على نحو العموم، والإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام على نحو الخصوص، وذلك عندما نزل به منزل، فدعا بدعائه العظيم، وهو آخر دعاء دعا به عليه السلام، يوم تكاثر عليه الأعداء وحاصروه، حيث يقول: «اللهم، متعالى المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غنيّ عن الخلائق، عريضُ الكبرياء، قادرٌ على ما تشاء، قريبُ الرّحمة، صادقُ الوعد، سابعُ النعمة، حسنُ البلاء...»^(٢).

وهكذا كان أبو عبد الله، يلهج بذكر الله تعالى إلى آخر أنفاسه الشريفة. الله أكبر! ومع هذا كله يقتله القوم وهم يكبرون الله!!

جاؤوا برأسك يا بنّ بنتِ محمدٍ مرملاً بدمائه ترميلاً
قتلوك عطشاناً ولم يترقّبوا في قتلِكَ التنزيل والتأويلاً
ويكبرون بأن قُتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلاً^(٣).

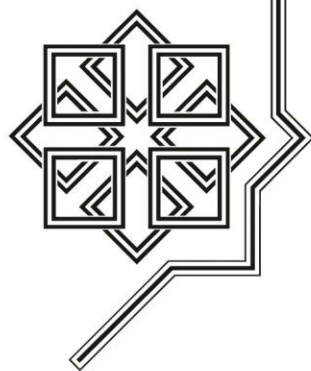
(١) تحف العقول: ص ٢١٦. الإختصاص: ص ٢١٨، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٩٣، ح ٤٨، وج ٧٥، ص ٥٥، ح ١١٠.

(٢) مصباح المتهجد: ص ٨٢٧. إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٠٤. المصباح: ص ٥٤٤. بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ٢٧٢.

(٣) الأبيات لخالد بن معدان الطائي، كما في أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٢٣، وج ٦، ص ٢٩٦، وجاء في المصدر: «خالد بن معدان الطائي، من فضلاء التابعين، لما شاهد رأس الحسين عليه السلام بالشام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه، فلما وجدوه بعد إذ فقدوه، سألوه عن سبب ذلك، فقال: ألا ترون ما نزل بنا. ثم أنشأ [هذه الأبيات]...».

الحافظة السادسة

حُسْنُ الْخُلُقِ



روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما يقدم المؤمن على الله عز وجل بعملٍ بعدَ الفرائض، أحبُّ إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه»^(١).

حُسْنُ الْخُلُقِ

حالة نفسية، تبعث على حسن معاشرة الناس، ومجاملتهم بالبشاشة، وطيب القول، ولطف المداراة، كما عرّفه الإمام الصادق عليه السلام، حينما سُئل عن حدّه، فقال: «تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك يبشر حسن»^(٢).

والمقصود بتليين الجناح: الـ «كناية عن عدم تأذي مَنْ يجاوره ويجالسه ويجاوره من خشونته، بأن يكون سلس الانقياد لهم، ويكفُّ أذاه عنهم، أو كناية عن شفقتهم عليهم، كما أنّ الطائر يبسط جناحه على أولاده؛ ليحفظهم ويكنفهم كقوله تعالى: ﴿وَآخِضٌ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾»^(٣).

وحسن الخلق من الأماني والآمال، التي يطمح إليها كلّ عاقل، ويسعى لكسبها وتحقيقها كلّ مؤمن مجاهد.

ومن الملفت للنظر، أنّ جميع المواهب والإمكانات، والقيم والفضائل، لا تكون مدعاةً للإعجاب والإكبار، وسمو المنزلة ورفعة الشأن إلا إذا اقترنت بحُسن الخلق، وازدانت بجماله الزاهر، ونوره الوضاء.

ومن هنا اهتمّت الشريعة الحنيفية بحُسن الخلق؛ لأنّه نظام عقد الفضائل وملاكها؛ ولذا مجّده أهل البيت عليهم السلام، وأكدوا على التمسك به بمختلف الأساليب

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٠٠، ح ٤، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٧٥، ح ٤.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٣، ح ٤، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٧١، ح ٣٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٧١.

التوجيهية المشوّقة^(١)، كما تصوّره النصوص التالية:

النصوص الدالة على أهمية حُسن الخلق

هناك جملة من النصوص دلّت على أهمية حُسن الخلق، منها ما ورد عن النبي الأكرم ﷺ، ومنها ما ورد عن أهل بيته الطاهرين ﷺ.

فعنه ﷺ أنّه قال: «أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله وحُسن الخلق»^(٢)، وقال ﷺ أيضاً: «أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً»^(٣).

وعنه ﷺ أنّه قال: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حُسن الخلق»^(٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الخلق الحسن يميّث الخطيئة، كما تميّث الشمس الجليلد»^(٥).

وقال عليه السلام: «البرّ وحُسن الخلق يُعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»^(٦).

وكفى بحُسن الخلق شرفاً وفضلاً، إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث رسلاً وأنبياءه إلى الناس إلّا بعد أن حلّاهم بهذه السجّية الكريمة، وزانهم بها، ففيه رمز فضائلهم، وعنوان شخصياتهم.

(١) أنظر: أخلاق أهل البيت عليه السلام: ص ١١-١٢.

(٢) سبل السلام: ج ٤، ص ٢١١. الخصال: ص ٧٨، ح ١٢٦. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٤١، ح ١٠٧. بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٢٨٨، ح ٢٠، عن الخصال.

(٣) المجموع: ج ١٦، ح ٤١٥. مغني المحتاج: ج ٣، ص ٢٦٠. إعانة الطالبين: ج ٣، ص ٤٢٩. تحف العقول: ص ٤٧. أمالي الشيخ الطوسي: ص ١٤٠، ح ٤٠، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٨٩، ح ٤٤.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٩٩، ح ٢، عنه وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٥١، ح ١٣. وبحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٤٩، ح ٧، ج ٦٨، ص ٣٧٤، ح ٢.

(٥) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٠٠، ح ٧. الجواهر السنية: ص ٣٣٤، عنه وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٤٩، ح ٦. بحار الأنوار: ج ٤، ص ٤٦٤، ح ٣٥، ج ٦٨، ص ٣٧٥، ح ٧.

(٦) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٠٠، ح ٨، عنه وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٤٩، ح ٥.

ولقد كان سيد المرسلين ﷺ المثل الأعلى في حُسن الخلق وغيره من كرائم الفضائل والخلال، واستطاع بأخلاقه الرفيعة أن يملك القلوب والعقول، واستحق بذلك ثناء الله تعالى عليه، بقوله عزّ من قائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١). وهو العامل بها قال، حيث قال ﷺ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ»^(٢).

وعبر عن ذلك القرآن الكريم، حيث قال عزّ وجل: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣)، ولكنّ النبيّ الأكرم ﷺ لم يكن غليظ القلب؛ ولذا لم ينفضوا من حوله، بل اجتمعت إليه العرب من كلّ حذب وصوب، وفيهم من جنّد الجيوش ضده، وحزب الأحزاب، وأخشن الكلام وأفحشه فيه، ومنهم من هجاه، وهو مع كلّ ذلك، لئن العريكة، سخيّ اليد، منشرح الصدر، وفيّ الذمّة، كريم العشرة.

وإليك وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام له ﷺ، فقد قال عليه السلام: «كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًّا، وَأَجْرَأَ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَوْفَاهُمْ ذِمَّةً، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمَهُمْ عَشْرَةً، مَنْ رَأَاهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مَثْلَهُ»^(٤). والشواهد على حُسن خلق النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام كثيرة، نتبرّك بذكر بعضها.

(١) القلم: آية ٤.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٢، ح ٩. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٥٨، ح ٢٠٤. من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٩٤، ح ٥٨٣٩. روضة الواعظين: ص ٣٧٦. الاختصاص: ص ٢٢٥. مشكاة الأنوار: ص ٣٦٩. العهود المحمّدية: ص ٤٦٥. الدرة الباهرة: ص ٢، ح ٢. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٢٩٤، بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٨٣، ح ١٩، عن الأمالي.

(٣) آل عمران: آية ١٥٩.

(٤) مكارم الأخلاق: ص ١٨. بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٣١. نظم درر السمطين: ص ٥٦.

من أخلاق النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ

قد طفحت الكتب والتواريخ والسير، من المؤلف والمخالف، ومن المسلمين وغيرهم بالأخلاق العظيمة للنبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين ﷺ. ويكفيك أن تضع يدك على بعضها؛ لتلمس الحقيقة بيدك.

منها: مارواه أنس قال: «كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه برد غليظ الحاشية، فجبذه أعرابي بردائه جبذةً شديدةً، حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد، احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك، ولا من مال أبيك، فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: المال مال الله، وأنا عبده. ثم قال: ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي؟! قال: لا. قال: لم؟ قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة. فضحك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أمر أن يُحمل له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر»^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنَّ يهودياً كان له على رسول الله ﷺ دنانير، فتقاضاه، فقال له: يا يهودي، ما عندي ما أعطيك. فقال: فإنِّي لا أفارقك يا محمد، حتى تقضييني. فقال: إذن أجلس معك. فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله يتهددونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله إليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟! فقالوا: يا رسول الله، يهودي يحبسك! فقال: لم يبعثني ربي ﷺ بأن أظلم معاهداً ولا غيره. فلما علا النهار، قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله، ما فعلت بك الذي فعلت، إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإنِّي قرأت نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وليس بفظ ولا غليظ، ولا سخّاب، ولا متزّين بالفحش،

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج ١، ص ١٠٨.

ولا قول الخنا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأَنَّك رسول الله، وهذا مالي فاحكم فيه بما أنزل الله. وكان اليهودي كثيرَ المال»^(١).

وهكذا كان الأئمة المعصومون من أهل البيت عليهم السلام في مكارم أخلاقهم، وسمو آدابهم، وقد حمل الرواة إلينا صوراً رائعة، ودروساً خالدة من سيرتهم العطرة، وأخلاقهم الفذة.

ومن ذلك ما رواه الرواة عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، من أنه قال: «أعرف الناس بحقوق إخوانه، وأشدّهم قضاءً لها أعظمهم عند الله شأنًا، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين، ومن شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام حقًا، ولقد ورد على أمير المؤمنين عليه السلام أخوان له مؤمنان، أب وابن، فقام إليهما، وأكرمهما، وأجلسهما في صدر مجلسه، وجلس بين أيديهما، ثم أمر بطعام فأحضر، فأكلا منه، ثم جاء قنبر بطست، وإبريق خشب، ومنديل لليس^(٢)، وجاء ليصب على يد الرجل ماءً، فوثب أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ الإبريق ليصب على يد الرجل، فتمرّغ الرجل في التراب وقال: يا أمير المؤمنين، الله يراني وأنت تصب على يدي؟! قال: اقعد واغسل يدك، فإن الله يعلم يراك وأخوك الذي لا يتميز منك، ولا يتفضّل عليك يخدمك، يريد بذلك في خدمه في الجنة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حسب ذلك في ممالكه فيها. فقعد الرجل، فقال له علي عليه السلام: أقسمت عليك بعظيم حقّي الذي عرفته وبجلّته، وتواضعك لله بأن ندبني لما شرفك به من خدمتي لك، لما غسلت مطمئنًا، كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبرًا، ففعل الرجل. فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية، وقال: يا بني، لو كان هذا الابن حضرنى دون أبيه

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٥٢، ح ٧. حلية الأبرار: ج ١، ص ٢٠٣، ح ٥. بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١٦-٢١٧، ح ٥، عن الأمالي. وأنظر: المستدرک على الصحيحين: ج ٢، ص ٦٢٢. كنز العمال: ج ١٢، ص ٤٠٨-٤٠٩، ح ٣٥٤٤٣. تاريخ مدينة دمشق: ج ١، ص ١٨٤.

(٢) (ليس) في نسخة، وليس: خلّق - بال من كثرة الاستعمال، وفي نسخة: (ليلبس).

لصببت على يده، ولكن الله يأبى أن يسوي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صبّ الأب على الأب، فليصبّ الابن على الابن، فصبّ محمد بن الحنفية على الابن. ثم قال الحسن العسكري عليه السلام: «فَمَنْ اتَّبَعَ عَلِيًّا عليه السلام عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ الشَّيْعِيُّ حَقًّا»^(١).

وروي أيضاً في أخلاقهم عليهم السلام: «وقف على عليّ بن الحسين عليه السلام رجلٌ من أهل بيته، فأسمعه وشتمه، فلم يكلمه، فلما انصرف قال لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا ردّي عليه. قال: فقالوا له: نفعل، ولقد كنّا نحبّ أن تقول له ونقول، قال: فأخذ نعليه ومشى وهو يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾»^(٢)، فعلمنا أنه لا يقول له شيئاً، قال: فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به فقال: قولوا له: هذا عليّ بن الحسين. قال: فخرج إلينا متوتّباً للشرّ، وهو لا يشكّ أنه إنّما جاءه مكافئاً له على بعض ما كان منه، فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يا أخي، إنّك كنتَ قد وقفتَ عليّ أنفأً فقلتَ وقلت، فإن كنتَ قلتَ ما فيّ، فأستغفر الله منه، وإن كنتَ قلتَ ما ليس فيّ، فغفر الله لك. قال: فقبّل الرجل ما بين عينيه، وقال: بل قلتُ فيك ما ليس فيك، وأنا أحقّ به. قال الراوي للحديث: والرجل هو الحسن بن الحسن^(٣).

وإذا أراد الإنسان أن يعرف مدى أهميّة حُسن الخلق عند الله تبارك وتعالى، فليُنظر للحديث التالي المروي عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام أنه قال: «ثلاثة نفر آلوا (أقسموا) باللات والعزّى؛ ليقْتلوا محمداً صلى الله عليه وآله، فذهب أمير المؤمنين وحده إليهم، وقتل واحداً منهم،

(١) الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٦٨، عنه بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٥٦٥٥، ح ٥.

(٢) آل عمران: آية ١٣٤.

(٣) الإرشاد: ج ٢، ص ١٤٥، وجاء في الهامش: «ذكره مختصراً ابنُ شهر آشوب في المناقب ٤: ١٥٧، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤: ٣٩٧، وفي هامشه عن ابن عساكر ١٢: ٢٤، وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٢٤٠، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٤٦: ٥٤، ح ١».

وجاء بآخرين، فقال النبيُّ: قَدِّمَ إِلَيَّ أَحَدَ الرجلين، فَقَدَّمَهُ فقال: قل: لا إله إلا الله، واشهد أَنِّي رسول الله. فقال: لنقلِ جبل أبي قبيس أحبَّ إِلَيَّ من أن أقول هذه الكلمة. قال: يا علي، آخِرُهُ واضرب عنقه. ثمَّ قال: قَدِّمَ الآخَرَ، فقال: قل: لا إله إلا الله، واشهد أَنِّي رسول الله. قال: ألحقني بصاحبي. قال: يا علي، آخِرُهُ واضرب عنقه. فَأَخْرَهُ وقام أمير المؤمنين ليضرب عنقه. فنزل جبرئيل على النبيِّ ﷺ فقال: يا محمد، إِنَّ رَبَّكَ يقرئك السلام، ويقول: لا تقتله؛ فَإِنَّهُ حسن الخلق، سخيٌّ في قومه. فقال النبيُّ ﷺ: يا علي، أمسك، فَإِنَّ هذا رسول ربي يخبرني أَنَّهُ حسن الخلق، سخيٌّ في قومه. فقال المشرك تحت السيف: هذا رسول ربك يخبرك؟ قال: نعم. قال: والله، ما ملكت درهماً مع أخٍ لي قط، ولا قطبْتُ وجهي في الحرب، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وَأَنَّكَ رسول الله. فقال رسول الله: هذا مَن جرَّه حسن خلقه وسخائه إلى جنات النعيم»^(١).

وهكذا كانت أخلاق سيد الشهداء عليه السلام حتى مع ألد أعدائه في يوم عاشوراء، فقد كانت سيرته الشريفة الطيبة تشهد برحمته التي طبقت الآفاق، وشملت الناس جميعاً، «ينظر إلى القوم الذين احتوشوه استعداداً لقتله ويبيكي! سألته أخته زينب لماذا البكاء؟ قال: أبكي لهؤلاء القوم الذين يدخلون النار بسببي، هل رأيتم إنساناً يبكي على عدوه الذي يظلمه؟!... لم يكن هذا إلا من الأنبياء»^(٢).

فأنظر إلى رحمته عليه السلام، ولكن في نفس الوقت أنظر إلى قساوة أعدائه.. الله أكبر!!

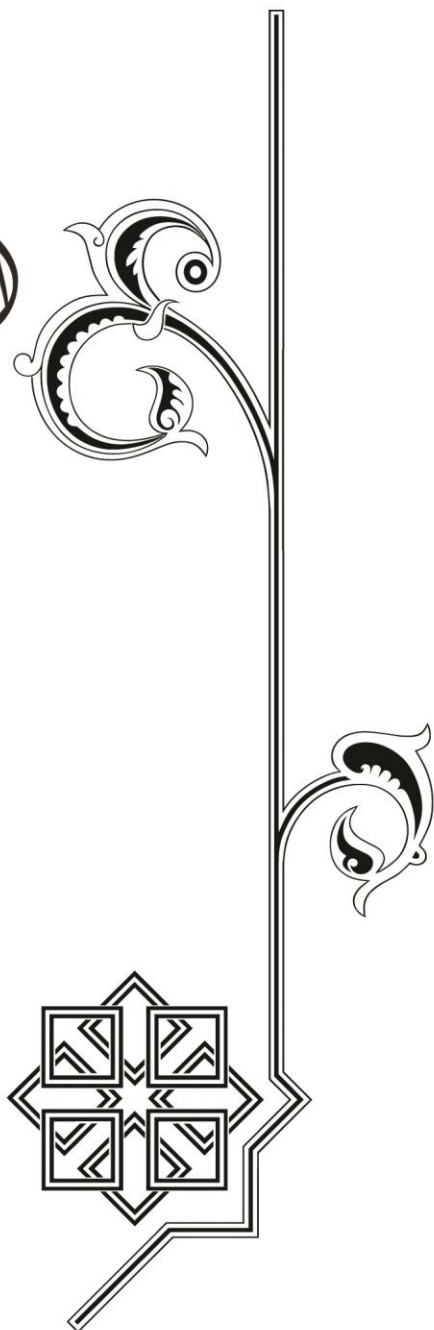
(١) أنظر أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٦٧، ح ١٦٤. الخصال: ص ٩٤. حلية الأبرار: ج ٢، ص ٩٠، ح ٢.

بحار الأنوار: ج ١، ص ٤١، ح ٧٥، عن الخصال، وج ٦٨، ص ٣٩٠، ح ٤٩، عن الخصال والأمال.

(٢) بنور فاطمة اهتديت: ص ٢٠١.

الحاضنة السابعة

الظلم



روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يَاكُمْ وَالظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الظُّلُمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

«الظلم لغة: وضع الشيء في غير موضعه، فالشرك ظلم عظيم؛ لجعله موضع التوحيد عند المشركين. وعُرفاً هو: بخس الحق والاعتداء على الغير، قولاً أو عملاً، كالسباب والاعتياب، ومصادرة المال وغيرها. والظلم من السجاياء الراسخة في أغلب النفوس، وقد عانت منه البشرية في تاريخها المديد ألوان المآسي والأهوال»^(٢).

الآيات والروايات التي تذكّر الظلم وتحذّر منه

لا توجد شريعة سماوية لم تذمّ الظلم وتحذّر منه، بل كلّ الشرائع السماوية السابقة ناضلت ضدّ الظلم وحذّرت منه، وذمّته أشدّ الذمّ، ثمّ جاءت الشريعة الخاتمة، فحذّرت من الظلم، ونهت عنه، وآيات القرآن الكريم طافحة بذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥)، وغيرها من الآيات المباركة.

(١) الخصال: ص ١٧٦، ح ٢٣٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣٠٣، ح ١٦، وج ٧٢، ص ٣٠٩، ح ٧.

وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٤٢، ح ٢١. وأنظره في مصادر العامة: المستدرك على الصحيحين: ج ١،

ص ١٢. مسند الحميدي: ج ٢، ص ٤٩٠. الأحاد والمثاني: ج ٥، ص ٢١٠، ح ٢٧٣٩. كنز العمال:

ج ١٦، ص ٥٣، ح ٤٣٩٠١. الدرّ المنثور: ج ١، ص ٣٥٢.

(٢) أخلاق أهل البيت ﷺ: ص ١١٦.

(٣) المائدة: آية ٥١.

(٤) آل عمران: آية ٥٧.

(٥) إبراهيم: آية ٢٢.

والروايات كذلك قد نهت عن الظلم، وحذّرت منه، ومنها هذا الحديث الشريف عن النبي ﷺ فقد وصفه فيه بأنّه الظلمات عند الله عزّ وجلّ يوم القيامة. وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «والله، لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملة، أسلبها جُلب شعيرة ما فعلتُ، وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلّي ونعيم يفنى، ولذّة لا تبقى»^(١)، والأحاديث في المقام كثيرة.

ثمّ إنّ مَنْ يظلم يسلّط الله عليه مَنْ يظلمه، كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: «مَنْ ظلم سلّط الله عليه مَنْ يظلمه، أو على عقب عقبه»^(٢).

أنواع الظلم

إنّ الظلم يتنوّع بحسب الجهة التي يقع عليها، أو قل: الجهة المظلومة، ومن هذه الأنواع ما نشير إليه على نحو الاختصار:

١ - ظلم الإنسان نفسه: وذلك بإهمال توجيهها إلى طاعة الله عزّ وجلّ، وتقويمها بالخلق الكريم، والسلوك الرضي، ممّا يزجّها في متاهات الغواية والضلال، فتبوء آنذاك بالخبية والهوان.

٢ - ظلم الإنسان عائلته: وذلك بإهمال تربيتهم تربية إسلامية صادقة، وإغفال توجيههم وجهة الخير والصالح، وسياستهم بالقسوة والعنف، والتقتير عليهم بضرورات الحياة، ولوازم العيش الكريم، ممّا يوجب تسيبهم وبلبله حياتهم، مادياً

(١) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢١٨، رقم ٢٢٤، الصراط المستقيم: ج ١، ص ١٦٣. بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٦٢، ح ٥٧، وج ٧٢، ص ٣٦٠، ح ٧٦، عن النهج.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٣٢، ح ١٣. وأنظر: تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢٣، ح ٣٧. التفسير الأصفي: ج ١، ص ١٩٦. التفسير الصافي: ج ١، ص ٤٢٥. ثواب الأعمال: ص ٢٣٤. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣١٥، ح ٣٥ عن تفسير العياشي، وص ٣٢٥، ح ٥٦ عن الكافي، وص ٣٣٢، ح ٦٨ عنه أيضاً.

ومعنوياً وأديباً.

٣ - ظلم الإنسان ذوي قرباه: وذلك بجفائهم وخذلانهم في الشدائد والأزمات، وحرمانهم من مشاعر العطف والبرّ، ممّا يبعث على تناكرهم وتقاطعهم.

٤ - ظلم الإنسان للمجتمع: وذلك بالاستعلاء على أفرادهم، وبخس حقوقهم، والاستخفاف بكراماتهم، وعدم الاهتمام بشؤونهم ومصالحهم. ونحو ذلك من دواعي تحلل أواصر المجتمع وضعف طاقاته.

وأشبع المظالم الاجتماعية، ظلم الضعفاء، الذين لا يستطيعون صدّ العدوان عنهم، ولا يملكون إلّا الشكاة والضراعة إلى العدل الرحيم في ظلاماتهم.

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «لما حضر عليّ بن الحسين عليه السلام الوفاة، ضمّني إلى صدره، ثمّ قال: يا بني، أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أنّ أباه أوصاه به. قال: يا بني، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلّا الله تعالى»^(١).

٥ - ظلم الحكّام والمتسلّطين: وذلك باستبدادهم، وخنقهم حرية الشعوب، وامتھان كرامتها، وابتزاز أموالها، وتسخيرها لمصالحهم الخاصّة، من أجل ذلك كان ظلم الحكّام أسوأ أنواع الظلم، وأشدّها نكرًا وأبلغها ضررًا في كيان الأُمّة ومقدراتها. ولذا شدّد الأئمّة عليهم السلام على حرمة إعانة الظالمين؛ لأنّ الظالم إنّما يتقوّى بأعوانه، ولولاهم لما دبّ له دابّ، ولا رجل له راجل، فقد روي عن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال: «العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به، شركاء ثلاثتهم»^(٢). ولا كفّارة لعمل السلطان إلّا قضاء حوائج الإخوان، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كفّارة

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٣١، ح ٥. أمالي الشيخ الصدوق: ص ٢٤٩، ح ١٠. الخصال: ص ١٦، ح ٥٩.

روضة الواعظين: ص ٤٦٥. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٥٣، ح ١٦، عن الأمالي.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٣٣، ح ١٦، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٣٣، ح ٦٧. وأنظر: الخصال:

ص ١٠٧، ح ٧٢، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣١٢، ح ١٦.

عمل السلطان قضاء حوائج الإخوان^(١)

وخامة الظلم

إنّ استنكار بني البشر للظلم واستبشاعه فطري، تأباه النفوس الحرّة الكريمة، ولكن هذا فيما لو استمرت الفطرة بسلامتها، ولم تلوثها الأجواء، وإلا سوف يصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ومال الله دولةً بين الأغنياء، ويُقدّم الرجل الدنيء على المؤمن الصادق^(٢). ويزداد ظلم الظالمين ظلماً فوق ظلم، حتّى يكون الظلم يوم القيامة، كما عبّر عنه الحديث الذي افتتحنا به الكلام، ويصير فرعون الأُمس عشرات من الفراغة، ولم يهابوا حينئذٍ ما أعدّه الله تبارك وتعالى؛ إذ قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾^(٣)، ومن هنا جاء في الأثر أنّه «لَمَّا سجد السحرة ومَن آمن به من الناس، قال هامان لفرعون: إنّ الناس قد آمنوا بموسى، فأنظر مَن دخل في دينه، فاحبسه. فحبس كلّ مَن آمن به من بني إسرائيل، فجاء إليه موسى، فقال له: خلّ عن بني إسرائيل. فلم يفعل، فأنزل الله عليهم في تلك السنة الطوفان، فخرّب دورهم ومساكنهم، حتّى خرجوا إلى البريّة، وضربوا الخيام، فقال فرعون لموسى: ادع ربّك حتّى يكفّ عنا الطوفان، حتّى أخلي عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربّه، فكفّ عنهم الطوفان، وهمّ فرعون أن يخلّي عن بني إسرائيل، فقال له هامان: إنّ خلّيت عن بني إسرائيل غلبك موسى، وأزال ملكك. فقبل منه، ولم يخلّ عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السنة الثانية الجراد، فجردت كلّ شيء كان لهم من النبت والشجر، حتّى كانت تجرد شعرهم ولحيّتهم، فجزع من ذلك جزعاً

(١) مَن لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٦، ح ٣٦٦٦. وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ١٩٢، ح ٣. وروي بلفظ

آخر، أنظر: تحف العقول: ص ٤١٠. مشكاة الأنوار: ص ٥٤٦.

(٢) أنظر: أخلاق أهل البيت (عليه السلام): ص ١١٨-١٢٣.

(٣) إبراهيم: آية ٤٢.

شديداً، وقال يا موسى: أَدْعُ رَبَّكَ أَنْ يَكْفَّ عَنَّا الجراد، حتى أَخْلَىٰ عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى رَبَّهُ، فكَفَّ عَنْهُمْ الجراد، فلم يدعه هامان أَنْ يَخْلِي عن بني إسرائيل، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ الْقُمَّلَ، فَذَهَبَتْ زُرُوعُهُمْ وَأَصَابَتْهُمْ المِجَاعَةُ، فَقَالَ فرعون لموسى: إِنْ دَفَعْتَ عَنَّا الْقُمَّلَ كَفَفْتُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فدعا موسى رَبَّهُ حتى ذهب الْقُمَّلُ، وقال: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقُمَّلَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فلم يَخْلُ عن بني إسرائيل، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ الضَّفَادِعَ، فَكَانَتْ تَكُونُ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْ أَدْبَارِهِمْ وَأَذَانِهِمْ وَأَنَافِهِمْ. فَجَزَعُوا مِنْ ذَلِكَ جَزَعاً شَدِيداً، فَجَاؤُوا إِلَىٰ مُوسَى، فَقَالُوا: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ عَنَّا الضَّفَادِعَ، فَإِنَّا نَوْمِنُ بِكَ، وَنُرْسِلُ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فدعا موسى رَبَّهُ، فَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَخْلَوْا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَوَّلَ اللَّهُ مَاءَ النَّيْلِ دُمًا، فَكَانَ الْقُبْطِيُّ يَرَاهُ دُمًا وَالْإِسْرَائِيلِيُّ يَرَاهُ مَاءً، فَإِذَا شَرَبَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ كَانَ مَاءً، وَإِذَا شَرَبَهُ الْقُبْطِيُّ كَانَ دُمًا، فَكَانَ الْقُبْطِيُّ يَقُولُ لِلْإِسْرَائِيلِيِّ: خَذِ الْمَاءَ فِي فَمِكَ وَصَبْهُ فِي فَمِي! فَإِذَا صَبَّهُ فِي فَمِ الْقُبْطِيِّ تَحَوَّلَ دُمًا، فَجَزَعُوا جَزَعاً شَدِيداً، فَقَالُوا لِمُوسَى: لِأَنَّ رَفَعَ اللَّهُ عَنَّا الدَّمَ لِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَلَمَّا رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ الدَّمَ، غَدَرُوا، وَلَمْ يَخْلَوْا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّجْزَ، وَهُوَ الثَّلَجُ، وَلَمْ يَرَوْهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَهَاتُوا فِيهِ، وَجَزَعُوا جَزَعاً شَدِيداً، وَأَصَابَهُمْ مَا لَمْ يَعْهَدُوا قَبْلَهُ، فَقَالُوا:

﴿يَمُوسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيَكُنْ كَشَفْتُ عَنَّا الرِّجْزَ لِنُؤْمِنَ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، فدعا رَبَّهُ فَكَشَفَ عَنْهُمْ الثَّلَجَ، فَخَلَّىٰ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا خَلَّىٰ عَنْهُمْ اجْتَمَعُوا إِلَىٰ مُوسَى  ، وَخَرَجَ مُوسَىٰ مِنْ مِصْرَ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ هَرَبَ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَبَلَغَ فِرْعَوْنَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ هَامَانُ: قَدْ نَهَيْتُكَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَقَدْ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَجَزَعَ فِرْعَوْنَ، وَبَعَثَ فِي الْمَدَايِنِ حَاشِرِينَ، وَخَرَجَ فِي طَلَبِ مُوسَى  ^(١).

(١) تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٨، عنه بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١١٠-١١١، ح ١٥.

نتيجة الظلم ونهاية الظالمين

لو تتبّعنا أحوال وسير الظالمين على مرّ العصور، لوجدناهم مساكين بمعنى الكلمة، ولو التفت الظالم لنفسه، لعلم أنّه أعدى مخلوق لها؛ إذ نتائج الظلم معلومة، ونهاية الظالمين واضحة جلية، ولكن نؤكد ذلك ببيان بعض الآثار والنتائج المترتبة على الظلم:

الأولى: ذهاب الحسنات وزيادة السيئات

فقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ، أنّه قال: «إنّه ليأتي العبد يوم القيامة وقد سرّته حسناته، فيجئ الرجل فيقول: يا ربّ، ظلمني هذا، فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته، فجعلت مع سيئات الرجل، فلا يزال يستوفي منه حتى يدخل النار»^(١).

الثانية: زوال نعمة الظالم

فقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد»^(٢).

الثالثة: تعجيل العقوبة

فقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام: «أيّ ذنب أعجل عقوبة لصاحبه؟ فقال: مَنْ ظلم مَنْ لا ناصر له إلّا الله، وجاور النعمة بالتقصير، واستطال بالبغي على الفقير»^(٣)، ولذا نرى كيف

(١) ميزان الحكمة: ج ٢، ص ١٧٧١. والنهاية: ج ٢، ص ٥٥، ولم أعرّض عليه في غيره، ولا على الكتاب الذي نقل منه.

(٢) نهج البلاغة: ج ٣، ص ٨٥.

(٣) الاختصاص: ص ٢٣٤، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٢٠، ح ٤٣.

عَجَّلَ اللهُ العقوبة بِمَن ظَلَمَ مَنْ كَانَ ينادي: «هل من ذابَّ يذب عن حرم رسول الله ﷺ؟» هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو الله بإغاثتنا؟ هل من معينٍ يرجو ما عند الله في إعانتنا؟! فارتفعت أصوات النساء بالعويل»^(١)، وكيف عَجَّلَ اللهُ العقوبة بِمَن قال له: «والله، لا تذوقه [الماء] حتى ترد الحامية، فتشرب من حميمها! فقال: بل أرد على جدِّي رسول الله، وأسكن معه في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن، وأشكو إليه ما ارتكبتم مني، وفعلتم بي. فغضبوا بأجمعهم حتى كأنَّ الرحمة سلبت من قلوبهم»^(٢).

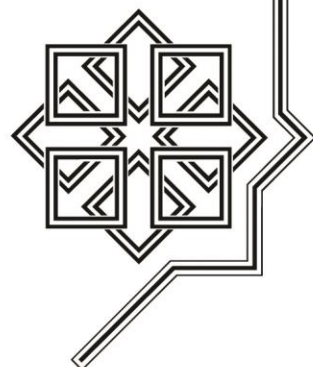
(١) اللهوف: ص ٦٩.

(٢) مثير الأحزان: ص ٥٧. اللهوف: ص ٧٥. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٧.

الحاضرة الثامنة



الْخَوْفُ
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى



قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ * فَيَأْتِيَهُمْ الْآبَاءُ رِكْبًا تَكْذِبُ عَنْهُمْ﴾^(١).

تستعرض هاتان الآيتان جزاء الخائف من مقام الله تبارك وتعالى، والاستنكار على مَنْ كَذَّبَ هذا الجزاء وأنكر هذه النعمة، وقبل الولوج في صلب الموضوع، لا بدّ من بعض الإيضاحات:

ما هو الخوف؟

الخوف هو تألم النفس خشيةً من حدوث شيء ووقوعه.
وأما الخوف من الله تبارك وتعالى فهو تألم النفس خشيةً من عقابه، وحياءً من عتابه.

والخوف من الله تبارك وتعالى من خصائص الأولياء، وسمات المتّقين، والباعث المحفّز على الاستقامة والصّلاح، والوازع القويّ من الشرور والآثام.
لذلك أولته الشريعة عنايةً فائقةً، وأثنت على ذويه ثناءً عاطراً مشرفاً^(٢)؛ إذ قال ﷺ:
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(٣).

وعن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق، خف الله كأنك تراه، وإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك، ثم برزت له بالمعصية، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك»^(٤).

وقال عليه السلام أيضاً: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً

(١) الرحمن: آية ٤٦-٤٧.

(٢) أنظر: أخلاق أهل البيت عليه السلام: ص ١٧٥-١٧٦.

(٣) الملك: آية ١٢.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٨، ح ٢، عنه بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٥٥، ح ٢.

راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو»^(١).

ويروى أنّه: «دخل حكيمٌ على المهدي العبّاسي، فقال الأخير له: عظمي، فقال الحكيم: أليس هذا المجلس قد جلس فيه أبوك وعمّك قبلك؟ قال: نعم. قال: فكانت لهم أعمالٌ ترجو لهم النجاة بها؟ قال: نعم. قال: فكانت لهم أعمالٌ تخاف عليهم الهلكة منها؟ قال: نعم. قال: فأنظر ما رجوت لهم فيه فاتّه، وما خفت عليهم منه فاجتنبه»^(٢).

محاسن الخوف

إنّ للخوف محاسناً عديدة، وكيف لا يكون كذلك، وهو من الصفات الحميدة والخلال الحسنة المجيدة، وقد مدحه الكتاب والسنة والعقلاء والحكماء. إذ لا يحصل الإنسان على السعادة الدنيوية والأخروية إلّا بالخوف من الله تبارك وتعالى؛ ولذا أعدّ الباري عزّ وجلّ في هذه الآية وغيرها الثواب الجزيل للخائفين منه جلّ وعلا. ولذا نرى أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشيّر الخائفين من الله تبارك وتعالى، والكابحين لشهواتهم، والغالبة عقولهم عليها، بأنّهم خير من الملائكة؛ إذ قال عليه السلام: «إنّ الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوةً بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خيرٌ من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم»^(٣).

فصار الإنسان المسيطر على شهوته والمتحكّم بها سعيداً، ويعيش حياة طيبة، وما

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٧١، ح ١١. تحف العقول: ص ٣٩٥. أمالي الشيخ المفيد: ص ١٩٥، ح ٢٧. عدّة الداعي: ص ١٣٧. بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٦٥، ح ٩، عن الكافي.

(٢) أخلاق أهل البيت عليه السلام: ص ١٧٧.

(٣) علل الشرائع: ج ١، ص ٤، ح ١. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٠٩، ح ٢. التفسير الأصفى: ج ١، ص ٤١٤. التفسير الصافي: ج ٢، ص ٢٥٤. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ١٠٣، ح ٣٧١، عن العلل. بحار الأنوار: ج ٥٧، ص ٢٩٩، ح ٥، عن العلل أيضاً.

ذَٰكَ إِلَّا خَوْفَهُ مِنَ اللَّهِ، وَخُضُوعَهُ لَهُ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾^(١).

وما نراه اليوم من مآسي وآلام تحيط بالشعوب والأفراد، ما هو إلا تبعات ترك
الحكام والسلاطين، بل الناس أنفسهم، لخشية الله والخوف منه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ
أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

ما هو المقصود من المقام؟

ولو تأملنا في الآية، نجد أنها قالت: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾، فما هو المقام الذي
رتبت الآية عليه ذلك الجزاء الكبير وهو (الجتان).

لقد فسر الإمام الصادق عليه السلام المقام عند تفسيره لهذه الآية، حيث قال عليه السلام: «وَمَنْ
عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، وَيَسْمَعُ مَا يَقُولُ، وَيَعْلَمُ مَا يَعْلَمُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَيَحْجِزُهُ ذَلِكَ عَنِ
الْقَبِيحِ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَذَلِكَ الَّذِي خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ»^(٣).

فالخوف من مقام الله، هو الخوف الذي يجب الإنسان عن معاصي الله، ويحذره
من مواقف يوم القيامة، والحضور أمام الله سبحانه وتعالى للحساب.

ولذا قالت الآية المباركة من سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤)،
فالذي يخشى الله تبارك وتعالى ويخافه هو مَنْ يَعْلَمُ بِمَقَامِهِ وَمَنْزِلَتِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ

(١) النحل: آية ٩٧.

(٢) الأعراف: آية ٩٦.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٧١، ح ١٠. التفسير الأصفي: ج ٢، ص ١٢٤٦. التفسير الصافي: ج ٥، ص ١١٣.
تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ١٩٦، ح ٤٨. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢١٩، ح ٣، عن الكافي.

(٤) فاطر: آية ٢٨.

وعدله، فالخوف والخشية يتناسبان تناسباً طردياً مع العلم؛ فكلّما ازداد علم الإنسان، فالمفترض أن يزداد خوفه وخشيته من البارئ عز وجل.

ومن هنا رُوِيَ عن الإمام الباقر عليه السلام، أنّه قال: «خرجت امرأةٌ بغية على شباب من بني إسرائيل، فأفتتهم، فقال بعضهم: لو كان العابد فلاناً لو رآها أفتنته، وسمعت مقاتلتهم، فقالت: والله، لا أنصرف إلى منزلي حتى أفتنه، فمضت نحوه في الليل، فدقت عليه، فقالت: آوى عندك، فأبى عليها، فقالت: إنّ بعض شباب بني إسرائيل راودوني عن نفسي، فإن أدخلتني وإلا لحقوني وفضحوني، فلما سمع مقاتلتها فتح لها، فلما دخلت عليه، رمت بشياها، فلما رأى جماها وهياتها، وقعت في نفسه، فضرب يده عليها، ثم رجعت إليه نفسه، وقد كان يوقد تحت قدر له، فاقبل حتى وضع يده على النار، فقالت: أي شيء تصنع؟ فقال: أحرقتها؛ لأنّها عملت العمل فخرجت حتى أتت جماعة بني إسرائيل، فقالت: الحقوا فلاناً، فقد وضع يده على النار. فأقبلوا فلحقوه وقد احترقت يده»^(١).

فأنظر إلى هذا العابد، لولا أنّه يعلم مقام الله سبحانه وتعالى لما نجى من هذه الموبقة العظيمة، والجريمة الفظيعة، والكبيرة الموبقة وهي الزنا، أعاذنا الله من كلّ قبيح وحرام.

ما هما الجنّتان؟

وهنا سؤال يطرح نفسه، وهو: ما الجنّتان اللتان وعد الرحمن بهما لمن خاف مقامه عز وجل؟

اختلفت آراء علماء المسلمين من المفسرين في هاتين الجنّتين، ف قيل: «أحدهما للإنس، والأخرى للجان، أو جنة عدن وجنة النعيم، أو بستانان من بساتين الجنة، أو

(١) قصص الأنبياء (الراوندي): ص ١٨٧، ح ٢٢٣. قصص الأنبياء (الجزائري): ص ٥٢٠، ولكن رواه عن الإمام الصادق عليه السلام، عنه بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٤٩٢، ح ١١، وج ٦٧، ص ٣٨٧، ح ٥٢.

إحداهما منزله، والأخرى منزل أزواجه وخدمه، كعادة رؤساء الدنيا»^(١).
 وقيل: «جنة لفعل الطاعة، وأخرى لترك المعصية. وقيل: جنة للعقيدة التي يعتقدونها،
 وأخرى للعمل الذي يعملها. وقيل: جنة بالعمل، وجنة بالفضل. وقيل: جنة روحانية،
 وجنة جسمانية. وقيل: جنة لخوفه من ربه، وجنة لتركه شهوته. وقال القراء: إنها هي جنة
 واحدة، والثنية لأجل موافقة رؤوس الآي. قال النحاس: وهذا القول من أعظم الغلط
 على كتاب الله؛ فإن الله يقول (جنتان) ويصفهما بقوله فيها»^(٢).
 قال العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان: «وهذه الأقوال - كما ترى - لا دليل على
 شيء منها. ثم قال: وقيل: جنة يُثاب بها وجنة يُفَضَّل بها عليه، ويمكن أن يُستشعر ذلك
 من قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾»^(٣).

كيف نستشعر الخوف من الله تبارك وتعالى؟

الخوف - كما قلنا - هو تألم النفس خشية من عذاب الله وعقابه، وهذا التألم في كثير
 من الأحيان يضعف عن المستوى المطلوب، وحينئذ لا بد من استشعاره مرة أخرى
 حتى يصل إلى الحد الذي يكون فيه خوفاً من مقام الله تبارك وتعالى، ولأجل ذلك لا
 بد من اتباع النصائح التالية:

١ - تركيز العقيدة، وتقوية الإيمان بالله تعالى، ومفاهيم المعاد والثواب والعقاب،
 والجنة والنار؛ إذ الخوف من ثمرات الإيمان وانعكاساته على النفس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا
 الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ
 رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٤).

(١) تفسير العزّ بن عبد السلام: ج ٣، ص ٢٦٨.

(٢) فتح القدير: ج ٥، ص ١٤٠.

(٣) تفسير الميزان: ج ١٩، ص ١٠٩.

(٤) الأنفال: آية ٢.

٢ - دراسة حالات الخائفين، وضراعتهم وتبتّلهم إلى الله عزّ وجلّ، خوفاً من سطوته، وخشية من عقابه.

ولذا ترى الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، وهو زين العابدين، وسيد الساجدين، كيف يناجي ربّه يقول في بعض أدعيته: «وما لي لا أبكي؟! ولا أدري إلى ما يكون مصيري، وأرى نفسي تخادعني، وأيامي تخاتلني، وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت، فما لي لا أبكي؟! أبكي لخروج نفسي، أبكي لحلول رمسي، أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال منكر ونكير إياي، أبكي لخروجي من قبري عُرياناً ذليلاً، حاملاً ثقلي على ظهري، أنظر مرّة عن يميني، ومرّة عن شمالي إذ الخلائق في شأن غير شأني: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ وَوَجْهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرٌ﴾ * ضاحكةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّاهُ غَبَرَةٌ * تَرَهَقُهَا قَفَرَةٌ﴾^(١).

٢ - استماع المواعظ البليغة والحكم الناجعة، الموجبة للخوف والرهبة^(٢). وأعظم مواعظ يجب استماعها هي مواعظ أهل البيت عليه السلام؛ لأنّها مواعظ خرجت من قلوب صادقة، وأفواه طيبة، وهي مواعظ بليغة، بالغة الأهمية، تذيب الصخر الأصم.

ومن تلك المواعظ مواعظ سيّد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء التي كانت من السمو والرفعة أن نصح أعدائه من قتله ووعظهم، ففي يوم عاشوراء وبعد أن صفّ ابنُ سعد أصحابه للحرب دعا الإمام الحسين عليه السلام براحلته فركبها، ونادى بصوت يسمعه جُلّهم: «أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتُموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا رأيكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إنّ وليّ الله

(١) الصحيفة السجادية: ص ٢٢٦، والآيات من سورة عبس: آية ٣٧-٤٠. إقبال الأعمال: ج ١،

ص ١٥٦، عنه بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ٨٢.

(٢) أنظر: أخلاق أهل البيت عليه السلام: ص ١٨٠-١٨٢.

الذي نزل الكتاب، وهو يتولّى الصّالحين». ثمّ حمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلى على النّبي ﷺ وعلى ملائكة الله وأنبيائه، فلم يسمع متكلم قطّ قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، ثمّ قال: «أمّا بعد: فانسبوني فانظروا من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمّه وأوّل المؤمنين المصدّق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه، أو ليس حمزة سيد الشهداء عمّي؟ أو ليس جعفر الطيار في الجنّة بجناحين عمّي؟ أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟ فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعمّدت كذباً منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتُموني فإنّ فيكم من لو سألتُموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!». فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري (ما تقول)، فقال له حبيب بن مظاهر: والله، إنّني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

ثمّ قال لهم الحسين عليه السلام: «فإن كنتم في شكّ من هذا، أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيكم؟! فوالله، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم، أنطلبوني بقتيل منكم قتله، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟!». فأخذوا لا يكلمونه، فنأدى: «يا شبت بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار وأخضرّ الجناح، وإنّا تقدم على جند لك مجنّدة؟!». فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن انزل على حكم بني عمّك، فإنّهم لن يروك إلّا ما تحبّ. فقال له الحسين: «لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ

فرار العبيد». ثم نادى: «يا عباد الله، إِنِّي عذت برَّبِّي وربِّكم أن ترجمون، أعوذ برَّبِّي وربِّكم من كلِّ متكبرٍ لا يؤمن بيوم الحساب»^(١).

لم أنسه إذ قام فيهم خاطباً	فإذا هم لا يملكون خطاباً
يدعو أألت أنا ابن بنت نبيكم	وملاذكم إن صرف دهر ناباً
هل جئت في دين النبي ببدعة	أم كنت في أحكامه مرتاباً
أم لم يوصّ بنا النبي وأودع	الثقلين فيكم عترة وكتاباً
إن لم تدنوا بالمعاد فراجعوا	أحسابكم إن كنتم أعراباً
فغدوا حيارى لا يرون لوعظه	إلا الأسنة والسهم جواباً ^(٢) .

(١) الإرشاد: ج ٢، ص ٩٧-٩٨. إعلام الوری: ج ١، ص ٥٨٤. الدر النظیم: ص ٥٥٢. بحار الأنوار:

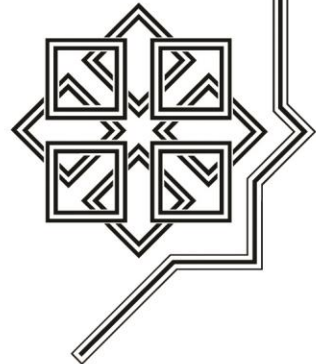
ج ٤٥، ص ٦، عن الإرشاد.

(٢) دیوان السید رضا الهندی: ص ٤٢.

الحاضرة التاسعة



الفَحْشُ
وَالسَّبُّ وَالْقَذْفُ



عن سليمان بن مهران، قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، وعنده نفر من الشيعة، فسمعتة وهو يقول: «معاشر الشيعة، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا أئمتكم وكفّوها عن الفضول وقبيح القول»^(١).

وقبل البدء في تسليط الضوء على فقرات هذه الرواية الشريفة، ينبغي أن يُعلم أنّ كلام الإمام عليه السلام ليس مقتصرًا على الشيعة، بل هو لجميع الأمة وإن كان المخاطب به الخاص؛ لأنّ الإمام يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله في هداية الأمة وإرشادها، كما هو واضح. يخاطب الإمام الصادق عليه السلام في هذا الحديث الشيعة، بل جميع الأمة، ويأمرهم بأن يكونوا له، ولجميع الأئمة عليهم السلام زيناً، وأن لا يكونوا شيناً كذلك.

ثمّ قال الإمام عليه السلام: «قولوا للناس حسناً، واحفظوا أئمتكم، وكفّوها عن الفضول، وقبيح القول».

من أخطر وأوضح مصاديق الفضول، وقبيح القول هو الكلام الفاحش، والسباب، والقذف الذي ابتليت به هذه الأمة، ونحن - إن شاء الله تعالى - سنذكر هذه القبائح الثلاثة على نحو الاختصار.

١ - الفحش: هو التعبير عمّا يقبح التصريح به^(٢)، كألفاظ الوقاع، وآلاته ممّا يتلفّظ به السفهاء، ويتحاشاه النبلاء، ويعبرون عنها بالكناية والرمز، كاللمس والمسّ، كناية عن الجماع.

وهكذا يُكنّى الأدباء عن ألفاظ ومفاهيم يتفادون التصريح بها؛ لياقة وأدباً، كالكناية

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٨٤، ح ١٧. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٤٠، ح ٤٤. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٤٨-١٤٩، ح ١٨. بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ١٥١، ح ٦٤، عن أمالي الشيخ الطوسي، وج ٦، ص ٣١٠، ح ٣، عن أمالي الشيخ الصدوق.

(٢) أنظر: النهاية في غريب الحديث: ج ٣، ص ٤١٥.

عن الزوجة بالعائلة، وأمّ الأولاد، وعن التبوّل والتغوّط بقضاء الحاجة، والرمز إلى البرص والقرع بالعارض مثلاً؛ إذ التصريح بتلك الألفاظ والمفاهيم مُستَهْجَن عند العقلاء والعارفين.

٢- وأما السبّ: فهو الشتم^(١)، نحو (يا كلب، يا خنزير، يا حمار، يا خائن)، وأمثاله من مصاديق الإهانة والتحقير.

٣- وأما القذف: نحو يا ابن الزانية، أو يا زوج الزانية، أو يا أخ الزانية. وغيرها من الألفاظ المماثلة ممّا اعتاد عليه البعض من غير المتديّنين، بل البعض منهم يمازح رفيقه بها، ولا يقوّلها إلّا مدحاً له.

وهذه الخصال الثلاث من أبشع مساوئ اللسان، وغوائله الخطيرة التي استنكرها الشرع والعقل، وحذّرت منها الآثار والنصوص.

الفحش والسبّ والقذف في نظر الشارع المقدّس

لقد حذّرت الشريعة المقدّسة عن الكلام الفاحش والسباب والقذف أشدّ التحذير، والآيات والروايات الواردة في المقام عديدة.

أمّا الفحش: فقد قال رسول الله ﷺ في ذمّه: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ فَحَّاشٍ بَذِيءٍ، قَلِيلِ الْحَيَاءِ، لَا يَبَالِي مَا قَالَ، وَلَا مَا قِيلَ لَهُ، فَإِنَّكَ إِنْ فَتَشْتَهُ لَمْ تَجِدْهُ إِلَّا لَغِيَةً أَوْ شَرَكٍ شَيْطَانٍ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي النَّاسِ شَرَكٌ شَيْطَانٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾»^(٢).

(١) أنظر: الصحاح: ج ١، ص ١٤٤.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٤، ح ٣، والآية من سورة الإسراء: آية ٦٤. تحف العقول: ص ٤٤. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٣٥، ح ٢. كتاب سليم بن قيس: ص ٤٧٦، عنه تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٢٩، ح ١٠٥. التفسير الصافي: ج ٣، ص ٢٠٣، عن الكافي والعياشي. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ١٨٢، ح ٢٩٠. بحار الأنوار: ج ٦٠، ص ٢٠٧، ح ٣٩، عن الكافي، وج ٧٦، ص ١١٢، ح ١٠، عن تفسير العياشي.

فالمراد بمشاركة الشيطان للناس في الأموال، دفعهم على كسبها بالوسائل المحرّمة، وإنفاقها في مجالات الغواية والآثام.

وأما مشاركته في الأولاد: فبمشاركته الآباء في حال الوقاع، إذا لم يسمّوا الله تعالى عنده، فعن عبد الرحمن بن كثير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالسا فذكر شرك الشيطان، فعظمه حتى أفرغني، قلت: جعلتُ فداك فما المخرج من ذلك؟ قال: «إذا أردت الجماع فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، الذي لا إله إلا هو، بديع السماوات والأرض، اللهم إن قضيت مني في هذه الليلة خليفة فلا تجعل للشيطان فيه شركاً، ولا نصيباً، ولا حظاً، واجعله مؤمناً مخلصاً مصفىً من الشيطان ورجزه، جلّ ثناؤك»^(١).

ومّا يؤكّد نبي الشارع عن الفحش أيضاً، ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنّه قال: «مَنْ خَافَ النَّاسَ لِسَانَهُ فَهُوَ فِي النَّارِ»^(٢).

وأما السبّ: فقد قال الإمام الباقر عليه السلام عنه: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ، وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ»^(٣).

وأما القذف: فقد قال الإمام الباقر عليه السلام عنه: «مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَطْعَنُ فِي عَيْنِ مُؤْمِنٍ، إِلَّا مَاتَ بَشَرٌ مَيِّتَةً»^(٤).

(١) المصدر السابق: ج ٥، ص ٥٠٣، ح ٤.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٢٧، ح ٣. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٣١، ح ٩. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٨٣، ح ١١ عن الكافي، وروي أيضاً بعينه في وصايا الرسول صلى الله عليه وآله لأُمير المؤمنين عليه السلام، أنظر: مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٤، ص ٣٥٢، ح ٥٧٦٢.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٦٠، ح ٢. الإختصاص: ص ٣٤٣. مشكاة الأنوار: ص ١٧٩. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٨٢، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١٦٠، ح ٣٣، عن الكافي.

(٤) المحاسن: ج ١، ص ١٠٠، ح ٧٠. الكافي: ج ٢، ص ٣٦١، ح ٩. ثواب الأعمال: ص ٢٣٩. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٩٩، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١٤٥، ح ١٤ عن ثواب الأعمال، و ص ١٦٧، ح ٣٩ عن الكافي.

وعن عمرو بن نعمان الجعفي قال: «كان لأبي عبد الله عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً، فبينما هو يمشي معه في الحدّائين، ومعه غلام له سندي يمشي خلفها، إذا التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرّات فلم يره، فلما نظر في الرابعة، قال: يا ابن الفاعلة، أين كنت؟ قال: فرّغ أبو عبد الله عليه السلام يده فصكّ بها جبهة نفسه، ثمّ قال: سبحان الله! تقذف أمّه، قد كنتُ أرى أنّ لك ورعاً، فإذا ليس لك ورع. فقال: جعلت فداك، إنّ أمّه سندية مشرّكة، فقال: أما علمت أنّ لكلّ أمّة نكاحاً، تنحّ عني. قال: فما رأيته يمشي معه حتى فرّق الموت بينهما. وفي رواية أخرى: إنّ لكلّ أمّة نكاحاً تحتجزون به من الزنا»^(١).

وقد عزى بعض العلماء^(٢) السبب في الفُحش والسبّ والقذف إلى أسباب: منها، العداء والحسد، أو الغضب وسوء الخلق، وكثيراً ما تنشأ من فساد التربية، وسوء الأدب والصحبة، فنحن نرى في العالم الخارجي أنّ الشخص الذي يعيش في وسط لا يبالي بقول الفُحش ولا السبّ والبذاء والقذف، نراه يتلفّظ تلك الألفاظ بسهولة، وتصبح عنده أحلى من العسل، سواء سمعها قيلت فيه، أو قالها هو لآخر.

مساوئ آثار هذه الخصال

إنّ لقول الفحش والسبّ والقذف مساوئاً وآثاراً سيئة كثيرة، وأضراراً خطيرة، وآثاماً فادحة.

فمن مساوئها: أنّها تجرّد الإنسان من خصائص الإنسانية المهذّبة، وأخلاقها الكريمة، وتسمّه بالسفالة والوحشية.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٤، ح ٥. وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٣٣١، ح ١، وح ٢.
(٢) أنظر: كلام السيد مهدي الصدر عليه السلام في كتابه القيم أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٢٣٨.

ومنها: أنها داعية للعداء والبغضاء، وإفساد العلاقات الاجتماعية، وإيجابها المقت والمجافاة بين أفراد المجتمع.

ومنها: أنها تعرض ذويها لسخط الله تعالى وعقابه الأليم، كما ذكرته النصوص الآنفة الذكر.

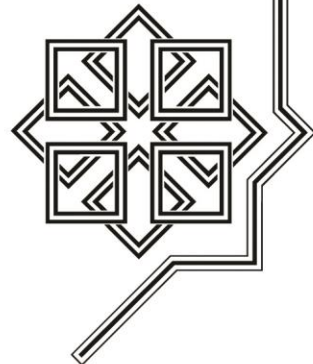
لذلك جاء التحريض على رعاية اللسان، وصونه عن قوارص البذاء^(١).

(١) أنظر: أخلاق أهل البيت عليه السلام: ص ٢٣٦-٢٣٨.

الحاضرة العباسية



الكلم الطيب



قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(١).

من أهم الأسباب التي تولد المشاكل بين الأفراد، بل المجتمعات بصورة عامة، هي مشكلة سوء الإستفادة من عضلة اللسان، هذه العضلة التي وهبها الله ﷻ لتكون نعمة للبشر، لا أن تكون نقمة عليهم، ومن هنا قال الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغَنَّكَ إِنَّهُ ثَعْبَانُ^(٢).

وهذا هو الواقع؛ فإنَّ اللسان أشدَّ من الثعبان، فإنَّه سَبُعٌ ضاري، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «اللسان سُبُع، إن خلي عنه عقر»^(٣).

فمن أجل ذلك كان صون اللسان مهمّة كلِّ إنسان عاقل، يدين بدين الله تبارك وتعالى، وتعيده على الكلم الطيّب دون الخبيث منه؛ فإنَّ الكلمة الطيبة هي الباقية، والخبيثة مجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٤).

(١) سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١.

(٢) شرح مائة كلمة لأمرير المؤمنين عليه السلام: ص ١٤٨. الأذكار النووية: ص ٣٣٥، والمصدران لم ينسباه لأحد. العهود المحمّدية: ص ٤٨٦، وص ٧٦١ وقال: «وقد أنشدني شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري نفعنا الله ببركاته». وفي نخبة اللآلي: ص ٣٢، نسبه للشافعي.

(٣) نهج البلاغة: ج ٤، ص ١٥، رقم ٦٠، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٩٠، ح ٦٢.

(٤) إبراهيم: آية ٢٤-٢٧.

فطيب الكلام، وحسن الحديث والمقال من صفات النبلاء والكرام، بخلاف الكلام الخبيث.

تأكيد القرآن والسنة على صون اللسان

لقد أكدت الآيات والروايات على صون اللسان عن كل ما لا يرضي الله تبارك وتعالى، وهكذا السنة الشريفة.

أما الآيات الدالة على ذلك فهي كثيرة، نذكر منها ما يلي:
قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٢).

ومن الآيات الآية التي افتتحنا بها المحاضرة، وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى، وأيضاً الآية المتقدمة، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا...﴾^(٣).
وأما الروايات الدالة على ذلك كثيرة جداً نذكر منها ما يلي:

- ١- جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، أوصني. قال: احفظ لسانك. قال: يا رسول الله، أوصني. قال: احفظ لسانك. قال: يا رسول الله، أوصني. قال: احفظ لسانك، ويحك! وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»^(٤).
- ٢- وقال الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام): «القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق، وينسي في الأجل، ويجبب إلى الأهل، ويدخل الجنة»^(٥).

(١) الإسراء: آية ٥٣.

(٢) البقرة: آية ٨٣.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١١٥، ح ١٤. تحف العقول: ص ٥٦. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٩١، ح ٨. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٠٣، ح ٧٨، عن الكافي.

(٤) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٩، ح ١. الخصال: ص ٣١٧، ح ١٠٠. روضة الواعظين: ص ٣٧٠. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٨٦، ح ١٦. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣١٠، ح ١، عن الخصال والأمالي.

فأنظر إلى أهمية صون اللسان عن غير الكلام الحسن، وأهمية الكلام الحسن، الذي فيه آثار عديدة، منها: أنه يثري المال، وينمي الرزق، ويؤخر الأجل، ويحبب إلى الأهل، وأهمها: الدخول إلى الجنة، الذي هو أمنية كل مؤمن.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: رحم الله عبداً قال خيراً فغَنِمَ، أو سكت عن سوء فَسَلِمَ»^(١).

ومرَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام برجلٍ يتكلَّم بفضول الكلام، فوقف عليه، وقال: «يا هذا، إنك تلي على حافظيك كتاباً إلى ربك، فتكلّم بما يعينك، ودع ما لا يعينك»^(٢).

التأمل في الآيتين

بعد هذه المقدمات في الموضوع، فلنرجع إلى الآيتين المباركتين، حيث قال الباري عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...﴾^(٣).

فقد أمرنا الله تبارك وتعالى بتقواه، وأن يكون قولنا قولاً سديداً، ورتب على ذلك أثرين، وهما: (إصلاح الأعمال، وغفران الذنوب)، وهما مقدّمتان للفوز بالنعيم الخالد، وهو الجنة.

(١) الإمامة والتبصرة: ص ٣٧. تحف العقول: ص ٤٣. مشكاة الأنوار: ص ٣٠٦. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٩٣، ح ٦٤، عن الإمامة والتبصرة، والحديث مشهور، وروي بألفاظ متعددة، وتغيير يسير في بعض المصادر، أنظر - مثلاً -: المحاسن: ج ١، ص ١٥، ح ٤٣. علل الشرائع: ج ٢، ص ٦٠٦. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٢٣، ح ١٧.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٨٥، ح ٤، من لا يحضره الفقيه: ص ٤، ص ٣٩٦، ح ٥٨٤١. روضة الواعظين: ص ٣٧٠. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٩٧، ح ٥. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٧٦، ح ٤.

ما هو القول السديد؟

إِنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ أَمَرَتْ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّقْوَى وَالْقَوْلَ السَّدِيدَ، أَمَّا التَّقْوَى فَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَنْهَا سَابِقاً بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ، وَإِجْمَالُهُ أَنْ لَا يَرَاكَ اللَّهُ حَيْثُ نَهَاكَ، وَلَا يَفْقِدُكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، كَمَا عَبَّرَتْ عَنْهُ الرِّوَايَةُ الشَّرِيفَةُ^(١).

وَأَمَّا الْقَوْلُ السَّدِيدُ، فَقَدْ جَاءَ فِي رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ الْقَوْلُ الْعَدْلُ، فَقَدْ رَوَى عَنْ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِعَبَّادِ بْنِ كَثِيرٍ الْبَصْرِيِّ الصُّوفِيِّ: «وَيَحْكُ يَا عَبَّادُ، غَرَّكَ أَنْ عَفَّ بِطَنُكَ وَفَرَجُكَ؟ إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ *، اعْلَمْ إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ شَيْئاً حَتَّى تَقُولَ قَوْلًا عَدْلًا»^(٢).
فَالْقَوْلُ السَّدِيدُ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ (سَدٍّ) أَيِ: الْمَحْكَمِ الْمُنْعِ، الَّذِي لَا يَعْتَرِيهِ الْخُلَلُ، وَالْمُوَافِقُ لِلْحَقِّ وَالْوَاقِعِ، يَعْنِي: الْقَوْلُ الَّذِي يَقِفُ كَالسَدِّ الْمُنْعِ أَمَامَ أَمْوَاجِ الْفَسَادِ وَالْبَاطِلِ^(٣).

ثُمَّ بَيَّنَّتِ الْآيَةُ النَّالِيَةُ نَتِيجَةَ التَّقْوَى وَالْقَوْلِ السَّدِيدِ، حَيْثُ قَالَتْ: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، فَإِنَّ التَّقْوَى - فِي الْوَاقِعِ - هِيَ الدَّعَامَةُ الْعَظِيمَةُ لِإِصْلَاحِ الْإِنْسَانِ أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَمِنْهَا إِصْلَاحُ اللِّسَانِ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُتَّقِيَ لَا يَقُولُ إِلَّا الْقَوْلَ السَّدِيدَ، وَلَا يَتَلَفَّظُ إِلَّا بِهِ.

وَلَذَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا

(١) قَالَ ابْنُ فَهْدٍ الْحَلِيِّ فِي عُدَّةِ الدَّاعِي: ص ٢٨٥: «وَعَلِمَ أَنَّ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَتَلَ عَنْ تَفْسِيرِ التَّقْوَى، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنْ لَا يَفْقِدُكَ اللَّهُ حَيْثُ أَمَرَكَ وَلَا يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ».

(٢) الْكَافِي: ج ٨، ص ١٠٧، ح ٨١. التفسير الصافي: ج ٤، ص ٢٠٦، و ج ٦، ص ٧٢. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٣٠٩، ح ٢٥٦، عن الكافي، بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٣٥٩، ح ٦٨، عن الكافي أيضاً.

(٣) انظر: كتاب العين: ج ٧، ص ١٨٤، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٦٦.

يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»^(١).

فهذا معناه أنَّ أكثر المشاكل منشأوها اللسان، الذي يحصد الأخضر واليابس، ويقطع المسافات التي لا تقطعها غيره من الجوارح.

فالإذن مثلاً: لا تسمع إلا ضمن حدٍّ محدود، وهكذا العين لا تبصر إلا بقدرٍ مخصوص، ومثلها سائر الجوارح، ما عدا اللسان فإنه يتجاوز البيان، فإنه لا تحدّه الحدود، فهو قادر على إيقاع الفتنة في أقصى البلاد، وقادر على النميمة والغيبة في نهاية العالم، خصوصاً في زماننا هذا، الذي يسمى بزمان القرية الواحدة، بل البيت الواحد، وإلى هذا أشارت كلمة الإمام السجاد عليه السلام التي يقوله فيها: «إنَّ لسان ابن آدم يشرف كلَّ يوم على جوارحه فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه، ويقولون: إننا نثاب بك، ونعاقب بك»^(٢).

فانظر إلى خوف كلِّ الأعضاء والجوارح من اللسان! وكيف يتوسّلون إليه، ويطلبون منه أن يتركهم وشأنهم.

وهناك روايات كثيرة في هذا الباب، تحكي جميعاً عن الأهميّة الفائقة للسان، ودوره في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس.

ثمرات القول السديد

ذكرنا إنَّ اللسان من الجوارح المهمّة والخطيرة في الإنسان، ولا بدّ من معرفة

(١) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٩٤، واستشهد بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ناسباً إياها للرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله. مسند أحمد: ج ٣، ص ١٩٨. مجمع الزوائد: ج ١، ص ٥٣. كتاب الصمت وآداب اللسان: ص ٣٨، ح ٩. المعجم الكبير: ج ١٠، ص ٢٢٧، ح ١٠٥٥٣. معارج اليقين في أصول الدين: ص ٢٤٩، ح ١٩. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٨٧، و ص ٢٩٢، و ج ٧٢، ص ٢٦٢، ح ٦٧، عن النهج.

(٢) الخصال: ص ٦، ح ١٥. ثواب الأعمال: ص ٢٣٧. الاختصاص: ص ٢٣٠. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٧٨، ح ١٤، عن ثواب الأعمال.

مواطن خطورتها، ومواطن أهميتها.

وهذا اللسان لو سخر وروّض في مرضاة الله تبارك وتعالى، لأثمر أي ثمرات، ثمرات لا مثيل لها، من إصلاح المجتمع، وتهذيب النفوس، وبالتالي الإرتقاء بهم إلى الجنة، وذلك هو الفوز العظيم، ومن هنا نرى أَنَّ الأئمة عليهم السلام كيف هدوا أُمَّةً من الناس عن طريق القول السديد، والكلام الطيب الرشيد، فقد روي أَنَّ الإمام الكاظم عليه السلام: «اجتاز على داره - أي: بشر - ببغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية ويدها قمامة البقل، فرمت بها في الدرب: فقال لها: يا جارية، صاحب هذه الدار حُرٌّ أم عبدٌ؟ فقالت: بل حُرٌّ. فقال: صدقت، لو كان عبداً خاف من مولاه! فلما دخلت، قال مولاهما وهو على مائدة السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدّثني رجلاً بكذا وكذا، فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام، فتاب على يده»^(١).

وقد وفق هذا الرجل للتوبة، وأصبح من العباد والزهاد إلى آخر عمره، وتوفي في بغداد، قال الشيخ القمي: «... وللصوفية اعتقادٌ تامٌّ به، وقيل له: الحافي؛ لأنّه كان حافياً دائماً، والظاهر إنّ سبب ذلك أنّه هرول خلف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حافياً، ونال السعادة العظمى»^(٢).

فأنظر إلى تأثير هذا القول السديد، والكلام الطيب، ومن هنا روي أَنَّ «الكلمة الطيبة صدقة»^(٣)، وأي صدقةٍ التي يدخل الإنسان بها الجنة!

ثمّ إنّ ينبغي أن يعلم الإنسان بأن لا ينظر إلى قائل الكلمة الطيبة والهداية النافعة ممّن خرجت، ففي المروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه وعظ شيعته ومواليه، قائلاً لهم:

(١) منهاج الكرامة: ص ٥٩، عنه منتهى الآمال: ج ٢، ص ٢٩٩.

(٢) منتهى الآمال: ج ٢، ص ٢٩٩.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٤٦٧. صحيح البخاري: ج ٧، ص ٧٩. مسند أحمد: ج ٢، ص ٣١٦. بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٨٥، وج ٨٠، ص ٣٦٩.

«... ألا تأخذون الذهب من الحجر، ألا تقتبسون الضياء من النور الأزهر، ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر. خذوا الكلمة الطيبة ممن قالها، وإن لم يعمل بها، فإن الله يقول: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾»^(١).
ثم قالت الآية الثانية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

ما هو الفوز العظيم؟

إن طاعة الله طاعة الرسول، وطاعة الرسول ﷺ طاعة أهل بيته الطيبين الطاهرين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، والتي فسرها جملة من المفسرين في أهل البيت عليه السلام، وأتهم أولي الأمر^(٣).
والمهم في المقام بيان الفوز العظيم المترتب على طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ، وقد ذكر بعض المفسرين أن السبب في كون الفوز عظيماً من وجهين:

الأول: أنه من عذاب عظيم، والنجاة من العذاب تعظم بعظم العذاب.
الثاني: أنه وصل إلى ثواب كثير، وهو الثواب الدائم الأبدي^(٤)؛ ولذا كان عظيماً، ولكن ليس بدون عمل، بل لأن صاحب العمل أطاع الله وأطاع الرسول ﷺ؛ ولذا عندما نذكر سيد الشهداء عليه السلام نقول: «يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً»، ويا ليت القوم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في ذريته التي قال عنها رسول الله ﷺ: «أنا سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم»^(٥)؛ حتى يفوزوا بالفوز العظيم، لكن القوم ما انصفوا

(١) تحف العقول: ص ٢٩١، عنه بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٧٠، ح ٤.

(٢) النساء: آية ٥٩.

(٣) أنظر: تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٧. تفسير القمي: ج ١، ص ١٤١. تفسير فرات الكوفي:

ص ١٠٨. تفسير مجمع البيان: ج ٣، ص ١١٤.

(٤) أنظر: تفسير الرازي: ج ٢٥، ص ٢٣٤.

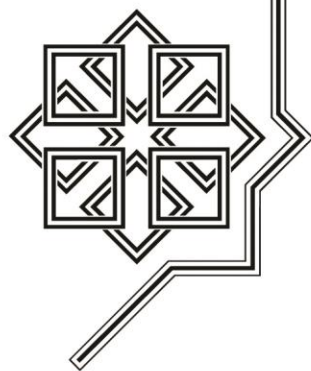
(٥) بناء المقالة الفاطمية: ص ١٨٠. شرح إحقاق الحق: ج ٣٣، ص ٨٨.

رسول الله ﷺ، بل لو كان ﷺ أمرهم أن يقتلوا أهل بيته ﷺ لما زادوا، كما قال إمامنا زين العابدين عليه السلام: «أيها الناس، أيّ قلب لا ينصدع لقتله، أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه، أم أيّ سمع يسمع هذه الثلثة التي ثلمت في الإسلام؟! أيها الناس، أصبحنا مطرودين، مشرّدين، مذودين، شاسعين، كأننا أولاد ترك أو كابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلّا اختلاق، والله، لو أنّ النبيّ تقدّم إليهم في قتالنا، كما تقدّم إليهم في الوصاة بنا لما زادوا على ما فعلوه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون»^(١).

الحاضرة الحادية عشرة



حقوق الوالدَيْن
والأرحامِ



عن داود بن كثير الرقي، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام، يقول: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَخَفِّفَ اللَّهُ عَنْهُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، فليكن لقربته وصولاً، وبوالديه باراً، فإذا كان كذلك هوّن الله عليه سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، ولم يصبه في حياته فقرٌ أبداً»^(١).

نتناول في هذه المحاضرة موضوعين مهمين، ألا وهما: صلة الرحم وبرّ الوالدين، وقد ذكر هذا الحديث المبارك هذين الموضوعين، وذكر أيضاً ما يترتب عليهما من أثر، والأثر المترتب عليهما هو: تخفيف الله عز وجل سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وتهوينها، وعدم الإصابة بالفقر أبداً.

ولنرجع إلى أصل الموضوعين، ونتناول كلّ واحدٍ منهما على حدة، وبشيء من التفصيل.

١. صلة الأرحام والقرباة

الأقرباء هم الأسرة التي ينتمي إليها الإنسان، والدوحة التي تفرّع منها، وهم ألصق الناس نسباً به، وأشدّهم عطفاً عليه، وأسرعهم إلى نجدة ومواساته. وأفضل الأقرباء والأرحام وأجدرهم بالإعجاب والثناء هم: المتحابون، المتعاطفون، المتآزرون على تحقيق أهدافهم ومصالحهم. وكلّما استشعر الأرحام وتبادلوا أحاسيس التضامن والتعاطف، كانوا أعزّ قدراً، وأمنع جانباً، وأشدّ قوة على مجابهة الأعداء، والشدائد والأزمات. والمقصود من الأرحام هم المتحدون في النسب، وإن تباعدت أواصر القربى

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٧٣، ح ١٤. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٣٢، ح ٢٤. روضة الواعظين: ص ٣٦٧. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٦٦، ح ٣٣، عن أمالي الشيخ الصدوق.

بينهم، والمراد من صلتهم التودّد إليهم، والعطف عليهم، وإسداء العون المادي لهم، ودفع المكاره والشرور عنهم، ومواساتهم في الأفراح والأحزان^(١).

الروايات الحاتّة على صلة الأرحام

هناك عدّة روايات حثّت على صلة الأرحام والقرباة، وإليك طرفاً منها:
عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم، ومَن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة: أن يصل الرحم، وإن كان منه على مسيرة سنة؛ فإنّ ذلك من الدين»^(٢).

وعلق بعض الأكابر على قوله عليه السلام: «وإن كان منه على مسيرة سنة» بقوله: «فينبغي الإرتحال لزيارتهم، أو إرسال الكتاب والمهدايا إليهم»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم، حتى أنّ الرجل يكون أجله ثلاث سنين، فيكون وصولاً للرحم، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة، فيكون قاطعاً للرحم فينقصه الله تعالى ثلاثين سنة، ويجعل أجله إلى ثلاث سنين»^(٤).

وهذا الحديث واضح الدلالة على أنّ صلة الرحم وحدها سببٌ لزيادة العمر، ولعلّ المراد أنّها أكمل أفراد ما يوجب زيادة العمر، مثل الصدقة وحسن الجوار وغيرهما، ويمكن إدراج غيرها فيها بوجه.

(١) أنظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٤٣٠-٤٣٢.
(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٥١، ح ٥. مشكاة الأنوار: ص ٢٨٧. عدة الداعي: ص ٨٠، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٠٥، ح ٦٨، و ص ١١٤، ح ٧٣ عن الكافي.
(٣) شرح أصول الكافي: ج ٩، ص ٩.
(٤) الكافي: ج ٢، ص ١٥٢، ح ١٧، عنه تفسير الصافي: ج ٤، ص ٢٣٤، و ج ٦، ص ١٢٢. وتفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٣٥٤، ح ٤٥. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٢١، ح ٨٥، عن الكافي أيضاً.

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «صل رحمك ولو بشرية من ماء، وأفضل ما يوصل به الرحم كف الأذى عنها...»^(١). وعنه عليه السلام أنه قال: «إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أهل بيتي أبوا إلا توثباً عليّ، وقطيعة لي وشتمة فأرفضهم؟ قال صلى الله عليه وآله: إذا يرفضكم الله جميعاً. قال: فكيف أصنع؟ قال صلى الله عليه وآله: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير»^(٢).

وكلّما كان الأرحام والأقرباء متماسكون أكثر، كانوا أقدر على مجابهة المشاكل والصعاب، ولا يستطيع الأعداء والحساد زعزعتهم.

ومن هنا حُكي أنّ رجلاً يُدعى (أكثم بن صيفي)، دعى أبناءه عند موته، فاستدعى إضمامة^(٣) من السهام، فتقدّم إلى كلّ واحد منهم أن اكسرها فلم يقدر أحد على كسرها.

ثمّ بدّدها فتقدّم إليهم أن يكسروها فاستسهلوا كسرها، فقال: كونوا مجتمعين؛ ليعجز من ناواكم عن كسركم، كعجزكم عن كسرها مجتمعةً، فإنكم إن تفرقتم سهل كسركم^(٤).

أثار قطيعة الرحم

قطيعة الرحم، هي فعل ما يسخط الرحم ويؤذيه، قولاً وفعلاً، كسبه واغتيابه

(١) قرب الإسناد: ص ٣٥٥، ح ١٢٧٢. الكافي: ج ٢، ص ١٥١، ح ٩. تحف العقول: ص ٤٤٥. مشكاة الأنوار: ص ٢٨٨. منتقى الجمان: ج ٢، ص ٤٥٧. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٨٨، ح ١ عن قرب الإسناد وص ١١٧، ح ٧٨ عن الكافي.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٥٠، ح ٢. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٥٣٨، ح ١. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١١٣، ح ٧٢.

(٣) الإضمامة: المضموم بعضها إلى بعض، كما في كتاب العين: ج ٧، ص ١٧.

(٤) أنظر: أخلاق أهل البيت عليه السلام: ص ٤٣٥.

وهجره، وقطع الصلات المادية عنه، وحرمانه من مشاعر العطف والحنان. وتعتبر الشريعة الإسلامية قطيعة الرحم جرماً كبيراً، وإثماً ماحقاً، توعّد عليها الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أربعة أسرع شيء عقوبة: رجل أحسنت إليه فكافأك بالإحسان إساءة، ورجل لا تبغى عليه، وهو يبغى عليك، ورجل عاهدته على أمر فوفيت له وغدر بك، ورجل وصل قرابته فقطعه»^(٢).

ومن هنا روي عن بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قلت له: إن إخوتي وبني عمي قد ضيقوا عليّ الدار، وأجأوني منها إلى بيت، ولو تكلمت أخذت ما في أيديهم، قال: فقال لي: اصبر فإن الله سيجعل لك فرجاً. قال: فانصرفت، ووقع الوباء في سنة إحدى وثلاثين [ومائة]، فماتوا والله كلهم، فما بقي منهم أحد، قال: فخرجت فلما دخلت عليه، قال: ما حال أهل بيتك؟ قال: قلت له: قد ماتوا والله كلهم، فما بقي منهم أحد، فقال: هو بما صنعوا بك، وبعقوقهم إياك، وقطع رحمهم بتروا، أتحب أنهم بقوا، وأنهم ضيقوا عليك؟ قال: قلت: إي والله»^(٣).

وفي خبر شعيب العرقوفي في دخول يعقوب المغزلي على موسى بن جعفر عليه السلام، وقوله عليه السلام له: «يا يعقوب، قدمت أمس، ووقع بينك وبين أخيك شرٌّ في موضع كذا وكذا، حتى شتم بعضكم بعضاً، وليس هذا من ديني ولا دين آبائي، ولا نأمر بهذا أحداً، فاتق الله وحده، فإنكما ستعاقبان بموت، أما أخوك فيموت في سفره قبل أن يصل إلى أهله، و

(١) محمد: آية ٢٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٥٥، ضمن حديث ٥٧٦٢. مكارم الأخلاق: ص ٤٣٤. الخصال: ص ٢٣٠، ج ٧٢. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٤٠، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٧٤، ح ٣، وج ٧٤، ص ٤٤ ضمن ح ١ وكلاهما عن الخصال.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٤٧، ح ٣، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٣٣، ح ١٠٣.

ستندم أنت على ما كان؛ ذلك أنّكما تقاطعتما فبتر الله أعماركما. قال الرجل: جعلت فداك، فأنا متى أجلي؟ قال: كان حضر أجلك، فوصلت عمّتك بما وصلتها في منزلك كذا وكذا، فأنسا الله به أجلك عشرين سنة. قال: فلقيت الرجل قابلاً بمكة، فأخبرني أن أخاه توفي في ذلك الوجه، ودفنه قبل أن يصل إلى أهله^(١).

ودلالة الحديث واضحة أيضاً على أن المراد بالنساء في الأجل زيادة العمر، لا ما ذهب إليه بعض العامة من بقاء الذكر الجميل بعد موته، ولا ما ذهب إليه بعضهم أيضاً من البركة في العمر بمعنى توفيقه للطاعة والعبادة، وما ذهبوا إليه وإن كان صحيحاً يوجب الصلة، لكنه غير مراد من النساء في الأجل^(٢).

إذن، فقطعية الرحم من الذنوب التي تعجل العقوبة، وتعجل بالفناء، وتحقق الديار، والخسران في الدنيا والآخرة، هذا كله في الموضوع الأول، وقد تكلمنا فيه على نحو الاختصار، وهناك شواهد كثيرة في الموضوع، ولكن تركناها لطلوها.

٢- حقوق الوالدين

من الحقوق الإلهية المهمة على الإنسان حق الوالدين؛ فقد قرنهما البارئ عز وجل بعد التوحيد في أكثر من آية، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عظم هذا الحق وجلالته. قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا...﴾^(٣). وقال عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾^(٤).

(١) دلائل الإمامة: ص ٣٣٤، ح ٣٤. مدينة المعاجز: ج ٦، ص ٢٤٢-٢٤٣، ح ٥٢. اختيار معرفة الرجال: ج ٢، ص ٧٤١، ح ٨٣١.
(٢) أنظر: شرح أصول الكافي: ج ٩، ص ١٢.
(٣) الإسراء: آية ٢٣.
(٤) الأنعام: آية ١٥١.

فقد بَيَّنَّتْ هاتان الآيتان منزلة بَرِّ الوالدين، وعدم عقوبتها بعد التوحيد، وعدم الشرك بالله، وأمَّا الروايات في المقام فهي كثيرة جداً، فعن الإمام الباقر عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثٌ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ ﷻ لِأَحَدٍ فِيهِنَّ رَخْصَةً: أَدَاءُ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَبَرُّ الْوَالِدَيْنِ بَرِّينَ كَانَا أَوْ فَاجِرَيْنِ»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي فَقَالَ: لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ حُرِقْتَ بِالنَّارِ وَعُذِبْتَ إِلَّا وَقَلْبُكَ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، وَوَالِدُكَ فَاطِعُهَا وَبَرَّهْمَا، حِينَ كَانَا أَوْ مِيتَيْنِ، وَإِنْ أَمْرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ فَافْعَلْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢).

وعن عَمَّارِ بْنِ حَيَّانٍ قَالَ: خَبَّرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بِبَرِّ إِسْمَاعِيلَ ابْنِي بِي، فَقَالَ: «لَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّهُ، وَقَدْ أَزْدَدْتُ لَهُ حُبًّا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَتْهُ أُخْتُ لَهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّ بِهَا، وَبَسَطَ مَلْحَفَتَهُ لَهَا، فَاجْلَسَهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ يُحَدِّثُهَا وَيَضْحَكُ فِي وَجْهِهَا، ثُمَّ قَامَتْ وَذَهَبَتْ، وَجَاءَ أَخُوهَا، فَلَمْ يَصْنَعْ بِهِ مَا صَنَعَ بِهَا، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَنَعْتَ بِأُخْتِهِ مَا لَمْ تَصْنَعْ بِهِ، وَهُوَ رَجُلٌ؟! فَقَالَ: لِأَنَّهَا كَانَتْ أَبْرَ بَوَالِدِيهَا مِنْهُ»^(٣).

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٦٢، ح ١٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٥٦، ح ١٥. تفسير نور الثقلين: ج ٣،

ص ١٥١، ح ١٤١، لكن رواه عن الإمام الصادق عليه السلام. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٩٠، ح ٣.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٥٨، ح ٢، تحف العقول: ص ٤١. مشكاة الأنوار: ص ٢٧٨. التفسير

الصابي: ج ٤، ص ١٤٤. التفسير الأصفي: ج ٢، ص ٩٦٩. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٢٠١،

ح ٢٨. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٨٩، ح ٤. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٤، ح ٢ عن الكافي،

وج ٧٤، ص ١٤٥، ح ٤٤.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٦١، ح ١٢. كتاب الزهد: ص ٣٤، ح ٨٨. مشكاة الأنوار: ص ٢٨٠، حلية

الأبرار: ج ١، ص ٢٠٣-٢٠٤، ح ٦ عن الكافي. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٨٩، ح ٣. بحار الأنوار:

ج ١٦، ص ٢٨١، ح ١٢٦ عن كتاب الزهد، وج ٢٢، ص ٢٦٦-٢٦٧، ح ١١ عن الكافي، وج ٧١، ص ٥٥،

ح ١٢ عن الكافي أيضاً.

أهمية الأم عند الشارع

عرفنا أهمية البرّ بالوالدين من خلال الآيات والروايات الشريفة، ومع هذا فقد أولى الشارع المقدّس الأمّ بأهمية زائدة على الأب، وأعطاهما الحظّ الأوفر من البرّ والرعاية؛ لكونها قد قدّمت الحظّ الأوفر من الجهد والعناية، فقد تحمّلت الأمّ متاعب الحمل ومشاقّه التي يعبر عنها القرآن الكريم بالوهن تارةً وبالكره أخرى.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾^(١).

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾^(٢).

وأما الروايات فهي عديدة:

منها: ما روي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «جاء رجل إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، من أبرّ؟ قال: أمّك. قال: ثمّ من؟ قال: أمّك. قال: ثمّ من؟ قال: أمّك. قال: ثمّ من؟ قال: أباك»^(٣).

وعن إبراهيم بن مهزم قال: «خرجت من عند أبي عبد الله (عليه السلام) ليلة ممسيّاً فأتيت منزلي بالمدينة، وكانت أمّي معي، فوقع بيني وبينها كلام، فأغلظت لها، فلما إن كان من الغد صليتُ الغداة، وأتيتُ أبا عبد الله (عليه السلام)، فلما دخلت عليه، فقال لي مبتدئاً: يا أبا مهزم، ما لك وللوالدة، أغلظت في كلامها البارحة! أما علمت أنّ بطنها منزل قد سكنته، وأنّ حجرها مهداً قد غمزته، وثديها وعاء قد شربته؟! قال: قلت بلى. قال: فلا تغلظ لها»^(٤).

(١) لقمان: آية ١٤.

(٢) الأحقاف: آية ١٥.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١٦٠، ح ٩، عنه التفسير الصافي: ج ٤، ص ١٤٤. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ١٥٢، ح ١٤٨، وج ٤، ص ٢٠٠، ح ٢٦. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٤٩، ح ٩ عن الكافي.

(٤) بصائر الدرجات: ص ٢٦٣، ح ٣. الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٧٢٩، ح ٣٤. مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٣٤٨. مدينة المعاجز: ج ٥، ص ٣١٤، ح ٧٣. الدر النظيم: ص ٦٣٣. بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٧٢، ح ٣٢ عن البصائر.

بِرَّ الوالدين عند عجزهما وكبرهما

بِرَّ الوالدين وإن كان له شأنه الخاص، ووقعه الجميل في نفس الوالدين، إلا أنه تزداد أهميته وحسنه وجماله عند عجزهما وكبرهما؛ حيث تزداد الحاجة فيهما إلى الرعاية، مثل حالات المرض والشيخوخة.

قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُنْفٍ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(١).

روي أن رجلاً جاء إلى الرسول الأكرم ﷺ فقال: «إِنَّ أَبَوَيَّ بُلُغَا مِنَ الْكِبَرِ أَنِّي أُولِيهِمَا مَا وَلِيَا مَنِي فِي الصَّغَرِ، فَهَلْ قَضَيْتُهُمَا؟ قَالَ: لَا، فَإِنَّهُمَا كَانَا يَفْعَلَانِ لَكَ وَهُمَا يَحْبَانِ بَقَاءَكَ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ وَأَنْتَ تَرِيدُ مَوْتَهُمَا»^(٢).

وعن إبراهيم بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إِنَّ أَبِي قَدْ كَبُرَ جَدًّا وَضَعْفٌ، فَتَحْنُ نَحْمَلُهُ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ». فقال: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَافْعَلْ، وَلَقَمَهُ بِيَدِكَ، فَإِنَّهُ جَنَّةٌ لَكَ غَدًا»^(٣).

بِرَّ الوالدين بعد موتهما

قد لا يُوفق الإنسان لبِرِّ والديه في حال حياتهما، وعندما يتوفيان يبقى متأذياً طوال

(١) الإسرائيليات: آية ٢٣-٢٤.

(٢) تفسير الثعلبي: ج ٦، ص ٩٣. تفسير البيضاوي: ج ٣، ص ٤٤١. تفسير أبي السعود: ج ٥، ص ١٦٧. تفسير الكشاف: ج ٢، ص ٤٤٥. تخريج الأحاديث والآثار: ج ٢، ص ٢٦٥، ح ١٠. رياض السالكين: ج ٤، ص ٦٥. تنزيل الآيات: ص ٤١٠.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١٦٢، ح ١٣. كتاب الزهد: ص ٣٥، ح ٩١. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٥٠٥-٥٠٦، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٥٦، ح ١٣ عن الكافي.

حياته، ولائماً لنفسه، وملقياً ذلك على سوء حظّه، أو غير ذلك، وقد لا يكون ذلك ناشئاً عن تقصيره، بل يمكن أن تكون هناك ظروف ساخطة عليه أبعدته عنها، أو مآتا حال صغره مثلاً، أو غير ذلك.

وكيف كانت الظروف والمناسبات، فقد فتح الله تبارك وتعالى باباً واسعاً، تسهيلاً لعباده لأن يبرّوا آباءهم وأمّهاتهم حتّى ولو كانوا أمواتاً.

وأكدت الروايات على برّهما بعد وفاتهما؛ لشدة إحتياجها لذلك، لانتقطاع عملها بالموت، كما ورد في الخبر: «وإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»^(١).

فقد روي عن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلّا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته، فهي تجري بعد موته، وسنة هدى سنّها، فهي يعمل بها بعد موته، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

ومن مصاديق الدعوة لهما، أن يعمل بعض الأعمال الخيرة، ويهديها لهما، وأن يقضي - بحسب الاستطاعة - عنهما دينهما، أو ما فاتهما من صلاة أو صيام أو غير ذلك، قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما، ثم يموتان فلا يقضى عنهما

(١) نهج البلاغة: ج ١، ص ٩٣. وأنظر: الكافي: ج ٨، ص ٥٨، ح ٢١. خصائص الأئمة: ص ٩٦. الإرشاد: ج ١، ص ٢٣٦. أمالي الشيخ المفيد: ص ٩٣، ح ١، وص ٢٠٨، ح ٤١، وص ٣٤٥، ح ١. أمالي الشيخ الطوسي: ص ١١٧، ح ٣٧، وص ٢٣١، ح ١. عيون الحكم والمواعظ: ص ١٤٢. بحار الأنوار: ج ٣٤، ص ١٧٢، ح ٩٧٨ عن الكافي، وج ٦٧، ص ٧٧، ح ٧ عن أمالي الشيخ الطوسي، وج ٧٠، ص ٩٦، ح ٨٠ عن أمالي الشيخ المفيد والشيخ الطوسي، وذكرها أيضاً في مواطن أخرى عن مصادر أخرى.

(٢) الكافي: ج ٧، ص ٥٦، ح ١. وأنظر: أمالي الشيخ الصدوق: ص ٨٧، ح ٧. الخصال: ص ١٥١، ح ١٨٤. روضة الواعظين: ص ٤٨٧. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ١٧٠، ح ٩٥ عن الخصال. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٧٤، ح ٦. بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢٩٣، ح ١ عن الخصال، وص ٢٩٤، ح ٤ عن أمالي الشيخ الصدوق، ومثله في ج ٦٨، ص ٢٥٧، ح ١، ومواضع أخرى.

الدِّين، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عاقاً، وأنَّه ليكون في حياتهما غير بارٍ لهما، فإذا ماتا قضى عنهما الدِّين، واستغفر لهما، فيكتبه الله تبارك وتعالى باراً^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «سيد الأبرار يوم القيامة، رجل برٍّ والديه بعد موتها»^(٢).

الأثار السيئة لعقوق الوالدين

إنَّ لعقوق الوالدين آثاراً وخيمة، ومساوئ خطيرة تنتظر العاق بوالديه، ونحن نذكر بعضها على نحو الاختصار.

١ - إنَّ العاقَّ يعقُّه ابنه جزاءً على عقوقه لأبيه وأُمّه، ومن هنا روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «بروا آبائكم وبرَّكم أبناءكم»^(٣).

وقد ذكر التاريخ قصصاً متنوّعة لَمَن عَقَّ أبويه ومكافأة أبنائه له، ومن ذلك ما حكاه الأصمعي قال: «حدّثني رجلٌ من الأعراب، قال: خرجت من الحي أطلب أعقَّ الناس وأبرَّ الناس. فكنت أطوف بالأحياء، حتى انتهيت إلى شيخٍ في عنقه حبل، يستقي بدلوه لا تطيقه الإبل في الهاجر والحر الشديد، وخلفه شاب في يده رشاء من قَدِّ ملوي^(٤)، يضربه به، قد شقَّ ظهره بذلك الحبل. فقلت له: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف، أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنَّه مع هذا أبي. قلت: فلا جزاك الله خيراً. قال: اسكُت، فهكذا كان يصنع هو بأبيه، وكذا كان يصنع أبوه بجده. فقلت: هذا أعقَّ الناس. ثم جلتُ أيضاً حتى انتهيت إلى شاب في عنقه زبيل، فيه شيخ كأنه فرخ، فيضعه بين يديه في كل ساعة، فيزقه كما يزقُّ الفرخ. فقلت له: ما هذا؟ فقال: أبي، وقد

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٦٣، ح ٢١. كتاب الزهد: ص ٣٣، ح ٨٧. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٥٩، ح ٢١ عن الكافي.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٨٦ ضمن حديث ١٠٠. مستدرک الوسائل: ج ١٣، ص ٤١٤، ح ١.

(٣) عوالي اللئالي: ج ١، ص ٢٥٢، ح ٧.

(٤) القدّ: سير يقَدُّ من جلد غير مدبوغ. وملوي: مفتول. أنظر: معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٦.

خرف، فأنا أكفله. قلت: فهذا أبرّ العرب. فرجعت وقد رأيتُ أعقَّهم وأبرَّهم^(١).

٢- إنّ العاقّ يشاهد أهوالاً مريعة عند الوفاة، ويعاني شدائد النزع وسكرات الموت، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حضر شاباً عند وفاته، فقال له: قل: لا إله إلا الله. قال: فاعتقل لسانه مراراً، فقال لامرأة عند رأسه: هل لهذا أمّ؟ قالت: نعم، أنا أمّه. قال: أفساخطة أنتِ عليه؟ قالت: نعم، ما كلمته منذ ستّ حجج. قال لها: أرضي عنه. قالت: رضي الله عنه يا رسول الله برضاك عنه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: قل: لا إله إلا الله. قال: فقالها. فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما ترى؟ فقال: أرى رجلاً أسود، قبيح المنظر، وسخ الثياب، متن الريح، قد وليني الساعة فأخذ بكظمي. فقال النبي صلى الله عليه وآله: قل: يا مَنْ يقبل اليسير، ويعفو عن الكثير، اقبل منّي اليسير، واعف عني الكثير، إنّك أنت الغفور الرحيم. فقالها الشاب، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: انظر ما ترى؟ قال: أرى رجلاً أبيض اللون، حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، قد وليني، وأرى الأسود وقد ولّى عني. قال: أعد، فأعاد. قال: ما ترى؟ قال: لست أرى الأسود، وأرى الأبيض قد وليني، ثمّ طفا^(٢) على تلك الحال^(٣).

٣- ومن آثار العقوق، أنّها من الذنوب الكبائر، بل من أكبر الكبائر التي توعّد الله عليها بالنار، كما صرّحت بذلك الأخبار^(٤). وفي خبر طويل عن الإمام الصادق عليه السلام يبيّن فيه أبرز مصاديق الذنوب الكبائر يقول فيه: «أكبر الكبائر سبعة - فينا نزلت، وبنا استُحلّت -: أولها الشرك بالله ﷻ... فأما الشرك بالله تعالى فقد قال الله ﷻ فينا ما قال، وأنزل فينا ما أنزل، ويّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فكذبوا الله ورسوله، وردّوا عليها. وأما قتل النفس التي حرّم الله فقد قُتل الحسين عليه السلام ظلماً في أهل بيته، وأما عقوق الوالدين، فقد عقّوا رسول

(١) أخلاق أهل البيت عليه السلام: ص ٣٥٨.

(٢) أي: مات.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٥، ح ٤، مشكاة الأنوار: ص ٢٨٤. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٧٥، ح ٦٧، وج ٩٢، ص ٣٤٢، ح ١، كلا الموضعين عن الأمالي.

(٤) أنظر: المقنعة: ص ٢٩٠-٢٩١.

اللَّهُ ﷻ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ﷺ فِي ذَرِيَّتِهِمَا...»^(١).

أُعْزَيْكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى فِي الَّذِي جَرَى
بِمَاذَا تُعْزَى وَالْمَصَائِبُ جَمَّةٌ
فَأَطْفَالُ طُهْرٍ فِي حُجُورِ طَوَاهِرٍ
سِوَى أَنَّهُمْ مِنْ قَبْلِ حَلِّ تَمَائِمِ
أَمْ الذَّبْحُ لِلذَّبْحِ الْعَظِيمِ عَلَى الظَّامِ
أَمْ الْهَتَكُ لِلْخَدْرِ الَّذِي لِاحْتِرَامِهِ
أَصَابَتْ سَهَامُ الطَّفِّ حَبَّةَ قَلْبِهَا
عَلَى ابْنِكَ يَوْمَ الطَّفِّ وَالرُّزْءُ أَعْظَمُ
لَأَذْنَى رَزَايَاهَا الشَّدَادُ تُهْدَمُ
وَلَيْسَ لَهَا ذَنْبٌ هُنَالِكَ يُعْلَمُ
لَهَا السِّيفُ وَالْخَطِي سِوَارٌ وَمَعْصَمُ
لِتَغْسِيلِهِ مِنْ نَحْرِهِ قَدْ جَرَى الدَّمُ
مَلَائِكَةُ الْجَبَّارِ بِالذَّلِّ تَخْدُمُ
فَأَحْشَاؤُهَا مِنْهُمْ ثَوْبٌ مَقْسَمُ^(٢).

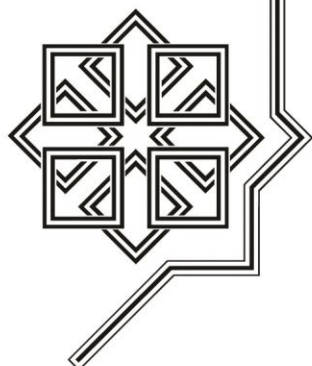
(١) المقنعة: ص ٣٩١.

(٢) رياض المدح والرثاء: ص ٧٢٨-٧٣٠. ولم تنسب لأحد، ولم أعثر على شاعرها، فلهذا درّه، وعلى الله أجره.

لِحَاظَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ



الضَّلَاقَةُ
وَالْأَصْدِقَاءُ



عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه، عن جدّه عليّ عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «... عليك بإخوان الصدق، فأكثر من اكتسابهم؛ فإنّهم عدّة عند الرخاء، وجنّة عند البلاء»^(١).
من المفاهيم الإسلامية العظيمة مفهوم الصداقة، والمقصود من الصداقة علاقة المحبة والموّدة بين بني البشر؛ لأنّ طبع الإنسان وفطرته ميّالة إلى الاجتماع، لا العزلة والافتراق عن بني جنسه، كما يتصوّر البعض من الناس، وإن كان الإنسان يحبّ ذاته أوّلاً وبالذات.

قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «... لكلّ ظاهرة من ظواهر العالم، بما فيها الحيوان، وللإنسان خاصّة، حبّ الذات، فيحبّ ذاته، ويرى أبناء نوعه عينه ونظيره، وعن هذا الطريق يحسّ بالأنس بهم داخلياً، فيطلب التقارب معهم والاتّجاه نحوهم، ويمنح الاجتماع حركته وفعاليته... نستنتج من البيان المتقدّم مايلي: ... الإنسان مدنيّ بالطبع»^(٢).
ومن أجل ذلك كان الإنسان شديد المحبة لاتّخاذ أصدقاء وخلان يؤازرونه.

حثّ الشريعة الإسلامية على اتّخاذ الصديق

لقد حثّت الشريعة الإسلامية العظيمة على اتّخاذ الأصدقاء، وقد أشارت جملة من النصوص لهذا المعنى، نذكر بعضاً منها، فعن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الإسلام مثل أخ يستفيده في الله»^(٣).

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٣٨٠، ح ٨، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٨٦-١٨٧، ح ٧.

(٢) أصول الفلسفة والمنهج الواقعي: ج ١، ص ٥٨٢-٥٨٣.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٦-٤٧، ح ٢٦، عنه بشارة المصطفى: ص ١٢٢، ح ٦٧، وبحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٧٤-٢٧٥، ح ٣، وج ٧٥، ص ١٩٥-١٩٦، ح ١٦. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٣٣، ح ٢.

وعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ اسْتَفَادَ أَخًا فِي اللَّهِ ﷻ، اسْتَفَادَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(١).

وعن النبي الأكرم ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ اسْتَفَادَ أَخًا فِي اللَّهِ، زَوَّجَهُ اللَّهُ حُورًا»^(٢).

كيف تختار الصديق؟

إِنَّ للصديق الأثر البالغ على صديقه، ومن هنا قيل سابقاً ولاحقاً، شعراً ونثراً:
عاشر أَخًا ثَقَّةً تَحْطَى بِصَحْبِهِ فالطَّبْعُ مَكْتَسِبٌ مِنْ كُلِّ مَصْحُوبٍ
فالريح أَخْذَةٌ مِمَّا تَمُرُّ بِهِ نتنًا مِنَ التَّنِّ أَوْ طَبِيبًا مِنَ الطَّبِيبِ^(٣).

فالإنسان سريع التأثر بالصديق والأستاذ والرفيق، وكلٌّ مَنْ يتجاوب معه ويرافقه، ولعلَّ أشدهم تأثيراً فيه الصديق؛ لأنَّ الصداقات غالباً ما تكون عن سابقةٍ وقناعةٍ بالفرد ليتَّخذهُ صديقاً، بخلاف الأستاذ، فقد يكون الفرد غير مختار - أحياناً - في اتِّخاذه، وهكذا الحال في الرفيق، فقد يكون من قبيل الأستاذ، والصديق قد يكون صالحاً، وقد يكون فاسداً.

فالصديق الصالح مَنْ يوصلنا إلى بوابة الخير، وَمَنْ يعيننا على ما فيه مرضاه تبارك وتعالى، ويهديننا إلى كُلِّ ما فيه رشاد وصلاح.
وأما الصديق الفاسد، فهو على العكس تماماً، فهو أشبه شيءٍ بالوباء، فهو لا يقربنا إلَّا إلى الشرور والآفات والضلال، فمن هنا اتَّضح لزوم وضرورة اتِّخاذ الصديق الصالح.

(١) ثواب الأعمال: ص ١٥١. أمالي الشيخ المفيد: ص ٣١٦، ح ٨. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٨٤، ح ٣٣. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٦، ح ١. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٧٦، ح ٤ عن أمالي الشيخين (رحمهما الله)، وح ٥ عن ثواب الأعمال.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٧٧-٢٧٨، ح ١١.

(٣) الخصائص الفاطمية: ج ١، ص ١٠٠، ولم ينسبه لأحد، ولم أعثر على قائله.

وكم من الأشخاص كانوا مثاليين في تعاملهم مع آبائهم وأمهاتهم، لكنهم ضلّوا وأضلّوا بسبب صديق السوء الذي اتّخذوه، والقرين الطالح الذين وادّوه؟! قال أردشير بن بابك: «وقد يجد ذو المعرفة في نفسه عند معايشة السفلة الوضعاء شهراً فساد عقله دهرًا»^(١).

فإذا أردنا أن نختار صديقاً من الأصدقاء لا بدّ وأن نتحقّق من وجود عدّة صفات فيه، سنذكرها عبر الروايتين التاليتين:

الصفات المطلوبة في الصديق

عرفنا أنّ الصديق الذي ينبغي اتّخاذه هو الصديق الصالح، ويجب علينا نبذ الصديق الفاسد، ويا ليت الشباب يلتفتون إلى ذلك فيأتون آبائهم أو من يكبرهم سنّاً، أو من اتّخذوه قدوة لهم، فيسألونه عن هذا أو ذاك، وعن صحّة اتّخاذه صديقاً وعدمها، أو عن الصفات الحميدة التي ينبغي أن تكون في الصديق، كما سأل ذلك الرجل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قام رجل بالبصرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الإخوان. فقال: الإخوان صنفان: إخوان الثقة وإخوان المكاشرة، فأما إخوان الثقة: فهم الكفّ والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على حدّ الثقة فابذل له مالك وبدنك، وصافٍ من صافاه، وعادٍ من عاداه، واكتم سرّه وعييه، وأظهر منه الحسن، واعلم أنّها السائل: أنّهم أقلّ من الكبريت الأحمر، وأما إخوان المكاشرة فإنّك تصيب لذتك منهم، فلا تقطعنّ ذلك منهم، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان»^(٢).

(١) الخصائص الفاطمية: ج ١، ص ١٠٠.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٤٩، ح ٣. الخصال: ص ٤٩، ح ٥٦. مصادقة الإخوان: ص ٣٠، ح ١. تحف العقول: ص ٢٠٥. الاختصاص: ص ٢٥١. نزهة الناظر وتنبية الخاطر: ص ٦٤-٦٥، ح ٥٣. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١١٢. بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ١٩٣، ح ٣ عن الكافي، وج ٧١، ص ٢٨١، ح ٢ عن الخصال. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٣، ح ١.

والمقصود من هذا الحديث - كما عن العلامة المجلسي عليه السلام: «(الإخوان صنفان) المراد بالإخوان: إمّا مطلق المؤمنين، فإنّ المؤمنين إخوة، أو المؤمنين الذين يصاحبهم ويعاشرهم، ويظهرون له المودّة والإخوة، أو الأعم من المؤمنين وغيرهم إذا كانوا كذلك. والمراد بـ(إخوان الثقة): أهل الصلاح والصدق والأمانة الذين يثق بهم، ويعتمد عليهم في الدين، وعدم النفاق، وموافقة ظاهرهم لباطنهم، و(بإخوان المكاشرة) الذين ليسوا بتلك المثابة، ولكن يعاشرهم لرفع الوحشة، أو للمصلحة والتقية، فيجالسهم ويضاحكهم، ولا يعتمد عليهم، ولكن ينتفع بمحض تلك المصاحبة منهم؛ لإزالة الوحشة ودفع الضرر»^(١). وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لا تكون الصداقة إلّا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود، أو شيء منها، فانسبه إلى الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة، فأولها: أن تكون سريره وعلايته لك واحدة، والثاني: أن يرى زينك زينه وشينك شينه، والثالثة: أن لا تغيّره عليك ولاية ولا مال، والرابعة: أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته، والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال، أن لا يسلمك عند النكبات»^(٢).

مثال واقعي لإخوان الثقة والصفاء

«مما يحكى أنّ الشاه عباس ركب يوماً إلى بعض متنزهاته، وكان البهائي والداماد في موكبه؛ إذ كان لا يفارقهما غالباً، وكان الداماد عظيم الجثة، والبهائي نحيفها، فأراد الشاه أن يختبر صفاء الخواطر بينهما، فقال للداماد - وهو راكب فرسه في مؤخرة الجمع، وقد ظهرت عليه آثار الإعياء والتعب، والبهائي في مقدمة الجمع -: يا سيدنا ألا تنظر إلى هذا الشيخ

(١) بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ١٩٤.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٦٣٩، ح ٦. أمالي الشيخ الصدوق: ص ٧٦٧، ح ٧. الخصال: ص ٢٧٧، ح ١٩. تحف العقول: ص ٣٦٦. روضة الواعظين: ص ٣٨٧. مشكاة الأنوار: ص ١٥٥. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٧٣، ح ١ عن الأمالي، وج ٧٥، ص ٢٤٩، ح ٩٠. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٦، ح ١.

كيف تقدّم بفرسه ولم يمشِ على وقار كما تمشي أنت؟!

فقال الداماد: أيها الملك، إنّ جواد الشيخ قد استخفه الطرب بمن ركبه، فهو لا يستطيع التأي، ألا تعلم من الذي ركبه. ثمّ قال للبهائي: يا شيخنا ألا تنظر إلى هذا السيد، كيف أتعّب مركبه بجثمانه الثقيل؟! والعالم ينبغي أن يكون مرتاضاً مثلك، خفيف المؤنة.

فقال البهائي: أيها الملك، إنّ جواد الشيخ أعيا بما حمل من علمه الذي لا يستطيع حمله الجبال، فعند ذلك نزل الشاه عن جواده، وسجد لله شكراً على أن يكون علماء دولته بهذا الصفاء.

فأكرم به من ملك كامل وسلطان عادل، وأكرم بهما من عالين مخلصين. وحكايات ما وقع بينهما من المصافاة والمصادقة كثيرة، وهكذا يسعد الزمان وأهله بأمثال هؤلاء العلماء، وهؤلاء الملوك»^(١).

حقوق الأصدقاء

بعد ما عرفنا فضل الصديق والصداقة في الشريعة الإسلامية، والحثّ عليها، وكيف نختار صديقنا على ضوء ما نطقّت به الروايات الشريفة، تعال معي الآن لنعرف ما هي حقوق الأصدقاء؟

هناك عدّة حقوق متبادلة بين الأصدقاء، لا بدّ من رعايتها؛ حتّى تكون الصداقة صداقة يحبّها الله ورسولُهُ، وإليك بعض هذه الحقوق:

١ - الرعاية المادية: من الحقوق بين الأصدقاء هو الرعاية المادية، ويمكن دخوله في الحدّ الرابع من الحدود التي يبينها إمامنا الصادق عليه السلام حيث قال: «أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته»، أو دخوله في الحدّ الخامس حيث قال عليه السلام: «أن لا يسلمك عند النكبات»، ومن

(١) أعيان الشيعة: ج ٩، ص ٢٤٢.

النكبات الشديدة هي النكبة المادية.

فقد يقع الإنسان في خاتقة مادية شديدة لا يتمكن من علاجها، إلّا عن طريق مؤازرة الأصدقاء، وللأسف تجد البعض منهم صديقاً وفاقاً، إلّا عند الرعاية المادية، فلا تجود يده بشيء أبداً، فهو صديق لك ما دامت يدك مملوءة، فإذا فرغت فهو لا يعرفك منذ الساعة.

ومن هنا قال الإمام الكاظم عليه السلام - في خبر طويل - لرجلٍ من خاصّته: «يا عاصم، كيف أنتم في التواصل والتبار؟ فقال: على أفضل ما كان عليه أحد. فقال: أيأتي أحدكم منزل أخيه عند الضيقة فلا يجده، فيأمر بإخراج كيسه، فيخرج فيفرض ختمه، فيأخذ من ذلك حاجته، فلا ينكر عليه؟ قال: لا. قال: لستم على أفضل ما كان أحد عليه من التواصل»^(١).

وفي التاريخ نماذج عالية من المواساة، منها ما حكاه بعضهم عن الواقدي، قال: «كان لي صديقان، أحدهما هاشمي، وكنا كنفسٍ واحدة، فالتني ضائقةً شديدةً وحضر العيد، فقالت امرأتي: أمّا نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأمّا صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمةً لهم؛ فينا أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيتته، فقال لي: اصدقني عما فعلته فيما وجهت به إليك، فعرفته الخبر على وجهه، فقال لي: إنك وجهت إلي، وما أملك على الأرض إلّا ما بعثت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه كيسي بخاتمي! قال الواقدي: فتواسينا ألف درهم فيما بيننا، ثمّ إنا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك، ونمي الخبر إلى المأمون، فدعاني وسألني، فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحد منّا ألفاً، وللمرأة ألف دينار»^(٢).

(١) مكارم الأخلاق: ص ١٤٥، عنه بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ١١٨، ح ٣٥، وج ٦٣، ص ٤٢١، ح ٣٦. وسائل الشيعة: ج ٢٥، ص ٣٥، ح ٥٧.

(٢) وفيات الأعيان: ج ٤، ص ٣٥٠، عنه الكنى والألقاب: ج ٣، ص ٢٨٠. أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٤٥٠.

٢ - المداراة: ومن الحقوق التي ينبغي مراعاتها في الصداقة المداراة، ونعني بها الصفح عن الزلل، وغضّ النظر عن بعض العثرات؛ حرصاً على دوام الصداقة وبقائها، واستبقاءً للمدّة، ويجاول كلّ منهما التماس العذر لصاحبه، ويحمّله على أحسن المحامل وأرفعها.

فلو أنّ صديقاً لم يأت لصديقه في فرح أو ترح، فعلى الآخر أن يلتبس له العذر، لا أن يصرّ في النقد والتقريع من غير سؤاله واستفهامه عن علّة غيابه. وورد عن صادق العترة الطاهرة عليه السلام، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرني ربّي بمداواة الناس، كما أمرني بأداء الفرائض»^(١).

لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزيّنوا في عيدهم، وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثّة، فلو احتلت في شيء تصرفه في كسوتهم؟ قال: فكتبتُ إلى صديق لي، وهو الهاشمي أسأله التوسعة عليّ بما حضر، فوجّه إليّ كيساً مختوماً، ذكر أنّ فيه ألف درهم! فما استقرّ قراره حتى كتب إليّ الصديق الآخر، يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي، فوجّهت إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد، فأقمت فيه ليلتي مستحياً من امرأتي، فلما دخلت عليها استحسنّت ما كان مني، ولم تعنّفني عليه، وقال ﷺ: «أعقل الناس أشدّهم مداراةً للناس»^(٢).

(١) الكافي: ج ٢، ص ١١٧، ح ٤. الإعتقادات في دين الإمامية: ص ٨٥. معاني الأخبار: ص ٣٨٦ ضمن حديث ٢٠. مشكاة الأنوار: ص ٣٦٩. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١٣٥، ح ٤٣، عن معاني الأخبار، وج ١٨، ص ٢١٣، ح ٤٣ عن الكافي، وج ٧٢، ص ٣٩٦، ح ١٨ عن معاني الأخبار أيضاً. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٠٠، ح ١.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٧٣، ح ٤. من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٩٤، ح ٥٨٤٠. الأربعون حديثاً (الشهيد الأوّل): ص ٥٦، ح ٢٤. روضة الواعظين: ص ٣٧٩، عنه مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ١٣، ح ٩، وص ٣٩، ح ١١. مشكاة الأنوار: ص ٣٨٢. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٥٢، ح ٥، عن الأمالي.

٣- المواساة: وحقّ المواساة حقّ لا يقل أهمية عن غيره من حقوق الصداقة، إذ لم يكن أهمّها، وهو أوسع حقّ من حقوق الصداقة؛ إذ المواساة قد تكون في المال، وقد تكون في الكلام، وغيرها.

وهذه الحقوق الثلاثة هي بعض الحقوق، وهناك حقّ مهم أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في الحديث الذي افتتحنا به المجلس، وهو أن يصدق الصديق مع أخيه الآخر حتّى يكون مصداقاً لقوله عليه السلام: «عليك بإخوان الصدق»؛ لأنّ إخوان الصدق «عدّة عند الرّضاء، وجنّة عند البلاء».

وهكذا كان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في مداراتهم ومواساتهم وتضحياتهم مع سيد الشهداء عليه السلام.

قال بعض أصحاب المقاتل: «وجع الحسين عليه السلام أصحابه، وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: وأما بعد، فإنّي لا أعلم لي أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عتيّ خيراً، ألا وإني قد أذنتُ لكم فانطلقوا، أنتم في حلّ ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً».

فقال له إخوته وأبناءؤه وأبناء عبد الله بن جعفر: ولمْ نفعل ذلك؟! لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك. وبدأهم العباس أخوه ثمّ تابعوه، وقال لبني مسلم بن عقيل: حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم، فقالوا: لا والله، لا نفارقك أبداً حتّى نفيك بأسيفنا، ونقتل بين يديك. فأشرقت عليهم بأقوالهم هذه أنوار النبوّة والهداية، وبعثتهم النفوس الأبيّة على مصادمة خيول أهل الغواية، وحركتهم حمية النسب، وسنّة أشراف العرب على اقتناص روح المسلوب، ورفض السلب، فكانوا كما وصفهم بعض أهل البصائر بأنهم أمراء العساكر، وخطباء المنابر، نفوس أبت إلا تراث أبيهم، فهم بين موتورٍ لذلك وواتر.

لقد ألفت أرواحهم حومة الوغى كما أنست أقدامهم بالمنابر

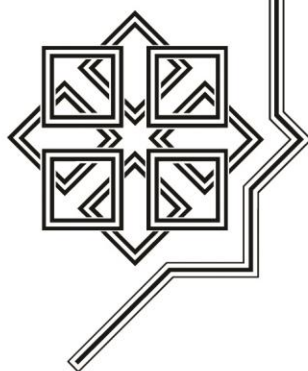
ثم قال مسلم بن عوسجة: نحن نخليك! وقد أحاط بك العدو؟! لا أرانا الله ذلك أبداً حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضاربهم بسيفي، ولو لم يكن لي سلاح لقدفتهم بالحجارة ولم أفارقك! وقام سعيد بن عبد الله الحنفي، وزهير بن القين، فأجملا في الجواب، وأحسننا في المآب»^(١).

قومٌ إذا نودوا لدفعٍ ملمةٍ والخيلُ بين مدعسٍ ومُكردسٍ
لَبَسُوا القلوبَ على الدروع وأقبلوا يتهافتونَ على ذهابِ الأنفسِ^(٢).

(١) مثير الأحزان: ص ٣٩. وأنظر: تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣١٨. الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٨.
مقتل الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ١٠٩. كتاب الفتوح: ج ٥، ص ٩٥.
(٢) عمدة الطالب: ص ٣٥٧. اللهوف: ص ٦٧، وكلاهما لم ينسباه لأحد.

الحاضرة الثالثة عشرة

الجدار والجوار



من وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأهل بيته قال فيها: «...الله الله في جيرانكم؛ فإنهم وصية نبيكم ما زال يُوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم»^(١).
من الحقوق الإسلامية المهمة حق الجار، وهو حق قريب من حق الأرحام والوالدين والأصدقاء والأقرباء.

وقد اعتنى الإسلام بحق الجار، وجعله عظيمًا، يكاد يكون من أعظم الحقوق الإنسانية، وقد أكد الباري عز وجل حقوق الجيران، وجعلها في رتبة بعد رتبة الوالدين والأقربين؛ إذ قال عز وجل: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾^(٢).
والمراد بالجار ذي القربى الجار القريب داراً أو نسباً، والجار الجنب هو البعيد داراً أو نسباً^(٣).

الروايات الحاتئة على حسن الجوار

هناك عدة روايات نصّت على الثواب المترتب على حسن الجوار، وحثّت عليه، وعلى الاهتمام بالجار، ورعاية حقوقه، وإليك طرفاً منها:

(١) نهج البلاغة: ج ٣، ص ٧٧ رقم ٤٧، عنه بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٢٥٦، ح ٧٨، و ج ٧١، ص ١٥٣، ح ١٦. تحف العقول: ص ١٩٨، عنه بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٠٠، ح ٢، نظم درر السمطين: ص ١٤٦. البداية والنهاية: ج ٧، ص ٣٦٣. المناقب (الخوارزمي): ص ٣٨٥. كشف الغمّة: ج ٢، ص ٥٩. جواهر المطالب: ج ٢، ص ١٠٢. ينابيع المودة: ج ٣، ص ٤٤٥.

(٢) النساء: آية ٣٦.

(٣) أنظر: تفسير الأمل: ج ٣، ص ٢٣٠-٢٣١.

فعن نبيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «حَسَنَ الْجَوَارِ يُعَمِّرُ الدِّيارَ، وَيَنسِي فِي الْأَعْمَارِ»^(١).
وعنه ﷺ، قَالَ: «مَا زَالَ جَبْرِئِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ»^(٢)،
ودلالته واضحة جداً على أهمّية الجار.

وهذا الحديث هو الذي أشار إليه الإمام عليّ عليه السلام في الوصية التي افتتحنا بها الكلام،
وقد فسّرت كلمة (سيورثه)، أي: يجعل له حصّةً من الميراث، والظاهر من الميراث أن
يرث جاره الآخر، بحيث لو مات أحدهما ورثه الآخر، حاله حال الورثة الأقارب^(٣).
وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا ذَهَبَ مِنْهُ بَنِيَامِينَ، نَادَى يَا رَبِّ أَمَا
تَرْحَمْنِي؟ أَذْهَبَ عَيْنِي وَأَذْهَبَ ابْنِي؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَوْ أُمْتَهَا لِأَحْيَيْتَهَا لَكَ
حَتَّى أَجْمَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا، وَلَكِنْ تَذَكَّرِ الشَّاةَ الَّتِي ذَبَحْتَهَا وَشَوَيْتَهَا وَأَكَلْتَ، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ إِلَى
جَانِبِكَ صَائِمٌ لَمْ تَنْلَهُ مِنْهَا شَيْئاً؟»^(٤).

-
- (١) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٨، ح ١٠. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٣٨، ح ١. وأنظر المصادر التالية: الكافي:
ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٨. التفسير الصافي: ج ١، ص ٤٤٩. تفسير كنز الدقائق: ج ٢، ص ٤٥٠، فقد روته
عن الإمام الصادق عليه السلام، وفيه بدل كلمة (ينسي) كلمة (يزيد).
- (٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥١٤. دعائم الإسلام: ج ٢، ص ٨٨، ح ٢٦٥. مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٤،
ص ١٣. روضة الواعظين: ص ٣٨٧. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٥٢٠، ح ٢٥. مكارم الأخلاق:
ص ٤٨٠. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٤. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٩٤، ح ٢٢ عن أمالي الشيخ الطوسي،
وص ١٥٠، ح ٢ عن أمالي الشيخ الصدوق. صحيح البخاري: ج ٧، ص ٧٨. صحيح مسلم: ج ٨،
ص ٣٧. مسند أحمد: ج ٢، ص ٨٥، وتُقل في مصادر أخرى عديدة.
- (٣) نسبته الشيخ المازندراني رحمه الله في (شرح أصول الكافي: ج ١١، ص ١٥١) للقرطبي.
- (٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٤، وح ٥. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٦. الجواهر السنية: ص ٢٨. تفسير نور
الثقلين: ج ٢، ص ٤٤٥، ح ١٦٤، وح ١٦٥. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٣٠، ح ٢، وح ٣، وح ٢٤،
ص ٤١٧، ح ٤، وح ٥. صحيح البخاري: ج ٧، ص ٧٨. وأنظر: مسند أحمد: ج ٢، ص ٢٨٨، وح ٤،
ص ٣١. المستدرک علی الصحیحین: ج ١، ص ١٠، وح ٤، ص ١٦٥. مجمع الزوائد: ج ٨، ص ١٦٩.
المعجم الكبير: ج ٢٢، ص ١٨٧. كنز العمال: ج ٩، ص ٥٠، ح ٢٤٨٨٥.

وفي رواية أخرى، قال: «فكان بعد ذلك يعقوب عليه السلام ينادي مناديه كلَّ غداة من منزله على فرسخ: ألا مَنْ أراد الغداء، فليأتِ إلى يعقوب، وإذا أمسى نادى: ألا مَنْ أراد العشاء، فليأتِ إلى يعقوب»^(١).

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومَنْ يارسول الله؟ قال: الذي لا يأمنُ من جاره بوائقه!»^(٢).
وقال صلى الله عليه وآله: «مَنْ آذى جاره فقد آذاني، ومَنْ آذاني فقد آذى الله، ومَنْ حارب جاره فقد حاربنى، ومَنْ حاربنى فقد حارب الله»^(٣).

حدود الجار

معرفة الجار موكولة إلى العُرف، فأَيُّ دار يُطلق عليها الجار عرفاً يلزم مراعاة حقوق أهلها، وقد يختلف من زمانٍ إلى زمانٍ آخر.
وأما الروايات الواردة في المقام فقد دلَّ بعضها على أنَّ كلَّ أربعين داراً من كلِّ الجوانب الأربعة تُعدُّ جاراً.

-
- (١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٤، وح ٥. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٦. الجواهر السنية: ص ٢٨.
تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٤٤٥، ح ١٦٤، وح ١٦٥. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٣٠، ح ٢، وح ٣،
وج ٢٤، ص ٤١٧، ح ٤، وح ٥. صحيح البخاري: ج ٧، ص ٧٨. وأنظر: مسند أحمد: ج ٢، ص ٢٨٨،
وج ٤، ص ٣١. المستدرک على الصحيحين: ج ١، ص ١٠، وح ٤، ص ١٦٥. مجمع الزوائد: ج ٨،
ص ١٦٩. المعجم الكبير: ج ٢٢، ص ١٨٧. كنز العمال: ج ٩، ص ٥٠، ح ٢٤٨٨٥.
(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٤، وح ٥. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٦. الجواهر السنية: ص ٢٨.
تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٤٤٥، ح ١٦٤، وح ١٦٥. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٣٠، ح ٢، وح ٣،
وج ٢٤، ص ٤١٧، ح ٤، وح ٥. صحيح البخاري: ج ٧، ص ٧٨. وأنظر: مسند أحمد: ج ٢، ص ٢٨٨،
وج ٤، ص ٣١. المستدرک على الصحيحين: ج ١، ص ١٠، وح ٤، ص ١٦٥. مجمع الزوائد: ج ٨،
ص ١٦٩. المعجم الكبير: ج ٢٢، ص ١٨٧. كنز العمال: ج ٩، ص ٥٠، ح ٢٤٨٨٥.
(٣) كنز العمال: ج ٩، ص ٥٧، ح ٢٤٩٢٧. تفسير الثعلبي: ج ٣، ص ٣٠٥. العهود المحمّدية: ص ٨٢٢.

فعن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «كُلُّ أربعين داراً جيران، من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله»^(١).

ولعلّه محمول على عرف ذلك الزمان.

حقوق الجار

هناك عدّة حقوق للجار، يمكن تلخيصها بذكر كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام، في رسالة الحقوق، والتي جاء فيها فيما يخصّ الجار: «وأما حقّ جارك، فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة، وتقبل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرَةً كريمةً، ولا قوّة إلاّ بالله»^(٢).

وهذه الحقوق عديدة، مذكورة في روايات كثيرة، في رسالة الحقوق وغيرها، ويمكن تلخيصها بما يلي:

- ١ - حفظه غائباً: وهذا الحفظ لا يختصّ بحفظ المال أو غيره، بل هو حفظ للمال والعيال، وكلّ شيء يمكن حفظه.
- ٢ - إكرامه شاهداً: يعني إذا كان غير مسافر وغائب أن تكرمه، والإكرام هنا عامّ يصدق على كلّ نوع من الإكرام، كالتحية والسلام، وحضور أفراحه وأتراحه، وإجابة

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٩، ح ١. كتاب الزهد: ص ٤٢، ح ١١٣. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٦. رياض السالكين: ج ٤، ص ١٥١. التفسير الصافي: ج ١، ص ٤٤٩. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٤٨٠، ح ٢٤٤. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٥٢، ح ١٢ عن كتاب الزهد.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٥٥ ضمن الحديث ١. الخصال: ص ٥٦٩ ضمن الحديث ١. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١٨، ح ٣٢١٤. مكارم الأخلاق: ص ٤٢٢. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٧، ح ١ عن الخصال. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٤٧٩، ح ٢٤٢ عن من لا يحضره الفقيه. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ١٧٧ ضمن حديث ١.

دعوته، وغير ذلك من مصاديق الإكرام.

٣ - نصرته إذا كان مظلوماً: بأن تدافع عنه، وتذكر صفاته الطيبة، وتشهد له بالحق إن كان الحق معه، وتنصحه، وغير ذلك.

٤ - عدم تتبع عوراته: سواء عورته عرضه من أهله، وأهل بيته، ونسائه بالنظر إليهم، وما أكثره في زماننا، حيث أطلت الدور بعضها على البعض الآخر، وبإمكان الجار الاطلاع على عورات جاره بأسهل ما يكون إلا من عصمه الله تبارك وتعالى، وحارب الوسوس الشيطانية، أو التفت إلى الأخلاق الإنسانية الموروثة جيلاً بعد جيل، نتيجة التعاليم السماوية السابقة على الدين الإسلامي والنخوة العربية القائلة:

ما ضرَّ جاراً لي أجاوره	ألا يكون لبابه سترٌ
أعمى إذا ما جاري خرجت	حتى يُواري جاري الخدر
ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ	وإليه قبلي ينزلُ القدرُ ^(١) .

أو اتّباع عوراته الأخرى، كمراقبة أخطائه وعثراته، وإحصائها عليه؛ كي تكون ورقة تهديد أو استضعاف له.

وهذا من الأمور المنهي عنها شرعاً، خصوصاً إذا كان الجار مؤمناً.

٥ - الستر عليه فيما لو صدر منه سوءٌ: وهكذا ستر عيوبه وعيوب من يهّمه من أهل بيته، وعدم إفشاء أسرارهم، خصوصاً ما يحصل بينه وبين عياله، كما لو ارتفعت أصواتهم أو تهاوتوا فيما بينهم، أو غير ذلك بما يشينه.

٦ - وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه: فإذا كان قد جار على أحد واعتدى عليه، بفعل أو كلام كان من واجب جاره النصيحة له، بشرط أن يعلم

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٧، ص ١٠ ونسبه لـ (مسكين الدارمي). تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات: ص ٣٩٣، ونسبه لـ (حاتم)، والظاهر أنّ المقصود به: (حاتم الطائي).

الناصح بقبول جاره للنصيحة، وأن تكون النصيحة بينهما؛ لأنّ الله يحبّ الساترين، ولأنّ النصيحة أمام المملأ أشبه ما تكون بالتجريح.

٧- ولا تسلمه عند شدائده: سواء كانت أزمة مالية، كما لو فقد نقوده أو خسرت تجارته، أو نفسية، كما لو فقد عزيزاً وغيرهما ممّا يصدق عليه شدة.

٨- وتقبل عثرته وتغفر ذنبه: فلو أخطأ معك في يوم من الأيام، وعثر معك عثرة أو ارتكب خطأ، فلا بد من إقالة عثرته وغفران ذنبه.

٩- وتعاشره معاشرة كريمة: كالتبسّم في وجهه، والسلام عليه، وتفقد أحواله، ومساعدته في قضاء حوائجه، وكلّ شيء يحبّب العشرة ويزيد الألفة.

١٠- ولا تدّخر حلمك عنه إذا جهل عليك: يعني إذا هو لم يعرف حقك، أو استخفّ به، أو أهانك أو غير ذلك، فما عليك إلا أن تبدي له التسامح والحلم.

١١- وأن تكون مسلماً له، ترد عنه لسان الشتيمة، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة: يعني تحفظ ماء وجهه، وترد غيبته إذا اغتابه أحد، وتدافع عنه بكلّ ما أوتيت من قوّة.

فهذه هي إحدى عشرة نصيحة جمعتها كلمة سيدنا ومولانا الإمام زين العابدين عليه السلام وغيرها من الروايات، جُمعت فيها حقوق الجار، ويا لها من كلمات نيرة، لو عمل بها الجار المسلم وغير المسلم لعاش الناس بأمن وأمان، وسعادة واطمئنان، ولاشترى الناس جارهم قبل دارهم، كما حدث ذلك في التاريخ، وسُجّل في الكتب ليُضرب مثلاً لحسن الجوار.

فقد حُكي «إنّ رجلاً كان جاراً لأبي دلف ببغداد، فأدركته حاجة، وركبه دينٌ فادّخ حتى احتاج إلى بيع داره، فساوموه فيها، فسَمّى لهم ألفَ دينارٍ، فقالوا له: إنّ دارك تساوي خمسمائة دينار. فقال: ابيع داري بخمسمائة، وجوار أبي دلف بخمسمائة، فبلغ أبا دلف

الخبر، فأمر بقضاء دينه ووصله، وقال: لا تتقل من جوارنا»^(١).

وهكذا مَن يُجاور الأئمة عليهم السلام حياً وميتاً، لا بدَّ وأن يلتزم بالحقوق المذكورة، وكذلك مع أبنائهم وذرياتهم عليهم السلام، فإنهم يلتزمون بحقوق الجار ويحمون جاره، كما نُقل ذلك عن المرحوم النهاوندي عن المرحوم ميرزا مهدي أنه قال: حكى لي شخصٌ باسم محمود، وهو خادم في حضرة الإمام الحسين عليه السلام وكان عمله حفظ أحذية الزائرين، فقال: حلّت في إحدى الليالي نوبتي في المحافظة على الحرم مع رفاقي الخفر، وعندما غادر الناس، وأغلقتنا الأبواب جيداً نام الخدام، ومضى نصف من الليل، كنت مستيقظاً حينما دخل شخصان إلى الصحن المطهر، من جهة الباب المعروف بالزينية، ووقفوا على قبر جديد، قد دفن صاحبه حديثاً، فشقّ القبر، وأخرجوا المدفون فيه، رأيت الشخص الذي أخرجاه يستغيث بهما، ويتوسّل إليهما، وهما لا يصغيان إليه، ولا يرحمانه، فأرادا أن يخرجاه به من الباب المرقوم وقد يئس صاحب القبر منهما، فأدار وجهه صوب الحرم المطهر، وقال: «أهكذا يُفعل بجارك يا أبا عبد الله؟» قال محمود: فسمعت صوتاً من الحرم المطهر اهتزت له الجدران والقناديل: «ردّوه ردّوه»، فرأيت الشخصين قد رجعا به فوضعا في قبره وذهابا، ولما أصبح الصباح ذهبت الى القبر فوجدته قد تغيّر وعليه أثر شقٍ واضح^(٢).

هكذا هو جارك يا أبا عبد الله! يا غريب كربلاء! أمّا أعداؤك أو لم يعلموا بجوارك لهم؟! أو لم يحفظوا جوارك منهم، ومنزلتك عند الله وعند رسوله؟! أو لم يسمعوا قول جدك النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله، حيث قال: «ما آمن بي مَن بات شبعاً وجاره جائع»^(٣).

(١) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٤٦٠-٤٦١.

(٢) أنظر: الأخلاق والآداب الإسلامية: ص ١٣٣-١٣٤.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٨، ح ١٤. مجمع الزوائد: ج ٨، ص ١٦٧. المعجم الكبير: ج ١، ص ٢٥٩، ح ٧٥١. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٣٠، ح ١.

أَوْ لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ النَّبِيِّ بِكُمْ؟! أَوْ لَمْ تَكُنْ جَائِعاً وَعَطْشَاناً يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟!
 تَبَّ لَهُمْ مَنْ أُمّةٍ لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ النَّبِيِّ بِأَلِهِ الْأَمْجَادِ
 قَدْ شَتَّوْهُمْ بَيْنَ مَقْهُورٍ وَمَأْسُورٍ وَمَنْحُورٍ بِسَيْفِ عِنَادٍ^(١).

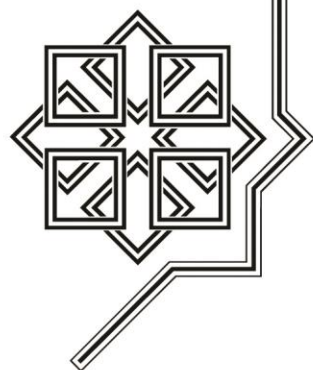
(١) البيتان من قصيدة رائعة لشاعر أهل البيت عليه السلام السيد مهدي الأعرجي رحمته الله، كما في رياض المدح والثناء: ص ٧٥٦، مطلعها:

رحلوا وما رحلوا أهيل ودادي إلّا بحسن تصبّري وفؤادي.

الحافظة لثلاثين ليلة



تذكير النفس
ومحاسبة



من وصية النبي ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه أنه قال: «يا أبا ذر، لا يكونُ الرجلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسِبَةِ الشَّرِيكِ لَشَرِيكِهِ، فَيَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَطْعُمُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَشْرَبُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ؟ أَمِنْ ذَلِكَ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟»^(١).

يتألف الإنسان من عُصْرَيْن، لا يمكن له العيش دونهما مجتمعين، وهما: عنصر الجسد وعنصر النفس، وهما عنصران بهما تكمل حياة الإنسان، ويطيب عيشه، ولكل واحدٍ منهما حاجاته ومتطلباته التي يسعى لتحقيقها.

فحاجات الجسم هي: المآرب المادية الموجبة لنموه وصحته وحيويته، كالغذاء والشراب والكساء، ونحوها من ضرورات الحياة.

وحاجات النفس هي: الأشواق النفسية والروحية التي تعشقها الروح وتهفو إليها، كالعرفة، والحرية، والعدل، وراحة الضمير والبال، وما إلى ذلك من المثل العليا، والأمانى الروحية.

وأما حقوقهما فهي كثيرة، تتلخص بما يأتي:

أما حقوق الجسد: فتتخص برعاية القوانين الصحية، واتباع الآداب الإسلامية الكفيلة بصحة الجسم وحيويته ونشاطه، كالاعتدال في الطعام والشراب، وتجنب الكحول والعادات الضارة، كالخمر والحشيش والأفيون، وجميع ما يصدق عليه بأنه من المخدرات، والسعي وراء الشهوات الجنسية الآثمة.

وأما حقوق النفس: فهي لا تقلُّ أهميةً عن حقوق الجسد، إن لم تكن أهم؛ لأنَّ الأمراض الجسمية تظهر أعراضها في الغالب على الجسم، بخلاف أمراض الروح، فإنَّها في الغالب تبقى مجهولةً لكثير من الناس إذا لم نقل لأكثرهم. ومن هنا كانت

(١) مكارم الأخلاق: ص ٤٦٨. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٩٩. بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٨٦، ضمن ح ٣، عن مكارم الأخلاق. كنز العمال: ج ٣، ص ٦٩٩، ح ٨٥٠١.

أصعب علاجاً من أمراض الجسم، واحتاجت أمراضها إلى أطباء حاذقين، فكانت عناية الحكماء والأولياء، ومن قبلهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، بتهديب النفس وعلاج أمراضها ومحاسبتها.

ونحن في هذا المقام نشير إلى بعض التوجيهات في تهديب النفس.

تهديب النفس

للوصول إلى رضا الله تبارك وتعالى، والفوز بالنعيم الخالد الذي وعد به الباري عز وجل لا بدّ للإنسان من الإلتباه إلى نفسه ورغباتها وشهواتها، كما هو متنبه على طول الزمان إلى جسمه واحتياجاته، ولا أقل حاجة الطعام والشراب، وبانتباهه إلى نفسه يكون قد جاهدتها جهاداً عظيماً، إذا أراد لها ذلك، وإلا فمجرد الإلتباه إلى أخطائها من دون ردع ونهي لا يحلّ لنا المشكلة، غاية ما في الأمر قد شخّص المرض من دون علاج، وعندئذٍ لا تشفى النفس من أمراضها، بل لا بدّ من علاج واقعي^(١).

والوقاية قبل العلاج، كما رسمه المتخصّصون، تتم عن طريق مراحل ثلاث، هي: (المشاركة والمراقبة والمحاسبة).

المقصود بالمشاركة؟

المشاركة هي أول مرحلة من المراحل الثلاث المذكورة، والقائم بها يسمى بـ(المشارط) والمقصود منه: «الذي يشارط نفسه في أول يومه على أن لا يرتكب اليوم أيّ عمل يخالف أوامر الله، ويتخذ قراراً بذلك، ويعزم عليه. وواضح أنّ ترك ما يخالف أوامر الله ليوم واحد أمر يسير للغاية، ويمكن للإنسان يسر أن يلتزم به»^(٢)، وعندئذٍ يطلب -

(١) أنظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٤٩٨-٥٠١.

(٢) الأربعون حديثاً (الإمام الخميني رحمته الله): ص ٢٦.

بصدق - من الله تبارك وتعالى، ورسوله الأكرم ﷺ، وأهل بيته الطاهرين ﷺ، ويتوسّل إلى الله تعالى بهم ﷺ؛ لإعانتته على هذه المرحلة ليقدر على كبح نفسه وشهواتها حتّى يُهذّبها، وأن لا يتتدي المشارط من أوّل يوم بتحميل نفسه أكثر من طاقتها، بل على المشارط الابتداء بالسير اليسير؛ حتّى يصل إلى المطلوب، لا أنّه يريد التهذيب في يومٍ وليلة، كما حصل ذلك لبعض الأصدقاء، فأراد في ليلة وضحاها أن يصل إلى مرتبة أحد العرفاء الذي كان إذا جنّه الليل جنّ في عبادته مع الله تبارك وتعالى، ولكن لم يوفّق لذلك؛ لأنّ الوصول إلى هذه المرتبة لا يكون إلّا بعد ربح من الزمن يقضيه في الجهاد والمعاناة والتهذيب.

روى الشيخ الكليني رحمه الله بسنده، قال: «عن يعقوب بن الضحاك، عن رجل من أصحابنا سراج، وكان خادماً لأبي عبد الله عليه السلام، قال: بعثني أبو عبد الله عليه السلام في حاجة، وهو بالخير، أنا وجماعة من مواليه، قال: فانطلقنا فيها، ثمّ رجعنا مغتمّين. قال: وكان فراشي في الحائر الذي كنّا فيه نزولاً، فجئت وأنا بحال فرميت بنفسي، فبينما أنا كذلك إذا أنا بأبي عبد الله عليه السلام قد أقبل. قال: فقال: قد أتيناك. أو قال: جئناك. فاستويت جالساً وجلس على صدر فراشي، فسألني عمّا بعثني له فأخبرته. فحمد الله، ثمّ جرى ذكر قوم، فقلت: جعلت فداك إنّنا نبرأ منهم، إنّهم لا يقولون ما نقول. قال: فقال: يتولّونا ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟ قال: قلت: نعم قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم، فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟ قال: قلت: لا - جعلت فداك - قال: وهو ذا عند الله ما ليس عندنا أفترأه أطرحنّا؟ قال: قلت: لا والله، جعلت فداك ما نفعل؟ قال: فتولّوهم ولا تبرؤوا منهم، إنّ من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثة أسهم، ومنهم من له أربعة أسهم، ومنهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستة أسهم، ومنهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه

صاحب السّنة، ولا صاحب السّنة على ما عليه صاحب السبعة، وسأضرب لك مثلاً: إنّ رجلاً كان له جار، وكان نصرانياً، فدعاه إلى الإسلام وزيّنه له، فأجابه فأثاه سُحيراً، ففرع عليه الباب، فقال له: مَنْ هذا؟ قال: أنا فلان. قال: وما حاجتك؟ فقال: توضاً والبس ثوبيك، ومرّ بنا إلى الصلاة. قال: فتوضاً، ولبس ثوبيه، وخرج معه، قال: فصليا ما شاء الله، ثمّ صليا الفجر، ثمّ مكثا حتى أصبحا، فقام الذي كان نصرانياً يريد منزله، فقال له الرجل: أين تذهب؟ النهار قصير، والذي بينك وبين الظهر قليل؟ قال: فجلس معه إلى أن صلى الظهر، ثمّ قال: وما بين الظهر والعصر قليل، فاحتبسه حتى صلى العصر، قال: ثمّ قام وأراد أن ينصرف إلى منزله، فقال له: إنّ هذا آخر النهار، وأقل من أوله، فاحتبسه حتى صلى المغرب، ثمّ أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له: إنّما بقيت صلاة واحدة! قال: فمكث حتى صلى العشاء الآخرة، ثمّ تفرّقا فلما كان سحيراً غداً عليه، فضرب عليه الباب، فقال: مَنْ هذا؟ قال: أنا فلان. قال: وما حاجتك؟ قال: توضاً والبس ثوبيك واخرج بنا فصلّ، قال: اطلب لهذا الدين مَنْ هو أفرغ مني، وأنا إنسان مسكين، وعليّ عيال، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أدخله في شيء أخرجه منه - أو قال: أدخله من مثل ذه وأخرجه من مثل هذا^(١).

ومن هنا قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم، يصعد منه مرقاة بعد أخرى، فلا يقولنّ صاحب الاثنين لصاحب الواحد: لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشر، فلا تُسقط مَنْ هو دونك، فيسقطك مَنْ هو فوقك، وإذا رأيت مَنْ هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتكسره؛ فإنّ مَنْ كسر مؤمناً فعليه جبره»^(٢).

وهذا هو الفارق الجوهرى بين أسلوب العلماء في الهداية وغيرهم، فالعلماء

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٤٠-٤٤٢، ح ٢، عنه بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ١٦١-١٦٢، ح ٢. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٦٠-١٦١، ح ٣.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٥، ح ٢. الخصال: ص ٤٤٧، ح ٤٨، عنه بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٣٥١، ح ٧٥، وج ٦٦، ص ١٦٥، ح ٤ عن الكافي. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٦٢، ح ٥.

يَتَّخِذُونَ أُسْلُوبَ الْقُرْآنِ، وَهُوَ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١).
 وبهذا الأسلوب صار الفقيه فقيهاً كاملاً، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الفقيه كلُّ
 الفقيه مَنْ لَمْ يَقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ»^(٢).
 فإذا تَمَّتْ مرحلة المشاركة يأتي الدور إلى مرحلة المراقبة.

ما هي المراقبة؟

قال أهل الفنّ وأطبّاء النفوس: وبعد هذه المشاركة عليك أن تنتقل إلى المراقبة،
 وكيفيتها: أن تتبّه طوال مدّة المشاركة إلى عملك، وفقاً لما اشترطته، فتعتبر نفسك
 ملزماً بالعمل وفق ما شرطت^(٣).

وقد كان علماؤنا الكبار يشارطون ويتعهّدون الله على فعلٍ ما، أو تركٍ ما،
 وينذرون الصيام لمدة سنتين - مثلاً - لو خالفوا شرطهم، وبذلك يكون مثل هذا النذر
 مانعاً لهم من مخالفة الشرط، وما تركنا للأعمال التي يترتب عليها حدّ شرعي، وارتكابنا
 للمحرّمات الأخرى كالغيبة - مثلاً - مع كونها أعظم من سابقتها إلا في الحدود
 الشرعية المترتبة على تلك، وعدم ترتّب حدٍّ أو جزاء عاجلٍ على الغيبة.

قال الإمام الخميني رحمه الله: «وإذا حصل - لا سمح الله - حديثٌ لنفسك بأن ترتكب
 مخالفاً لأمر الله، فاعلم أنّ ذلك من عمل الشيطان وجنده، فهم يريدونك أن تتراجع عمّا
 اشترطته على نفسك، فالعنهم واستعذ بالله من شرّهم، وأخرج تلك الوسوس الباطلة من
 قلبك، وقل للشيطان: إني اشترطت على نفسي أن لا أقوم في هذا اليوم - وهو يوم واحد -
 بأي عمل يخالف أمر الله تعالى، وهو وليّ نعمتي طول عمري، فقد أنعم عليّ وتلطّف بي

(١) النحل: آية ١٢٥.

(٢) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٢٠، ح ٩٠. بحار الأنوار: ج ٢، ص ٥٦، ح ٣٤.

(٣) أنظر: الأربعون حديثاً (الإمام الخميني رحمه الله): ص ٢٦.

بالصِّحَّةِ والسلامة والأمن، وألطف أُخرى، ولو أَنِّي بقيت في خدمته إلى الأبد لما أديت حقَّ واحدةٍ منها، وعليه فليس من اللائق أن لا أفي بشرطٍ بسيطٍ كهذا. وآمل - إن شاء الله - أن ينصرف الشيطان ويتعد عنك ويتنصر جنود الرحمن.

والمرابة لا تتعارض مع أيِّ عملٍ من أعمالك، كالكسب والسفر والدراسة، فكن على هذه الحال إلى الليل، ريثما يحين وقت المحاسبة^(١).

ما هي المحاسبة؟

والمحاسبة هي المرحلة الثالثة، والتي أشارت إليها الوصية التي افتتحنا بها الحديث، وهي أن تحاسب نفسك محاسبة الشريك شريكه، كما قال النبي الأكرم ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه ^(٢).

وفي (الأربعون): «وأما المحاسبة، فهي أن تحاسب نفسك؛ لترى هل أديت ما اشترطت على نفسك مع الله، ولم تخن وليَّ نعمتك في هذه المعاملة الجزئية؟ إذا كنت قد وفيت حقاً فاشكر الله على هذا التوفيق، وإن شاء الله ييسر لك سبحانه التقدُّم في أمور دنياك وآخرتك، وسيكون عمل الغد أيسر عليك من سابقه، فواظب على هذا العمل فترةً، والمأمول أن يتحوَّل إلى ملكة فيك، بحيث يصبح هذا العمل بالنسبة إليك سهلاً ويسيراً للغاية، وستحسَّ عندها باللذة والأنس في طاعة الله تعالى، وترك معاصيه... وإذا حدث - لا سمح الله - في أثناء المحاسبة تهاون وفطور تجاه ما اشترطت على نفسك، فاستغفر الله وأطلب العفو منه، وأعزم على الوفاء بكلِّ شجاعة بالمشارطة غداً، وكن على هذا الحال، كي يفتح الله تعالى أمامك أبواب التوفيق والسعادة، ويوصلك إلى الطريق المستقيم للإنسانية»^(٣).

(١) الأربعون حديثاً (الإمام الخميني رحمته الله): ص ٢٦.

(٢) أنظر: أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٩٩. بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٨٦.

(٣) الأربعون حديثاً (الإمام الخميني رحمته الله): ص ٢٦-٢٧.

فيحاسب الإنسان نفسه من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلّ ذلك أم من حرام؟ حتّى يشكر الله تبارك وتعالى على الحلال، ويتوب إلى الله عزّ وجلّ توبةً نصوحاً من الحرام، وذلك بإرجاع كلّ حقٍّ إلى أهله، وهذا هو الذي يميّز أهل البيت عليه السلام عمّن عاداهم، وهو الذي أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام، عندما طلبوا منه البيعة ليزيد، حيث قال: «أيّها الأمير، إنّنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، مُعلنٌ بالفسق، مثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننتظر وتنتظرون، أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة. قال: وسمع منّ بالباب الحسين، فهَمّوا بفتح الباب وإشهار السيوف، فخرج إليهم الحسين سريعاً، فأمرهم بالإنصراف إلى منازلهم، وأقبل الحسين إلى منزله»^(١).

أقول: ليت شعري! أين كان هؤلاء عندما بقيت الحوراء زينب عليها السلام تنادي إخوانها وبنّي عموماتها؟

أين أنت يا أبا الفضل، وهي التي خرجت بكفالتك؟

عبّاس تسمعُ زينباً تدعوك من	لي يا هُمّاي إذا العدى نهروني
أو لستَ تسمعُ ما تقولُ سُكينةُ	عمّاه يومَ الأسرِ من يحميني ^(٢) .

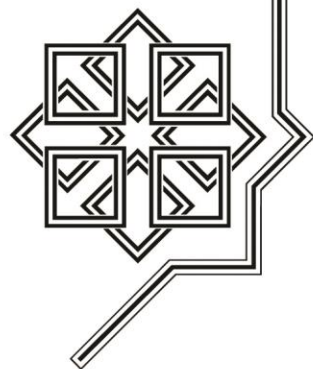
(١) كتاب الفتوح: ج ٥، ص ١٤. اللهوف: ص ١٧. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٥.

(٢) البيتان من قصيدة رائعة لشاعر أهل البيت عليه السلام الشيخ حسن قفطان رحمته الله، كما في مجمع مصائب أهل البيت عليه السلام: ج ١، ص ٣٤٦-٣٤٥.

الحافظة الخمسة عشر



حقوق الأئمة
عليهم السلام



روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَى حَيَاتِي ويموت موتي، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربِّي؛ فَإِنَّ رَبِّي ﷻ غرس قصباتها بيده، فليَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طالب رضي الله عنه؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْرُجَكُم مِنْ هُدًى، وَلَنْ يَدْخُلَكُم فِي ضَلَالَةٍ»^(١).

لم نعثر في كتاب من كتب السيرة والتاريخ أن تحدَّثَ عن سيرة أحدٍ إلى مستوى سير الأئمة ﷺ، ولم تذكر كتب الحديث روايةً واحدةً - ولو كانت موضوعاً ومفترأةً - في فضل أحد الأشخاص، إلَّا وقد ذكر من قبلها روايات كثيرة وصحيحة أكثرها في معاجز وفضائل وكرامات أهل البيت ﷺ.

ومنه يتبيَّن أنَّ ما وصل إليه أهل البيت ﷺ، لم يصل إليه أحد من غيرهم ﷺ؛ فقد جاهدوا في نصره الدين، وحماية المسلمين وحقوقهم، جهاداً لم يحدِّثنا التاريخ بمثله، حتَّى استشهدوا في سبيل العقيدة والمبدأ، ومن هنا كانت لهم حقوق وواجبات على المسلمين، لا بدَّ من تأديتها لهم ﷺ، ونحن نشير إليها إشارةً مختصرةً.

الحق الأول: معرفتهم

فقد جاء في الحديث - الذي أجمع المسلمون عليه^(٢) - عن النبيِّ الأكرم ﷺ أنه قال:

-
- (١) المعجم الكبير: ج ٥، ص ١٩٤. كنز العمال: ج ١١، ص ٦١١، ح ٣٢٩٥٩. نهج الإيمان: ص ٥٠٣. وأنظر الحديث في مصادرنا التالية: بصائر الدرجات: ص ٧١، ح ١١، و ص ٧٢، ح ١٨. مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٢٥٠، و ج ٣، ص ٥. بشاره المصطفى: ص ٢٩٠، ح ١٤. الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف: ص ١١٨، ح ١٨١. غاية المرام: ج ١، ص ١٣٢، ح ٢٥، و ج ٢، ص ٢٨٨، ح ٣.
- (٢) أنظر: الصراط المستقيم: ج ١، ص ١٩٦، حيث قال: «وقد أجمع المسلمون على قوله ﷺ: مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، ولا شكَّ أنَّه الإمام، فلا تنفع الجاهلية حسناتهم». وفي الصوارم المهرقة: ص ٨٩: «الإمامة عندنا من أصول دين الإسلام، كما يدلُّ عليه وجوه من الأدلَّة، منها: الحديث المشهور المتفق عليه من قوله ﷺ: مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

«مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية»^(١).

فمن هنا وجب على كلِّ مسلم يدين بهذا الدين الحنيف معرفتهم، حتَّى يكون على بصيرةٍ من عقيدته وشريعته؛ لأنَّ كلَّ مسلمٍ يؤمن بالله تبارك وتعالى ونبيه الأكرم ﷺ لا بدَّ له من الأخذ بأقوالهم والإهداء بهديهم، وهذا لا يكون إلَّا بعد معرفتهم ﷺ.

وروى علماء العامة - كما نُقل في صحيح مسلم - أنَّه ﷺ قال: «لا يزال الدين قائماً حتَّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلَّهم من قریش»^(٢).

وهذا الحديث شاهد على وجود الإمامة في شخص الإمام ﷺ حتَّى قيام الساعة، وأنَّ هذه الإمامة حصر على أهل بيت العصمة والطهارة ﷺ، دون غيرهم من الملوك والسلاطين من بني أمية أو العباسيين؛ إمَّا لزيادتهم على هذا العدد (اثني عشر)، أو لفسقتهم وفجورهم، وصفات أخرى لا تليق بمنصب الخلافة الإلهية.

ونفس هذا المعنى صرَّح به الإمام أمير المؤمنين ﷺ، حيث يقول: «اللَّهم بلى، لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجةٍ. إمَّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً؛ لئلاَّ تبطل حُججُ الله وبيئاته. وكم ذا؟ وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون قدراً. يحفظ الله

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٤٠٩. كفاية الأثر: ص ٢٩٦. الثاقب في المناقب: ص ٤٩٥، ح ١. مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٢١٢. اليقين: ص ١٢٤. العقد النضيد والدرّ الفريد: ص ٥٣. إعلام الوری: ج ٢، ص ٢٥٣. كشف الغمّة: ج ٣، ص ٣٣٥. حقائق الإيمان: ص ١٥١. وأمّا في مصادر العامة، فأنظر - مثلاً -: مسند أحمد: ج ٤، ص ٩٦. مجمع الزوائد: ج ٥، ص ٢١٨، ص ٢٢٤-٢٢٥. مسند أبي داود الطيالسي: ص ٢٥٩. كتاب السنة: ص ٤٨٩، ح ١٠٥٧. مسند أبي يعلى: ج ١٣، ص ٣٦٦، ح ٧٣٧٥. صحيح ابن حبان: ج ١٠، ص ٤٣٤. المعجم الأوسط: ج ٣، ص ٣٦١.

(٢) صحيح مسلم: ج ٦، ص ٤. تحفة الأحوذی: ج ٦، ص ٣٩١. الآحاد والمثاني: ج ٣، ص ١٢٨. مسند أبي يعلى: ج ١٣، ص ٤٥٥-٤٥٦، ح ٧٤٦٣. المعجم الكبير: ج ٢، ص ١٩٩. كنز العمال: ج ١٢، ص ٣٣، ح ٣٣٨٥٥.

بهم حُجِّجَهِ وَبَيَّنَّاهُ»^(١).

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح هذا المقطع: «وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية، إلّا أنَّ أصحابنا يحملونه على أن المراد به، الأبدال الذين وردت الأخبار النبوية عنهم، أنَّهم في الأرض سائحون، فمنهم مَنْ يُعرف، ومنهم مَنْ لَا يُعْرَف، وأنَّهم لَا يموتون حتى يودعوا السرّ، وهو العرفان عند قوم آخرين، يقومون مقامهم، ثم استنزر عددهم فقال: وكم ذا! أي كم ذا القبيل! وكم ذا الفريق!»^(٢).

فلاحظ بعين الإنصاف كيف شرح هذا الكلام، وكيف اعترف بتأويل القوم له تأويلاً بارداً، وصرفاً بائساً؟!

الحق الثاني: موالاتهم

من حقوقهم عليهم السلام الموالاة لهم، وتأتي في الرتبة بعد معرفتهم، فكثير من الناس مَنْ يدّعي معرفتهم، وقد يعرفهم واحداً بعد واحدٍ، ويعرف فضلهم ومنزلتهم عند الله عزّ وجلّ، وعند رسوله صلى الله عليه وآله، ولكن لا يواليهم، وهذا - أعني معرفتهم - غير كافٍ ما لم يشفع بالموالاة.

وقد ورد عن طريق العامة أنَّ النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «أنا سلمٌ لمن سالمتم وحربٌ لمن حاربتم»^(٣). ومن المعلوم أنَّ مَنْ سالمه النبيُّ فقد سالمه الله، ومَنْ حاربه النبيُّ فقد حاربه الله؛

(١) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٣٧، ح ١٤٧. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٢١، ح ٢٣. تحف العقول: ص ١٧٠. عيون الحكم والمواعظ: ص ٥٤١. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٨٦. حقائق الإيمان: ص ١٥٤. ينابيع المودة: ج ١، ص ٨٩. بحار الأنوار: ج ١، ص ١٩٣، عن النهج، ج ٢٣، ص ٤٦، وكذا ج ٣٠، ص ٨١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١٨، ص ٣٥١.

(٣) سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٥٢، ح ١٤٥. المعجم الكبير: ج ٣، ص ٤٠، ح ٢٦١٩، ج ٥، ص ١٨٤. تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ١٥٨. تهذيب الكمال: ج ١٣، ص ١١٣. سير أعلام النبلاء: ج ٢،

لأنَّ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ لا ينطق عن الهوى، إنَّ هو إلَّا وحي يوحى، كما صرَّح به القرآن الكريم^(١).

وهناك أحاديث عديدة، بل وآيات فيها إشارة إلى مسألة الموالاة لهم ﷺ. ومنها هذا الحديث الذي افتتحنا به الكلام، المروي عن سيد الأنام ﷺ، الذي يأمر به المسلمين بالموالاة لعلِّي وذريته ﷺ، إن كانوا يريدون السير واقعاً على نهج النَّبِيِّ ﷺ في حياته ومماته.

الحقَّ الثالث: طاعتهم

والحقَّ الثالث لهم ﷺ هو الطاعة لهم، والانقياد لأوامرهم؛ فإنَّ المعرفة والموالاة لا يكفیان من دون طاعتهم ﷺ؛ فإنَّ هكذا معرفة وموالاة خالية عن المضمون، فقد يوالي إنسان إنساناً آخر ولكن لا يطيعه، فهذه الموالاة لم تكن إلَّا موالاة صورية، والمطلوب هو الموالاة الواقعية الحقيقية، ومن هنا ورد في بعض الأحاديث القدسية هذا المعنى، كما عن الفضل بن عمر، قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول: «كان فيما ناجى الله ﷻ به موسى بن عمران عليه السلام، أن قال له: يا بنَ عمران، كَذِبَ مَنْ زعم أَنَّهُ يُحِبُّنِي، فإذا جنَّه الليلُ نامَ عَنِّي، أليسَ كُلُّ مُحِبٍّ يُحِبُّ خلوَةَ حَبِيبِهِ؟...»^(٢).

ص ١٢٥. ينابيع المودة: ج ٢، ص ٣٤، ح ٦، والحديث مشهور عند الفريقين إذا لم يكن متواتراً.

(١) النجم: آية ٤٣.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٣٨، ح ١. روضة الواعظين: ص ٣٢٩. عدّة الداعي: ص ١٩٣. محاسبة النفس: ص ٨٢. قصص الأنبياء (الجزائري): ص ٣٤٢ عن الأمالي. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٢٦٣. بहार الأنوار: ج ١٣، ص ٣٢٩، ح ٧ عن الأمالي، وكذا ج ٦٧، ص ١٤، ح ٢، وج ٨٤، ص ١٧٢، ح ٥ عن أعلام الدين. الجواهر السنية: ص ٥٧.

وما ورد عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: «إِنَّ الْمَحَبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعٌ»^(١).

فلا بدّ من الطاعة بعد الموالاة، وقد وردت آيات عديدة تشير إلى ذلك.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢).

فقد أوجب الله تبارك وتعالى على المسلمين في الآية المباركة طاعة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، كما فُسرّت هذه الآية برواياتهم عليهم السلام العديدة: فعن أبي بصير، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنّه سأله عن قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: «نزلت في عليّ بن أبي طالب». قلت: إنّ الناس يقولون: فما منعه أن يسمي عليّاً وأهل بيته في كتابه؟ فقال أبو جعفر: «قولوا لهم: إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ ثلاثاً ولا أربعاً، حتى كان رسول الله هو الذي فسر ذلك، وأنزل الحجّ فلم ينزل: طوفوا سبعاً، حتى فسر ذلك لهم رسول الله، وأنزل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، فنزلت في علي والحسن والحسين، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، إني سألت الله أن لا يفرّق بينهما حتى يوردهما عليّ الخوض فأعطاني ذلك»^(٣).

وروي عن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال: «وصلّ الله طاعةً ولي أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعةً ولادة الأمر، لم يطع الله ولا رسوله»^(٤).

(١) في تحف العقول: ص ٢٩٤ عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «ما عرف الله من عساه وأنشد:
تعصي الإله وأنتَ تُظهرُ حُبّه هذا العمرك في الفعال بدیعُ
لو كان حُبُّكَ صادقاً لأطعته إنّ المحبَّ لمن أحبَّ مُطیعُ».

(٢) النساء: آية ٥٩.

(٣) أنظر- مثلاً: شواهد التنزيل: ج ١، ص ١٩٠-١٩١. ينابيع المودة: ج ١، ص ٧٤، وص ١٤٤.

(٤) الكافي: ج ١، ص ١٨٢، ح ٦، وج ٢، ص ٤٧، ح ٣. التفسير الصافي: ج ٣، ص ٣١٥. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٢٠١-٢٠٢، ح ٦٩، وج ٣، ص ٦٠٨، ح ١٨٦. رياض السالكين: ج ٧، ص ٢٦. بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ١٠، ح ١٢.

ومن الآية والرواية نعرف أنّ طاعة أهل البيت عليهم السلام كطاعة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا دليلٌ واضح على عصمتهم وطهارتهم عليهم السلام، وعدم التفريق بين طاعتهم وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وطاعة الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾^(١).

وروى زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «بُنِيَ الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحجّ والصوم والولاية، قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل؛ لأنّها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن، قلت: ثمّ الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال: الصلاة، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الصلاة عمود دينكم، قال: قلت: ثمّ الذي يليها في الفضل؟ قال: الزكاة؛ لأنّه قرن بها وبدأ بالصلاة قبلها، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزكاة تذهب الذنوب. قلت: والذي يليها في الفضل؟ قال: الحجّ... أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره، ونصدّق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله ﷻ حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان، ثمّ قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنّة بفضله رحمة»^(٢).

وأدّل شيء على طاعتهم هو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣).

(١) النساء: آية ٨٠.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٨١، ح ٥. المحاسن: ج ١، ص ٢٨٦، ح ٤٣٠. تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩١، ح ١٠١. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٣٧٢، ح ٢٧٩. غاية المرام: ج ٦، ص ١٨٤، ح ٥. بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ٣٣٢، ح ١٠ عن الكافي، وج ٧٩، ص ٢٣٤، ح ٥٩ عن المحاسن.

(٣) الشورى: آية ٢٣.

الحق الرابع: أداء حقوقهم عليهم السلام من الخمس

ومن حقوقهم عليهم السلام العملية التي أكثر ما يلج الناس بها النار، حق الخمس الذي أكّدت عليه الشريعة، وأنه زكاة لأموال الناس.

قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(١)، وغيرها من الآيات الأخرى.

وهذا الحق فرض محتم على المسلمين، شرّعه الله ﷻ لأهل البيت عليهم السلام، ومن يمت إليهم بشرف القربى والنسب.

«وهو حق طبيعي يفرضه العقل والوجدان، كما يفرضه الشرع؛ فقد درجت الدول على تكريم موظفيها والعاملين في حقولها، فتمنحهم راتباً تقاعدياً يتقاضوه عند كبر سنهم، ويورثونه لأبنائهم، وذلك تقديراً لجهودهم في صالح أمهم وشعوبهم.

وقد فرض الله الخُمس لآل محمد عليهم السلام وذرائعهم تكريماً للنبي ﷺ وتقديراً لجهاده الجبار، وتضحياته الغالية، في سبيل أمته، وتنزيهاً لآله عن الصدقة والزكاة.

وقد أوضح أمير المؤمنين عليه السلام مفهوم ذي القربى، فقال: نحن والله الذين عنى الله بذي القربى، الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه، فقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾^(٢) منّا خاصة؛ لأنّه لم يجعل لنا سهماً في الصدقة، وأكرم الله نبيه، وأكرمنا أن يطعمنا أو ساخ ما في أيدي الناس»^(٣).

وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «أصلحك الله، ما أيسر ما يدخل به

(١) الأنفال: آية ٤١.

(٢) الحشر: آية ٧.

(٣) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٣٢٦-٣٢٧.

العبد النار؟ قال: مَنْ أَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ دَرْهَمًا، وَنَحَنَ الْيَتِيمَ^(١).

وروى محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَشَدَّ مَا فِيهِ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْخُمْسِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ خُمُوسِي...»^(٢).
إلى غير ذلك من النصوص والروايات.

الحقّ الخامس: الإحسان إلى ذريّتهم

ومن علامات الوُدِّ والحبِّ لأهل البيت عليهم السلام الإحسان إلى ذريّتهم بقدر المستطاع.

فعن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريّتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحبُّ لهم بقلبه ولسانه»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إِذَا قُمْتُ الْمَقَامَ

(١) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٢، ص ٤١، ح ١٦٥٠. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٥٢١-٥٢٢، ح ٥٠. تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢٥، ح ٤٨. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٤٤٩، ح ٨٣. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٤٨٣، ح ١. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١٠، ح ٣٤ عن تفسير العياشي، وج ٩٣، ص ١٨٦، ح ١١ عن كمال الدين، وص ١٨٧، ح ١٥ عن تفسير العياشي أيضاً.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٥٤٦-٥٤٧، ح ٢٠. مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٦٥٤. الإستبصار: ج ٢، ص ٥٧، ح ١. تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٣٦، ح ٤. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٥٤٥، ح ٥. الفصول المهمّة في أصول الأئمّة: ج ٢، ص ١٤٩، ح ٣.

(٣) عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٨، ح ٤، وج ٢، ص ٢٣٠، ح ٢. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٣٦٦، ح ٣٠. كشف الغمّة: ج ١، ص ٥٢، وج ٢، ص ٢٥. كشف اليقين: ص ٣٢٨. ذخائر العقبى: ص ١٨. وسائل الشيعة: ج ٦، ص ٣٣٤، ح ٦. بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٨٥، ح ٢٨ عن أمالي الشيخ الطوسي. الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج ١، ص ١٤٤. كنز العمال: ج ١٢، ص ١٠٠، ح ٣٤١٨٠. سبل الهدى والرشاد: ج ١١، ص ١١. يتابع المودّة: ج ٢، ص ١١٥، ح ٣٢٥، وج ٢، ص ٣٨٠، ح ٧٩، وص ٤٦٤، ح ٢٩٧، وبعض المصادر التي ذكرناها فيها تغيير يسير في الإسناد والمتن، فليلاحظ ذلك.

المحمود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أمتي، فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفّعت فيمن آذى ذُرِّيَّتي»^(١).

الحق السادس: مدحهم ونشر فضائلهم

ومن حقوق أهل البيت عليهم السلام أن نمدحهم ونشر فضائلهم عليهم السلام بكل ما أوتينا، وما أُتيحت لنا من فرص ووسائل بقدر الإمكان؛ لأنّ مدحهم ونشر فضائلهم هو تقوية للدين الإسلامي الحنيف، ونصر لهذا المذهب الشريف، فإنّ الأئمة هم أرفع الناس نسباً، وأعلاهم شرفاً، وآثرهم حسباً، وأجمعهم للفضائل والكمالات، هذا بنظر الله تبارك وتعالى ونبيه صلّى الله عليه وآله، وبنظر شيعتهم ومواليهم ومحبيهم.

وأما بنظر أعدائهم فهم يحقدون عليهم تعتّاً وتعصباً، لا إنكاراً لفضائلهم؛ لأنّ انكارها يعني إنكار الدين، وتكذيب الشرع المين، المتمثل بخاتم الأنبياء والمرسلين، ولكن ديدن المنافقين على بغض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وذريّته الطاهرين عليهم السلام.

ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني. ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني؛ وذلك أنّه قضى فانقضى على لسان النبي الأُمِّي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: يا علي، لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق»^(٢).

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٣٧٠، ح ٣. روضة الواعظين: ص ٢٧٣. التفسير الصافي: ج ٣، ص ٢١١. التفسير الأصفي: ج ١، ص ٦٩٣. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٢٠٨، ح ٣٩٨. الفصول المهمة في أصول الأئمة: ج ١، ص ٣٦٠، ح ٦. بحار الأنوار: ج ٨، ص ٣٧، ح ١٢ عن أمالي الشيخ الصدوق، ومثله ج ٣١، ص ٦٥٣، ح ١٩٦، وج ٩٣، ص ٢١٨، ح ٤٣.

(٢) نهج البلاغة: ج ٤، ص ١٣، ح ٤٥. عيون الحكم والمواعظ: ص ٤١٥. روضة الواعظين: ص ٢٩٥. الغارات: ج ١، ص ٤٣. مشكاة الأنوار: ص ١٥١. تفسير مجمع البيان: ج ٦، ص ٤٥٥. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٣٦٤، ح ١٦٦. إعلام الوري: ج ١، ص ٣٧١. غاية المرام: ج ٦، ص ٦٤، ح ٦٧. بحار الأنوار: ج ٣٤، ص ٥١، وج ٣٤٤، ح ١١٦٨ عن النهج.

«من أجل ذلك كان العارفون بفضائلهم، والمتمسّكون بولائهم، يتبارون في مدحهم، ونشر مناقبهم، مُعْرِينَ عن حُبِّهم الصادق وولائهم الأصيل، دوننا طلب جزاء ونوال. وكان الأئمة عليهم السلام، يستقبلون مادحيهم بكلّ حفاوة وترحاب، شاكرين لهم عواطفهم الفياضة، وأناشيدهم العذبة، ويكافؤنهم عليها بما وسعت يداهم من البرّ والنوال، والدعاء لهم بالغفران، وجزيل الأجر والثواب. فقد جاء في (خزانة الأدب): حكى صاعد مولى الكُميت، قال: دخلت مع الكُميت على عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: إني قد مدحتك بما أرجو أن يكون لي وسيلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أنشده قصيدته التي أولها:

مَنْ لِقَلْبٍ مَتِيْمٍ مُسْتَهَامٍ غَيْرَ مَا صَبُوَّةٍ وَلَا أَحْلَامٍ
فلما أتى على آخرها، قال له: ثوابك نعجز عنه، ولكن ما عجزنا عنه، فإنّ الله لا يعجز عن مكافأتك، اللهم اغفر للكُميت. ثمّ قسط له على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم، وقال له: خذ يا أبا المستهل. فقال له: لو وصلّنتي بدانق لكان شرفاً لي، ولكن إن أحببت أن تحسن إليّ، فادفع إليّ بعض ثيابك أتبرك بها، فقام فنزع ثيابه ودفعها إليه كلّها، ثمّ قال: اللهم إنّ الكُميت جاد في آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضنّ الناس، وأظهر ما كتمه غيره من الحقّ، فأحياه سعيداً، وأتمته شهيداً، وأره الجزاء عاجلاً، وأجزل له المثوبة أجلاً، فإنّا قد عجزنا عن مكافأته. قال الكُميت: ما زلت أعرف بركة دعائه.

وقال دعبل: «دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام - بخراسان - فقال لي: أنشدني شيئاً ممّا أحدثت. فأنشدته:

مدارسُ آياتٍ خلّتْ من تلاوةٍ ومنزلٌ وحيٍّ مقفّرُ العرصاتِ
حتى انتهيت إلى قولي:

إذا وتروا مدّوا إلى واترهم أكفّأ عن الأوتارِ مُنْقِصَاتِ
فبكى حتى أغميَ عليه، وأوماً إليّ خادمٌ كان على رأسه: أن اسكت، فسكتُ فمكثُ

ساعةً، ثم قال لي: أعد. فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى، وأوماً الخادم إليّ أن أسكت، فسكتُ. فمكثُ ساعةً أخرى، ثم قال لي: أعد. فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها، فقال لي: أحسنت. ثلاث مرات. ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، ممّا ضرب باسمه، ولم تكن دفعت إلى أحد بعد. وأمر لي من في منزله، بحلي كثير أخرجه إليّ الخادم، فقدمت العراق، فبعت كلّ درهم منها بعشرة دراهم، اشتراها منّي الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم، فكان أول مال اعتقدته»^(١).

الحق السابع: زيارة مشاهدهم عليهم السلام

ومن حقوقهم عليهم السلام على مواليتهم وشيعتهم، زيارة مشاهدهم المشرفة والسلام عليهم؛ فإنّها من مظاهر الحبّ والولاء، ومصاديق الوفاء والإخلاص، فهم سيّان أحياء وأمواتاً.

وقد تواترت النصوص في فضل زيارة مشاهدهم المشرفة، ومراقدهم الطاهرة عليهم السلام، وما تشتمل عليه من الخصائص الجليلة والثواب الجَمّ^(٢).
فعن الوشاء قال: سمعتُ الرضا عليه السلام يقول: «إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد، وحُسن الأداء، زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصدقاً بما رغبوا فيه كان أنتمهم شفعاؤهم يوم القيامة»^(٣).

(١) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٣٢٩-٣٣١.

(٢) أنظر - على سبيل المثال -: كتاب كامل الزيارات لابن قولويه القمي رحمته الله وغيره من كتب المزارات لأعلام الطائفة مثل: كتاب المزار للشيخ المفيد رحمته الله وكتاب المزار أيضاً للشهيد السعيد (الشهيد الأوّل رحمته الله) والمزار لابن المشهدي رحمته الله.

(٣) كامل الزيارات: ص ٣٢٦-٣٢٧، ح ٢، المزار (الشيخ المفيد): ص ٢٠١، ح ١، الكافي: ج ٤، ص ٥٦٧، ح ٢. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٩١-٢٩٢، ح ٢٤. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٧٧، ح ٣١٦٠. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٧٩-٧٨، ح ٣، وص ٩٣، ح ٢. روضة الواعظين: ص ٢٠٢. وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٣٢٢، ح ٥. بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ١١٦، ح ١ عن العيون.

وعن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ما لمن زار واحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

وعن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة كان على عرش الرحمن أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة الذين هم من الأولين: فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأما الأربعة من الآخرين: فمحمّد، وعليّ، والحسن، والحسين، صلوات الله عليهم، ثم يمدّ المضمار، فيقعد معنا من زار قبور الأئمة عليهم السلام إلا أن أعلاهم درجة، وأقربهم حبة، زوّار ولدي عليّ»^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أهدت لنا أمّ أيمن لبناً وزبداءً وتمرّاً، فقدّمنا منه، فأكل ثمّ قام إلى زاوية البيت، فصلّى ركعات، فلمّا كان في آخر سجوده بكى بكاءً شديداً، فلم يسأله أحدٌ منّا اجلالاً واعظاماً له، فقام الحسين عليه السلام وقعد في حجره فقال: يا أبة، لقد دخلت بيتنا فما سررنا بشيء كسرورنا بدخولك، ثمّ بكيت بكاءً غمّاً، فما أبكاك؟! فقال: يا بني، أتاني جبرئيل عليه السلام أنفاً فأخبرني أنّكم قتلى، وأنّ مصارعكم شتى. فقال: يا أبة، فما لمن يزور قبورنا على تشتها، فقال: يا بني، أولئك طوائف من أمّتي يزورونكم فيلتمسون بذلك البركة، وحقيق عليّ أن آتيهم يوم القيامة

(١) علل الشرائع: ج ٢، ص ٤٦٠، ح ٦. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٩٣، ح ٣١. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٧٨، ح ٣١٦٣، و ص ٥٨١، ح ٣١٧٥. الكافي: ج ٤، ص ٥٧٩، ح ١. وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٧١، ح ١. بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ١١٧، ح ٥ عن العيون والعلل.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ٥٨٥، ح ٤. كامل الزيارات: ص ٥١١-٥١٢، ح ١٣. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٩٠-٢٩١، ح ٢٠. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٨٤-٨٥، ح ٣. المزار (ابن المشهدي): ص ٥٤٦-٥٤٧. وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٦٤، ح ١. بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ٤١-٤٢، ح ٤٦ عن كامل الزيارات.

حتى أخلصهم من أهوال الساعة، ومن ذنوبهم، ويسكنهم الله الجنة»^(١).

ما ذنبُ أهلِ البيتِ	حتى منهمُ أخلوا ربوعه
تركوهم شتى مصارعهم	وأجمعهم أفضليته
فمغيَّبُ كالبدرِ ترتقبُ	الورى شوقاً طلوعه
ومكابدُ للسمِ قد	سُقيت حشاشته نقيعه
ومضرجُ بالسيفِ أثرَ	عزّه وأبى خضوعه

إلى أن يقول عليه السلام:

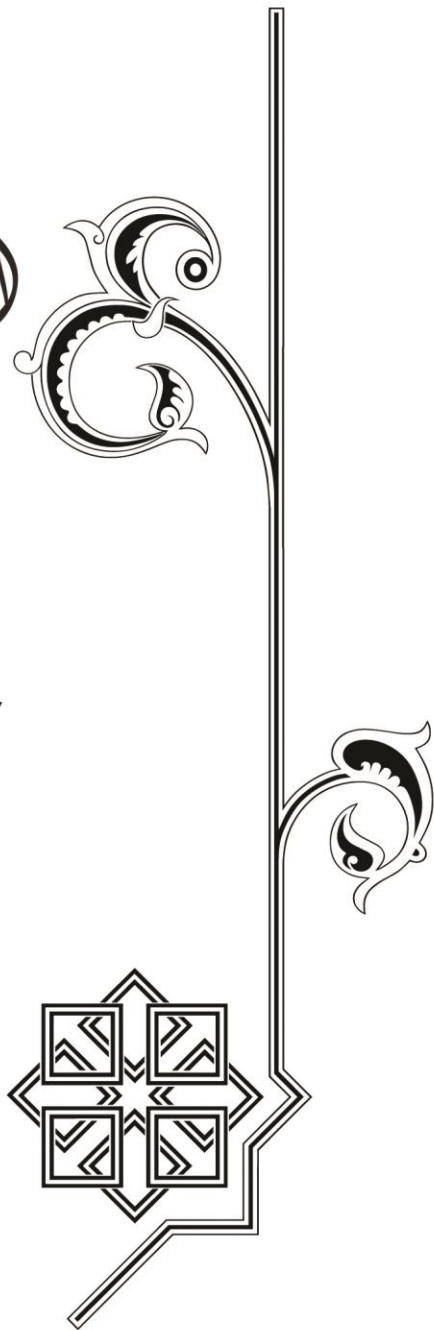
وكرائمُ التنزيلِ بينَ	أُمِّيَّةٍ برزت مروعه
تدعو ومن تدعو وتلكَ	كُفاهُ دعوتها صريعه
واهياً عرانيُّ العلى	عادت أنوفكم جديعه
ما هزَّ أضلعكم حداً	القوم بالعيسِ الضليعه ^(٢) .

(١) كامل الزيارات: ص ١٢٦-١٢٧، ح ٩. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٦٩، ح ١١، عنه بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٨٠-٨١، ح ٤٠، وج ٤٤، ص ٢٣٤، ح ٢٠ عن كامل الزيارات، وعنه أيضاً في ج ٩٧، ص ١١٨، ح ١١.

(٢) ديوان السيد حيدر الحلي عليه السلام: ج ١، ص ٣٧.

الحاضرة السادسة عشر

حُبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَأَهْلِكَ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ



عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، عن أبيه، عن الحسين عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حُبِّي وَحُبُّ أَهْلِ بَيْتِي نَافِعٌ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ أَهْوَاهُنَّ عَظِيمَةٌ: عِنْدَ الْوَفَاةِ، وَفِي الْقَبْرِ، وَعِنْدَ النَّشُورِ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ، وَعِنْدَ الْحِسَابِ، وَعِنْدَ الْمِيزَانِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ»^(١).

من اعتقادنا وعقائدنا التي انطوت عليها قلوبنا وعقولنا هو الاعتقاد بوجوب حُبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، ووجوب التبري من أعدائهم، فعلى كُلِّ إنسانٍ شيعي أن يلتزم بهذه العقيدة؛ حيث إنَّ من فروع ديننا القويم، ومذهبنا السليم، موالة أولياء الله، والتبري من أعدائهم.

وأما أنَّ إنساناً يحبُّ أَهْلَ الْبَيْتِ عليهم السلام، ولا يتبرأ من أعدائهم فهو أعور، كما عبّر عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فيما رواه عنه الشيخ ابن إدريس في كتاب السرائر في المستطرفات.

قال عليه السلام: «إِنَّ رَجُلًا قَدِمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا أَحَبُّكَ وَأَحَبُّ فَلَانًا - وَسَمَّى بَعْضَ أَعْدَائِهِ - فَقَالَ عليه السلام: أَمَّا الْآنَ فَأَنْتَ أَعُورٌ، فَأَمَّا أَنْ تَعْمَى، وَأَمَّا أَنْ تُبْصَرَ»^(٢).

وعنه عليه السلام قيل للصادق عليه السلام: «إِنَّ فَلَانًا يُوَالِيكُمْ، إِلَّا أَنَّهُ يَضْعَفُ عَنِ الْبَرَاءَةِ مِنْ

(١) الخصال: ص ٣٦٠، ح ٤٩. فضائل الشيعة: ص ٥، ح ٢. كفاية الأثر: ص ١٠٨-١٠٩. روضة الواعظين: ص ٢٧١. بشارة المصطفى: ص ٤١، ح ٢٩. معارج اليقين في أصول الدين: ص ٥١٣، ح ٥٢. تأويل الآيات: ج ٢، ص ٨٦٥-٨٦٦، ح ٢. غاية المرام: ج ٢، ص ٢٧٥، ح ٢٢، وج ٦، ص ٨٧، ح ٤٣، و ص ٩٠، ح ٥١. بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٤٨، ح ٢ عن فضائل الشيعة، وج ٢٧، ص ١٥٨، ح ٣ عن الخصال، وج ٣٦، ص ٣٢٢، ح ١٧٧ عن كفاية الأثر.

(٢) مستطرفات السرائر: ص ٦٣٩. التعجب: ص ١١٢. جواهر المطالب: ج ٢، ص ١٥٨، ح ١٢١. بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٥٨، ح ١٧ عن المستطرفات.

عدوكم. قال: هيهات، كذب مَنْ ادَّعى محبَّتنا، ولم يتبرأ من عدونا^(١).
وعليه فلا بدَّ من التمسك بحبِّهم، والتبري من أعدائهم، وأمَّا الخلط بين هذا
وذاك، فهذا غير مجزٍ ولا مقبول، وإنَّما المقبول والمجزي والنافع هو حبُّهم مع التبري من
أعدائهم.

وقد أشار القرآن الكريم من قبل ذلك إلى مودتهم - علاوةً على الدليل الروائي
عن طريق الخاصَّة - حيث قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢). إذن
هذا الفرض وهذه العقيدة مسلمة.

ثمرات حبِّ أهل البيت عليهم السلام

ثم إنَّ ثمرات حُبِّ أهل البيت عليهم السلام ملموسة في الدنيا لكلِّ إنسان تمسك بولايتهم،
وأحبِّهم، وأطاعهم، شريطة أن يجمع بين حبِّ النبي صلى الله عليه وآله وحُبِّ أهل
بيته عليهم السلام، فلا يسوغ لأي إنسان أن يُحبَّ النبي صلى الله عليه وآله ولا يُحبَّ أهل بيته عليهم السلام، حتى ولو
قال: إنَّ الحديث ناظرٌ إلى الاكتفاء بكل واحد من الحبيْن؛ لأنَّه لو قيل: بأنَّ الحديث
ناظرٌ إلى أنَّ حبَّ النبي صلى الله عليه وآله بنفسه نافع في هذه المواطن السبعة، فلا يحتاج إلى ضمِّ حبِّ
أهل بيته عليهم السلام معه، وإنَّما ذكر حبَّ أهل البيت كطريق آخر، وعلةٌ أخرى للنجاة من
المواطن السبعة.

فإنَّنا نقول: نسلم - جدلاً - ذلك، ولكن الذي يُحبَّ النبي صلى الله عليه وآله لا بدَّ أن يطيعه، وإلَّا
كيف يُحبُّ إنسانٌ أنساناً آخر ولا يطيعه في أوامره ونواهيه؛ ولذا ورد في الحديث
القدسي مارواه الفضل بن عمر، قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول: «كان فيما
ناجى الله ﷻ به موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: يا بن عمران، كذب مَنْ زعم أنَّه يحبُّني،

(١) مستطرفات السرائر: ص ٦٤٠، عنه بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٥٨، ح ١٨.

(٢) الشورى: آية ٢٣.

فإذا جنّه الليل نام عني، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه؟...»^(١)، وما ورد عنهم ﷺ أنّهم قالوا: «إنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع»^(٢).

فحتى لو قلنا بأنّ حبّ النبي الأكرم ﷺ بوحده كافياً للنجاة من أهوال المواطن السبعة، وهو علّة كافية، ولا يحتاج إلى ضمّ حبّ أهل البيت ﷺ، فلا بدّ أيضاً من حبّهم، والتولّي لهم، والتبرّي من أعدائهم؛ لأنّ النبي الأكرم ﷺ أشار في أكثر من حديث إلى حبّهم، بالإضافة إلى آية المودّة المتقدّمة، التي وردت على لسان النبي الأكرم ﷺ في أنّه لا يريد أجراً للرسالة، إلّا أجراً واحداً، وهو مودّة قريبه وأهل بيته ﷺ.

ولوقلنا: بأنّ الحديث ناظرٌ إلى عطف حبّ أهل البيت ﷺ على حبّ النبي الأكرم ﷺ، بمعنى أنّ حبّ أهل البيت ﷺ مع حبّ النبي إذا اجتمعاً نفعاً في المواطن السبعة، وأما إذا افترقا فلا، فقد خسر المبتلون حينئذٍ؛ فنحن نحبّ أهل البيت ﷺ ونطيعهم مع حبنا للنبي الأكرم ﷺ، وهو ﷺ الذي أمرنا بحبّ أهل بيته ﷺ وطاعتهم، والتبرّي من أعدائهم.

وعليه فلا يمكن المصير إلى الفهم الأوّل؛ إذ لو أراد النبي الأكرم ﷺ الاكتفاء بكلّ حبّ على حدة، لما ذكر الحديث بهذه الطريقة التي تقتضي العطف بـ (الواو) التي تفيد الجمع والتشريك، وإلّا لو أراد المعنى الأوّل لقال: (حُبِّي أو حبّ أهل بيتي...).

فحبّه ﷺ وحبّ أهل بيته ﷺ ينفع في مواطن لا تخصّ في الدنيا، وآثار محبّتهم ﷺ لا تنقضي، فلو كانت البحار مداداً والشجر أقلاماً، لما أحصوا بركات هذا الحبّ

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٣٨، ح ١. روضة الواعظين: ص ٣٢٩، عدّة الداعي: ص ١٩٣. محاسبة النفس: ص ٨٢. قصص الأنبياء (الجزائري): ص ٣٤٢ عن الأمالي. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٢٦٣. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٣٢٩، ح ٧ عن الأمالي، وكذا ج ٦٧، ص ١٤، ح ٢، وج ٨٤، ص ١٧٢، ح ٥ عن أعلام الدين. الجواهر السنية: ص ٥٧.

(٢) في تحف العقول: ص ٢٩٤ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما عرف الله منّ عصاه وأنشد:

تعصي الإله وأنت تُظهرُ حُبّه هذا العمرك في الفعال بديعُ
لو كان حُبُّكَ صادقاً لأطعته إنّ المُحبَّ لمن أحبّ مُطيعُ.

والولاء، بل حبّهم ﷺ لم يُحدّ بحدود المؤمن الموالي والمخلص، بل يتعدّى حتى إلى المشرك.

لكن بلا شكّ حبّ أولياء الله لهم ﷺ المنزلة الخاصّة؛ ولذا كان أولياء الله يغمى عليهم إذا ذكرت لهم مصيبة من مصائب أهل البيت ﷺ، كما نقل هذا المعنى عن آية الله العظمى السيد البروجردي رحمه الله، أنّه كان في منزله يوماً مجلس عزاء، وكان الشيخ الأنصاري القميّ هو الخطيب، فصادف أن أنشد قصيدة في فاطمة الزهراء رضي الله عنها، منها هذا البيت:

ولست أنسى خبر المسارِ سل صدرها خُزانة الأسرار^(١).

فأخذ السيد البروجردي يبكي كثيراً حتى أغمي عليه، فجاء الحاج أحمد، وطلب من الخطيب أن يُنهي قراءة التعزية، وأخبره بأنّ السيد البروجردي قد أغمي عليه^(٢). ومن آثار وبركات حبّهم والولاء لهم ﷺ في الحياة الدنياء، ما نُقل عن المرحوم الحاج آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله قال: «كُنت يوماً عند الميرزا الشيرازي رحمه الله بسمراء أقرأ عليه^(٣)، وفي أثناء الدرس دخل أستاذنا الكبير آية الله السيد محمد الفشاركي رحمه الله، وعليه آثار الإنكماش؛ نتيجة ظهور مرض الوباء الذي شاع في العراق في ذلك الزمان.

فقال لنا: هل تعرفونني مُجتهداً أم لا؟ قلنا: نعم. قال: أتعلموني عادلاً؟ قلنا: نعم. وكان مقصوده أخذ الأقرار والاعتراف مِنّا، هل له شرائط الحكم والفتوى أم لا؟

(١) الأنوار القدسية: ص ٤٣.

(٢) أنظر: الأخلاق والآداب الإسلامية: ص ٥٨١.

(٣) إشارة لطيفة إلى الطريقة القديمة في المدرسة السامرائية الميرزائية وغيرها في التدريس، وهي: أنّ طالب العلم يطالع مادة الدرس جيداً، ثمّ يحضر أمام أستاذه ليشرح الدرس، والأستاذ يصحّح للطالب ما إذا اشتبه عليه المطلوب، فلذا ترد عبارة (أقرأ عليه) كثيراً في كتب العلماء السابقين (قدس الله أسرارهم).

قال بعد ذلك: أصدر حُكمي إلى كافة شيعة سامراء من الرجال والنساء، أن يقرأ كل واحدٍ منهم كل يوم زيارة عاشوراء نيابة عن والدته الإمام الحجة ﺍﻟﻤﺎﺭﺗﻤﻪ، وهذه المُكرّمة تشفع لدى ابنها حضرة ولي الأمر ﺍﻟﻤﺎﺭﺗﻤﻪ؛ ليشفع بدوره عند الله المتعال حتى ينجو الشيعة من هذا البلاء.

قال المرحوم الحائري: عندما أصدر هذا الحكم، أطاعه جميع الشيعة من سكنة سامراء، وكانت النتيجة أنه لم يتلف أحدٌ من الشيعة في سامراء، في حين كان يتلف عشرة، أو خمسة عشر يومياً من غير الشيعة من أثر الوباء^(١).

وهذا غيظ من فيضٍ، وقطرة من بحارهم ﺍﻟﻤﺎﺭﺗﻤﻪ، وإلا فكراحتهم ﺍﻟﻤﺎﺭﺗﻤﻪ وآياتهم لا تخصي.

وهذه آثار حبّهم وموالاتهم والاعتقاد بهم في الدنيا ما دام الإنسان حيّاً، وأمّا إذا مات الإنسان فقد قامت قيامته، كما ورد في الحديث الشريف^(٢).
فيبدأ حبّهم وولايتهم للدفاع عن الإنسان في أصعب المواطن وأهولها وأشدّها عظمة على الإنسان.

وأول هذه المواطن هو الموت نفسه، وكفى به هولاً، وكفى به شدةً.
ومن ثمّ الموطن الآخر، وهو القبر، فتأتي ولايتهم ﺍﻟﻤﺎﺭﺗﻤﻪ بأبهى صورة وأجمل مثال، كما روي عن أبي بصير، عن أحدهما ﺍﻟﻤﺎﺭﺗﻤﻪ، قال: «إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّة صور، فيهن صورة هي أحسنهن وجهاً، وأبهاهن هيئةً، وأطيبهن ريحاً، وأنظفهن صورةً، قال: فيقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى

(١) الأخلاق والآداب الإسلامية: ص ٥٨٠.

(٢) أنظر: التفسير الصافي: ج ١، ص ١٢٠. شرح الأسماء الحسنى: ج ٢، ص ١١٠. بحار الأنوار: ج ٥٨، ص ٧، وج ٧٠، ص ٦٧. تخرّيج الأحاديث والآثار: ج ١، ص ٤٣٦. كنز العمال: ج ١٥، ص ٥٤٨، وص ٦٨٦، ح ٤٢٧٤٨.

عند رجله، ويقف^(١) التي هي أحسنهن فوق رأسه، فإن أتي عن يمينه، منعه التي عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست، قال: فتقول أحسنهن صورة: مَنْ أنتم، جزاكم الله عني خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجله: أنا برّ مَنْ وصلت من إخوانك، ثم يقلن: مَنْ أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئةً، فتقول: أنا الولاية لآل محمد (صلوات الله عليه وعليهم)^(٢).

ثم المواطن الأخرى، وهي: عند النشور، والقيام من القبور، والوقوف أمام ربّ العزة والجلال، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط.
ومثل هذا المعنى أو قريب منه ورد عند زيارة الإمام عليه السلام، ولعله من مختصاته عليه السلام؛ لإختصاصه بجملة من الصفات والكرامات، فقد اختصّ كلّ إمام بجملة من الصفات، دون غيره من آبائه المعصومين عليهم السلام، فهم وإن كانوا كلّهم سُفن نجاة، وينابيع رحمة وحكمة، لكن سفينة الحسين عليه السلام أسرع، كما قال الشيخ التستري رحمته الله: «... فالنبي والأئمة عليهم السلام كلّهم أبواب الجنان، لكنّ باب الحسين مسلكه أوسع، وكلّهم سُفن النجاة، لكنّ سفينة الحسين مجراها على اللجج الغامرة أسرع، ومرساها على السواحل المنجية أيسر، وكلّهم مصابيح الهدى، لكنّ محالّ الإستضاءة بنور الحسين أوسع دائرة، وكلّهم الكهف الحصين، لكنّ منهاج كهف الحسين أسهل وأسهل^(٣)».

وهكذا، فتقف عند قبر الإمام الرضا عليه السلام وتزوره بتلك الروحية، وتلك النظرة العالية لمضامين هذه الزيارة الشريفة، التي جاء فيها عنه عليه السلام: «مَنْ زارني على بعد داري

(١) كذا في المحاسن، وفي البحار: (وتقف)، وهو الأصح.

(٢) المحاسن: ج ١، ص ٢٨٨، ح ٤٣٢. شرح الأخبار: ج ١، ص ٢٢٤، ح ٢٠٨، وج ٣، ص ٤٥٨، ح ١٣٤١. بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢٣٤، ح ٥٠ عن المحاسن.

(٣) الخصائص الحسينية: ص ١٠.

وشطون^(١) مزارى، أتيت يوم القيامة في ثلاث مواطن؛ حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان^(٢).

ومن ضمن هؤلاء الشيعة الخُص الذين أكثروا من زيارتهم للإمام الرضا ﺍﻟﻤﺎﺭﺗﻠﻪ، دعبل بن علي الخزاعي ﺍﻟﻠﻪ، دخل على الإمام الرضا ﺍﻟﻤﺎﺭﺗﻠﻪ بمرو، فقال: يا بن رسول الله، إنِّي قُلْتُ فيكم قصيدة، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فقال: هاتها يا دعبل، فأنشده:

مدارس آياتٍ خلت من تلاوة ومنزلٌ وحيٍّ مقفر العرصاتِ
إلى أن قال:

أفاطمُ لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشطِ فراتٍ
إذن للطمِ الخد فاطمٌ عنده وأجريت دمع العين في الوجناتِ
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندي نجومَ سمواتٍ بأرضِ فلاتٍ
قبورٌ بكوفانٍ وأخرى بطيبة وأخرى بفخ ناهها صلواتي
فلما انتهيت إلى قولي:

خروجُ إمامٍ لا محالةً خارجٌ يقوم على اسمِ الله والبركاتِ
يميز فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ ويجزي على النعماء والنقماتِ

(١) شطن عنه: بعد، وبثر شطون: بعيدة القعر.

(٢) كامل الزيارات: ص ٥٠٦، ح ٤. وأنظر: أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٨٣، ح ٩. الخصال: ص ١٦٨. ح ٢٢٠، عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٨٥، ح ٢. مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٣١٨٩. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٨٥، ح ٥. المزار (الشيخ المفيد): ص ١٩٥، ح ٢. المزار (ابن المشهدي): ص ٤٠، ح ٢١. روضة الواعظين: ص ٢٣٥. العقد النضيد والدر الفريد: ص ٣٤، ح ٢٤. معارج اليقين في أصول الدين: ص ٩٢، ح ٩. وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٥١، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ٣٤، ح ١٣ عن الخصال والأمال.

بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثم رفع رأسه إليّ فقال لي: «يا خزاعي، نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام؟ ومتى يقوم؟».

فقلت: لا يا سيدي، إلّا إنّي سمعت بخروج إمام منكم، يطهر الأرض من الفساد ويملؤها عدلاً، فقال: «يا دعبل، الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، وأمّا متى؟ فأخبر عن الوقت، ولقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: يا رسول الله، متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلّا هو ثقلت في السماوات والأرض، لا يأتيكم إلّا بغتة»^(١).

فلما بلغ دعبل عليه السلام إلى قوله:

«أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام، وقال له: صدقت يا خزاعي.

فلما بلغ إلى قوله:

إذا تروا مدّوا إلى واتريهم أكفأ عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن عليه السلام يقلّب كفيه، ويقول: أجل، والله منقبضات.

فلما بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال الرضا عليه السلام: آمنك الله يوم الفرع الأكبر.

(١) عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٩٧، ح ٥. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٣٧٢، ح ٦. كفاية الأثر: ص ٢٧٦. دلائل الإمامة: ص ٣٥٧-٣٥٨، ح ٤. بحار الأنوار: ج ٤٩، ص ٢٣٤-٢٣٥، ح ٢ عن العيون.

فلما انتهى إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكية تضمناها الرحمن في الغرفات

قال له الرضا عليه السلام: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟ فقال: بلى، يا

ابن رسول الله، فقال عليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة توقد في الأحشاء بالحرقات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرج عنا الهَمَّ والكربات

فقال دعبل: يا ابن رسول الله، هذا القبر الذي بطوس قبر مَنْ هو؟ فقال الرضا عليه السلام:

قبري، ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزوّاري، ألا فَمَنْ زارني في غربتي بطوس، كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له...»^(١).

حقاً، فما مضت الأيام والليالي إلّا والإمام في نعشه محمولاً إلى قبره، والناس ينادون: وإماماه وإماماه، ونحن ننادي أيضاً: وإماماه وإماماه.

مات الرضا وارتجت الفگده أرض طوس

أطلعت الشيعة امفرّعه أوتلطم على الروس

ورجالها إتنادي علي تفداك النفوس

أونسوانها بالدور نصبت له عزّيه

الله يعين محمّداً بهادي المصيبة

(١) عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٩٥، ح ٣٤. وأنظر: كمال الدين وتقام النعمة: ص ٣٧٣. بحار الأنوار: ج ٤٩، ص ٢٣٩، ح ٩ عن العيون.

مرّة يجي الطوس او يرد مرّة الطيبة
 يسلي العيلة اللي بگت لجله مريه
 مُتخوفة الغايب جرع كاس المنيّة
 فوگه انحنى إيودعه او يحب خدّه اونحره
 لمن غضه نجبه نهض مكسور ظهره
 اتولّه جهازه اوشيعه ابفسه الكبره
 اورّد المدينة إينشّف ادموعه الجريه

حضرت كلّ بني العباس شيعت نعش أبو محمد
 او حتاله عليه حزنان لاچن بالگلب عيّد
 اوزينب من نخت چتال أخوها إيدفنه اتعنّد
 وأمر عشر خياله يدوسونه من الفرسان
 چتاله الغريب ابطوس يوارى ابده الإمام
 او حتاله غريب الطف يخلّونه ثلث تيام
 اوزينب تتخي بيهم چنها مادرت ظلام
 يرضّونه ابجیاد الخيل او لا هاشم يثاره انگوم

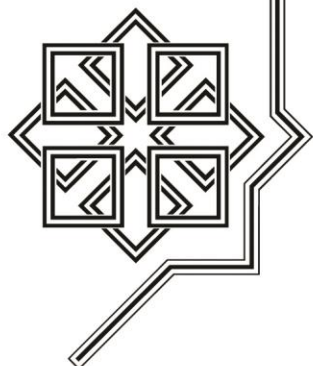
لاتشقّوا لآل فهرٍ فُبوراً فابن طه ملقى بلا إقبار^(١).

(١) مجمع مصائب أهل البيت (عليه السلام): ج ٣، ص ١٧٣-١٩١.

الحاضرة السابعة عشرة



الفوز في الدارين



دخل شابٌ على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علّمني عملاً إذا أنا عملته أحبني الله والناس، ويكثر مالي، ويصحو بدني، ويطول عمري، ويحشرني الله معك يوم القيامة، قال ﷺ: «أيها الشاب، إذا أردت أن يحبَّك الله فخافه واتقه، وإذا أردت أن يحبَّك الناس فاقطع الطمع عمّا في أيديهم، وإذا أردت أن يثري مالك فعليك بالصدقة، وإذا أردت أن يصحَّ بدنك فعليك بالصوم، وإذا أردت أن يطول عمرك فصل أرحامك، وإذا أردت أن يحشرك الله معي فعليك بطول السجود لله ﷻ»^(١).

يحتاج الإنسان أن يتعلّم كيف يسأل ومن يسأل، ولا يشغل نفسه ويقضي وقته بما لا فائدة فيه أصلاً، أو فائدته قليلة جداً، لا تنفع من علّمها، ولا تضر من جهلها، كما روى الزنجشري «عن قتادة أنّه دخل الكوفة فالتفّ عليه الناس، فقال: سلوا عمّا شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً، وهو غلام حدث، فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى؟ فسألوه فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقليل له: من أين عرفت؟ قال: من كتاب الله، وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكراً لقال: قال نملة...»^(٢)، فمن المعلوم أنّ معرفة نملة سليمان ﷺ، وأنها أنثى أم ذكر، لا يقدّم شيئاً ولا يؤخّره.

بخلاف سؤال هذا الشاب، الذي سأل رسول الله ﷺ، فإنّه تعلّم، وفهم كيف يسأل، ومن يسأل؟

فإنّه سأل رسول الرحمة ﷺ، الذي هو مدينة العلم، والذي لا ينطق عن الهوى، بل عن الوحي الذي يوحى إليه. فسأله عن أمور يحبّها الله ورسوله ﷺ، وعن حبّ الله له،

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٢٦٨، عنه بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ١٦٤، ح ١٢. مستدرك

الوسائل: ج ٤، ص ٤٧٢، ح ٧.

(٢) الكشف: ج ٣، ص ١٤٢.

وعن الكون مع رسول الله ﷺ يوم القيامة.

فهذا الشاب سأل عن موجبات هذه الأشياء الستة: (حب الله له، وحب الناس، وكثرة المال، وصحة البدن، وطول العمر، والحشر مع رسول الله ﷺ يوم القيامة).
فما أجملها وأعظمها من أشياء، يتمناها كل إنسان واعٍ مُتدبٍّ، فَمَنْ مِنَّا لا يرجو ويتمنى حبَّ الله والناس له، وكثرة المال، وصحة البدن، وطول العمر، والحشر مع النبي الأكرم ﷺ؟!.

فأنظر إلى موجبات هذه الأشياء الستة، وهي ستة أيضاً.

الأولى: حب الله توجبه مخافة الله والتقوى

كان السؤال الأول من هذه الأسئلة الستة كيف يحبني الله؟ فقال ﷺ: إذا أردت أن يُحبك الله فخافه واتقه. يعني ما يوجب حبَّ الله هو الخوف منه تعالى وتقواه، عزَّ شأنه وتقدَّست أسماؤه.

أمَّا التقوى: فهي - على ما جاء في الروايات^(١) وتقدَّم بيان ذلك -: أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، فإذا كان قد نهى عن الغيبة وشرب الخمر والنميمة والكذب... فالمفروض أن لا يجدنا قريبين منها.

وإذا كان قد أمرنا بالصوم والصلاة والذكر والزكاة وغيرها، فلا يفقدنا عند أوقاتها وأماكنها، كالمساجد ومجالس الذكر مثلاً.

وأمَّا الخوف فكلِّما كان الإنسان خائفاً من الله كان الله محباً له.

ومن هنا روي بسند معتبر عن الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «كان في بني إسرائيل رجل ينش القبور، فاعتلَّ جازُّ له فخاف الموت، فبعث إلى النبَّاش، فقال له:

(١) فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك». نور البراهين: ج ١، ص ٢٠٤.

كيف كان جوارِي لك؟ قال: أحسن جوار. قال: فإنَّ لي إليك حاجة، قال: قضيت حاجتك، قال: فأخرج إليه كفين، فقال: أحب أن تأخذ أحبَّهما إليك، وإذا دفنت فلا تنبشني. فامتنع النَّبَّاش من ذلك، وأبى أن يأخذه، فقال له الرجل: أحب أن تأخذه. فلم يزل به حتى أخذ أحبَّهما إليه، ومات الرجل، فلما دُفِن قال النَّبَّاش: هذا قد دفن، فما علمه بأنِّي تركت كفنه أو أخذته، لأخذه، فأتى قبره فنشبهه، فسمع صائحاً يقول ويصيح به: لا تفعل، ففرع النَّبَّاش من ذلك، فتركه وترك ما كان عليه، وقال لولده: أي أب كنت لكم؟ قالوا: نعم الأب كنت لنا، قال: فإنَّ لي إليكم حاجة. قالوا: قل ما شئت، فإنَّا سنصير إليه إن شاء الله.

قال: فأحبَّ إذا أنا مت أن تأخذوني فتحرقوني بالنار، فإذا صرت رماداً فدقوني، ثم تعمّدوا بي ريحاً عاصفاً، فذروا نصفني في البرِّ، ونصفني في البحر. قالوا: نفعل. فلما مات فعل به ولده ما أوصاهم به، فلما ذروه قال الله جلَّ جلاله للبرِّ: أجمع ما فيك. وقال للبحر: أجمع ما فيك. فإذا الرجل قائم بين يدي الله جلَّ جلاله. فقال الله ﷻ: ما حملك على ما أوصيت به ولدك أن يفعلوه بك؟ قال: حملني على ذلك - وعزتك - خوفك. فقال الله جلَّ جلاله: فإنِّي سأرضي خصومك، وقد أمنت خوفك، وغفرت لك^(١).

فأنظر إلى أهمية الخوف وكيف أوجب حبَّ الله للعبد، وغفران ذنوبه، وأمانه من ذلك الخوف الذي أعدّه الله تبارك وتعالى للعاصين، الذين لم يخشوه في هذه الدنيا، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «... لا يجمع الله ﷻ على عبده خوفين ولا أمنيين»^(٢).

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٠٦-٤٠٧، ح ٣، عنه بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٧٧، ح ٢٢.

(٢) الخصال: ص ٧٩ ضمن ح ١٢٦. التفسير الكبير (الفخر الرازي): ج ٣، ص ٣٩. تفسير الثعالبي: ج ٥، ص ٨٣. تفسير السمعاني: ج ٦، ص ٤٩. فيض القدير: ج ٣، ص ٣٢. كنز العمال: ج ٣، ص ٧٠٩، ح ٨٥٢٩.

الثانية: حبّ الناس يوجبه قطع الطمع عمّا في أيديهم

ثمّ يقول الرسول الأكرم ﷺ للشاب: وأمّا إذا أردت أن يحبّك الناس فاقطع الطمع عمّا في أيديهم، يعني لا يكن عندك طمع في أحد، وإنّما كلّ طمعك بما في يديّ الله تعالى، وعندئذٍ سوف يحبّك الناس؛ لأنّهم لا يخافون منك إذا أحبّوك أن تأخذ ما في أيديهم، أو تطلب ما عندهم، فيحبّون علاقتك وصدافتك، ويعلمون أنّها ليست للمال، ولا لأيّ شيءٍ آخر، بل هي لله تعالى، فالمداواة التي يتصنّعها البعض للبعض الآخر لأجل ماله، لو كانت خالصة ومع الله تبارك وتعالى لأعطت ثمارها.

فعلى الإنسان أن يداري وجهاً يغنيه عن الوجوه، وإذا داريت وجهه عزّ سوف يجعل الله تبارك وتعالى لك ودّاً في قلوب المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١).

ويوضّح لنا مداواة وجه الله تبارك وتعالى ما روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «كان في بني إسرائيل رجل وكان له بنتان، فزوجهما من رجلين، واحد زّراع، وآخر يعمل الفخار، ثمّ إنّ زارهما، فبدأ بامرأة الزّراع، فقال لها: كيف حالك؟ قالت: قد زرع زوجي زرعاً كثيراً، فإن جاء الله بالسّماء فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً، ثمّ ذهب إلى أخرى^(٢)، فسألها عن حالها، فقال: قد عمل زوجي فخاراً كثيراً، فإن أمسك الله السّماء عنا، فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً، فانصرف وهو يقول: اللهم أنت لهما»^(٣).

فلاحظ كيف توجه هذا الرجل لله تبارك وتعالى، فهو الذي يقسم الأرزاق بين العباد.

(١) مريم: آية ٩٦.

(٢) كذا في المصدر، وفي بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٤٨٨، ح ٣، (الأخرى).

(٣) قصص الأنبياء (الراوندي): ص ١٨١، ح ٢١١، عنه بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٤٨٨، ح ٣.

الثالثة: كثرة المال توجبه الصدقة

وهذه تجارة مع الله تبارك وتعالى لكلّ مَنْ أراد أن يكثر ماله، وَمَنْ لا يريد ذلك؟! كلنا - إلّا مَنْ ندر - يريد كثرة ماله من حلال؛ حتّى يصل أرحامه، ويقضي حوائج الآخرين به، بقدر الإمكان.

فيقول الصادق الأمين عليه السلام لهذا الشاب السائل: وإذا أردت أن يثري مالك فعليك بالصدقة، ومن هنا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا أملكتم فتاجروا الله بالصدقة»^(١).

فمَنْ أراد زيادة أمواله وكثرتها بطريق مشروع، فالطريق المشروع هو الصدقة وليس الربا، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾^(٣)، فهكذا يتاجر الإنسان مع ربّه، وهو الرابع دائماً وأبداً، ما دام عمله لله تبارك وتعالى.

وهناك آثار عديدة للصدقة اقتصر النبي صلى الله عليه وآله على أحدها، وهو كثرة المال؛ لأنّ السائل كان يريد ما يوجب كثرة المال، فقال له النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «الصدقة توجبه»، وإلّا فأثار الصدقة عديدة، منها: دفع البلاء، ودفع ميتة السوء، واستجابة الدعاء بأوراد مخصوصة، وقضاء الحوائج، وغير ذلك^(٤).

(١) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٥٧، ح ٢٥٨، عيون الحكم والمواعظ: ص ١٣٥. شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: ص ١٩٣. عدّة الداعي: ص ٦٠. المناقب (الخوارزمي): ص ٣٧٦. جواهر المطالب: ج ٢، ص ١٥٤، ح ٩٣. ينابيع المودة: ج ٢، ص ٢٤٦. بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١٣٣، ح ٦٦ عن النهج.

(٢) البقرة: آية ٢٦١.

(٣) البقرة: آية ٢٧٦.

(٤) ففي الكافي الشريف: ج ٤، ص ٥، ح ٢ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله لا إله إلا هو، ليدفع بالصدقة الداء، و الدبيلة، والحرق، والغرق، والهدم، والجنون، وعدّ صلى الله عليه وآله سبعين باباً من السوء».

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَرَّ يهودي بالنبي صلى الله عليه وآله فقال: السام عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليك، فقال أصحابه: إنّنا سلّم عليك بالموت، قال: الموت عليك، قال النبي صلى الله عليه وآله: وكذلك رددت. ثمّ قال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ هذا اليهودي يعضّه أسود في فواه فيقتله، قال: فذهب اليهودي فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله، ثمّ لم يلبث أن انصرف، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ضعه فوضع الحطب، فإذا أسود في جوف الحطب عاض على عود، فقال: يا يهودي ما عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملاً إلّا حطبي هذا احتملته فجئت به، وكان معي كعكتان، فأكلت واحدة، وتصدّقت بواحدة على مسكين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بها دفع الله عنه. وقال: إنّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان»^(١).

الرابعة: صحّة البدن يوجبها الصوم

وسأل الشاب عن العمل الذي يوجب صحّة البدن، فقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: وإذا أردت أن يصحّ بدنك فعليك بالصوم، فالصوم إذن هو العمل الموجب لصحّة البدن. ومن هنا روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «صوموا تصحّوا»^(٢)؛ لأنّ البدن له حقّ على الإنسان، وهو أن يعطيه صاحبه قسطاً من الراحة، وراحته بالنوم وقلة الطعام، بل الإمساك عنه عدّة ساعات؛ حتّى تهدأ هذه الأعضاء عن العمل الذي تقوم به، وبعد ذلك تكون قد تجددت الحيويّة فيها.

ويكفي الصوم فضلاً وثواباً، أنّه قد نُسب له الباري عز وجل له، حيث ورد في الحديث

(١) الكافي: ج ٤، ص ٥، ح ٣، عنه بحار الأنوار: ج ٤، ص ١٢١، ح ٦٧، وج ١٨، ص ٢١، ح ٤٨.
(٢) الدعوات: ص ٧٦، ح ١٧٩، عنه مستدرک الوسائل: ج ٧، ص ٥٠٢ ضمن ح ١١. عوالي اللئالي: ج ١، ص ٢٦٨، ح ٧٠. الفصول المهمة في أصول الأئمة: ج ٣، ص ٢٣٣، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٥٩، ص ٢٦٧، ح ٤٥، وج ٩٣، ص ٢٥٥. الجامع الصغير: ج ٢، ص ١٠٣، ح ٥٠٦٠. العهود المحمّدية: ص ١٧٣. كنز العمال: ج ٨، ص ٤٥٠، ح ٢٣٦٠٥.

القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به»^(١). وروي عن الصادق الأمين عليه السلام أنه قال: «الصوم جنة من النار»^(٢).

وورد في بعض الأدعية والمناجاة «إلهي رب الصائمين»^(٣)، وبالفعل إذا كان الصوم - كما ذكرنا - فيه صحة البدن، وأن الله تبارك وتعالى هو الذي يجزي به أو عليه، وأنه وقاية من النار، فكيف لا يكون الصائم رابحاً؟!

والصوم ركن أساسي من أركان هذا الدين الحنيف، وهو نصف الصبر على ما جاء في بعض الروايات^(٤)، بل إن البعض من الآيات ذكرت الصبر والمراد به الصوم^(٥).

(١) الكافي: ج ٤، ص ٦٣، ح ٦. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٧٥، ح ١٧٧٣. تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٥٢، ح ٣. مكارم الأخلاق: ص ١٣٨. عدة الداعي: ص ٢٢٦. الجواهر السنية: ص ١٦١. بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٢٥٤، وص ٢٥٥، ح ٣١ عن مكارم الأخلاق. وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٣٩٧، ح ٧، ويوجد اختلاف يسير بين المصادر. وأنظر الحديث في مصادر العامة: صحيح البخاري: ج ٨، ص ١٩٧. صحيح مسلم: ج ٣، ص ١٥٨. سنن النسائي: ج ٤، ص ١٥٩. صحيح ابن خزيمة: ج ٣، ص ١٩٨، والحديث مشهور.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٩ ضمن ح ٥، وص ٢٤ ضمن ح ١٥، وج ٤، ص ٦٢ ضمن ح ١. المحاسن: ج ١، ص ٢٨٧، وص ٢٨٩. فضائل الأشهر الثلاثة: ص ١١٩، ح ١١٧. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٧٤، ح ١٧٧١، وص ٧٥ ضمن ح ١٧٧٥. تحف العقول: ص ٢٥٨. تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٥١، ح ١، وص ٥٢، ح ٢. تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩١. التفسير الصافي: ج ٤، ص ١٥٦. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٢٢٩، ح ٣٣. بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ٣٣١ ضمن ح ٦ عن الكافي. سنن النسائي: ج ٤، ص ١٦٧. السنن الكبرى (النسائي): ج ٢، ص ٩٤، ح ٢٥٤٠. المعجم الأوسط: ج ١، ص ٢١. كنز العمال: ج ٨، ص ٤٥٤، ح ٢٣٦٢٦.

(٣) لم أعثر عليه في غير مفاتيح الجنان، للمحدث الخبير الشيخ عباس القمي رحمته الله في صفحة: ٢٣٦ في الهامش، ضمن أدعية شهر رمضان المبارك.

(٤) البيان (الشهيد الأول): ص ٢٢٢. عوالي اللثالي: ج ١، ص ١١٥، ح ٣٢، و ح ٣٣. مسكن الفؤاد: ص ٤٦. والحديث مشهور في كتب العامة، أنظر - مثلاً -: مسند أحمد: ج ٤، ص ٢٦٠. سنن الدارمي: ج ١، ص ١٦٧. سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٥٥٥، ح ١٧٤٥. سنن الترمذي: ج ٥، ص ١٩٧، ح ٣٥٨٥.

(٥) ففي كتاب فضائل الأشهر الثلاثة للشيخ الصدوق رحمته الله: ص ١٢٢، ح ١٢٥ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يعني: الصيام والصلاة.

الخامسة: طول العمر يوجب صلة الأرحام

والمسألة الخامسة التي سألها الشاب هي طول العمر، فسأل هذا الشاب عن الموجب لها ما هو؟

فأجابه النبي الأكرم ﷺ، بأنّ موجبها صلة الأرحام، فقال له: «وإذا أردت أن يطول عمرك فصل أرحامك»، وهذه النقطة قد تكلمنا عنها سابقاً بما فيه الكفاية، ولكن نشير إلى ذلك بعض الشيء.

فنقول: صلة الأرحام هي إشراك الإنسان أقربائه بما ناله من خير، سواء كان مالا أم جاهاً أم علماً أم غير ذلك، من خلال السؤال عن أحوالهم وعيادتهم ومساعدتهم إذا احتاجوا إلى ذلك، ومشاركتهم في مسراتهم وأحزانهم، ووصلهم ولو بالكلمة الطيبة، فقد روي عن رسول الرحمة ﷺ أنّه قال: «إِنَّ أَعْجَلَ الْخَيْرِ ثَوَاباً صِلَةُ الرَّحِمِ»^(١).

وعنه ﷺ أنّه قال: «الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين»^(٢).

وقد وردت آثار عديدة في صلة الأرحام، وأحد هذه الآثار هو طول العمر، وهناك آثار أخرى ذكرت في الروايات عن النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار ﷺ منها: أنّها تنفي الفقر، وتعمّر الديار، وتهوّن الحساب، وتقي ميتة السوء، وتكثر الأموال، وتعصم من الذنوب.

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٥٢، ح ١٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٢١، ح ٨٣. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٥٣٥-٥٣٦، ح ١١. السنن الكبرى (البيهقي): ج ١٠، ص ٣٦. كنز العمال: ج ٣، ص ٣٦٣، ح ٦٩٥٦.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ١٠، ح ٣. دعائم الإسلام: ج ٢، ص ٣٣١، ح ١٢٥١. مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٢، ص ٦٧، ح ١٧٣٨. تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٠٦، ح ٣٦. مكارم الأخلاق: ص ١٣٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣١١، ح ٦٥. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٤١١، ح ٢، وج ١٦، ص ٣١٩، ح ٥.

فعنه ﷺ أنه قال: «صلة الأرحام تزيد في العمر وتنفي الفقر»^(١)، وعنه ﷺ قال: «صلة الرحم تُهَوِّنُ الحساب وتقي ميتة السوء»^(٢)، وأيضاً ﷺ قال: «إِنَّ القومَ ليكونونَ فجرةً، ولا يكونونَ بررةً، فيصلونَ أرحامهم فتنمى أمواهم، وتطول أعمارهم، فكيف إذا كانوا أبراراً بررة؟!»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إِنَّ صلةَ الرحم والبرَّ ليهوِّنانِ الحساب، ويعصمان من الذنوب، فصلوا أرحامكم، وبروا بإخوانكم، ولو بحسن السلام وردَّ الجواب»^(٤). وأهمُّ أثر من هذه الآثار - بحسب نظر الإنسان - هو طول العمر، والشاب سأل عن ذلك، فقال له النبي ﷺ: صل أرحامك.

ومن هنا رُوي عن إمامنا أمير المؤمنين علي عليه السلام، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرجلَ ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين، فيصيرها الله ﷻ ثلاثين سنة، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة، فيصيرها ثلاث سنين...»^(٥).

وخير شاهد على ذلك ما روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه واسمه مُيسَّر: «يا مُيسَّر، قد حضر أجلك غير مرّة ولا مرّتين، كلّ ذلك يؤخر الله أجلك لصلتك قرابتك»^(٦).

-
- (١) القواعد والفوائد: ج ٢، ص ٥٤، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١١٨.
 (٢) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٨١ ضمن ح ١٨، عنه بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ١٦٣ ضمن ح ٣.
 (٣) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٨١ ضمن ح ١٨، عنه بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ١٦٣ ضمن ح ٣، وج ٧١، ص ٩٤ ضمن ح ٢١.
 (٤) الكافي: ج ٢، ص ١٥٥، ح ٢١، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٢٥، ح ٨٨.
 (٥) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٥٧، ح ٣١. تحف العقول: ص ٣٧٦. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٣١، ح ٩٨ عن الكافي.
 (٦) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٨٠، ح ١٨.
 (٧) الدعوات: ص ١٢٥، ح ٣٠٩. وأنظر: فرج المهموم: ص ١١٩. أعلام الدين: ص ١٢٦. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٨٤، ح ٩٦ عن الدعوات. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٣٨٩، ح ٩ وج ٢١، ص ٥٣٧، ح ١٤.

السادسة: الحشر مع النبي الأكرم ﷺ يوجبه طول السجود لله عز وجل

وسأل الشاب أيضاً عما يجعله محشوراً مع حضرة النبي الأكرم ﷺ، وهو غاية المنى، وأمنية كلّ متمنٍ، فأجابه النبي ﷺ قائلاً: وإذا أردت أن يحشرك الله معي فعليك بطول السجود لله عز وجل. فأنظر إلى أثر طول السجود لله تبارك وتعالى في الدنيا، كيف يوجب تلك الأمانة العظيمة، وما أسهله على الإنسان، ولكن يمنعه عن ذلك الشيطان لحسده له؛ لأنّ الشيطان خرج من الجنة بسبب تكبره وامتناعه من السجود لأدم عليه السلام^(١)، فالسجود أشقّ عبادة عليه - لعنه الله - فإنّه إذا رأى إنساناً يسجد لربه، يقول: يا ويحي، أمرني ربّي بالسجود فعصيت، وأمر هذا بالسجود فأطاع، ويقول لأبالسته: عليكم أن تشغلوه عن صلاته^(٢).

ومن هنا قيل: إنّ سبب تسمية المحراب بهذا الاسم؛ لأنّه تقوم حرب بين المصلي والشياطين^(٣).

وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام: أتدري يا موسى، لم انتجتك من خلقي، واصطفيتك لكلامي؟ فقال: لا، يا ربّ، فأوحى الله إليه: أتّي أطلعت إلى الأرض، فلم أجد عليها أشدّ تواضعاً لي منك، فخرّ موسى ساجداً وعفر خديه في التراب تذلاًّ منه لربه ﷺ، فأوحى الله إليه: ارفع رأسك يا موسى، وامر يدك

(١) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ. الإعراف: آية ١١-١٣.

(٢) ففي الخصال: ص ٦١٦ ضمن حديث الأربعة المروي عن الإمام الصادق عليه السلام، عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «... وأطيلوا السجود، فما من عمل أشدّ على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجداً؛ لأنه أمر بالسجود فعصى، وهذا أمر بالسجود فأطاع فنجأ...».

(٣) ففي شرح الأزهار: ج ١، ص ١٩٤ قال: «وإنّما سُمّي المحراب محراباً لمحاربتة الشياطين»، وقریب منه في حاشية ردّ المختار: ج ١، ص ٧٠٢.

موضع سجودك، وامسح بها وجهك وما نالت من بدنك، فإنه أمان من كل سقم وداء وآفة وعاهة»^(١).

وهكذا يكون السجود لله عز وجل عظيماً دائماً وأبداً. ولقد جسّد ذلك سيد الشهداء عليه السلام في يوم عاشوراء، فإنه سجد لله عز وجل ولكنه لم يكتف بذلك، بل صار موضعاً لسجود الرماح والسيوف ومحراباً لها، ورحم الله السيد رضا الهندي حيث يقول:

صلّت على جسم الحسين سيوفهم	فعدا لساجدة الضُّبا محراباً
ومضى لهيفاً لا يجد غير القنا	ظلاً ولا غير النجيع سراباً
ضمّان ذاب فؤاده من غلة	لو مسّت الصخر الأصم لذاباً ^(٢) .

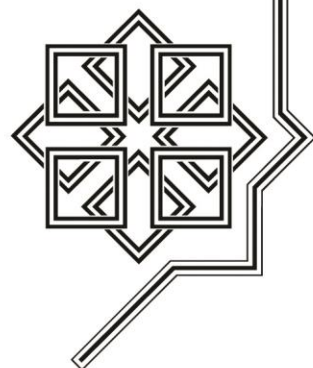
(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ١٦٥، ح ٢٧. علل الشرائع: ج ١، ص ٥٦-٥٧، ح ٢. الجواهر السنية: ص ٦٧. قصص الأنبياء (الجزائري): ص ٢٤٨ عن الأمالي. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٦٧، ح ٢٥٥ عن علل الشرائع. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٧، ح ٦ عن أمالي الشيخ الطوسي، وص ٨، ح ٩ عن العلل، وج ٨٣، ص ١٩٩، ح ٧ عن مجالس ابن الشيخ. وسائل الشيعة: ج ٧، ص ١٤-١٥، ح ٣ عن الأمالي.

(٢) ديوان السيد رضا الهندي رحمه الله: ص ٤٢.

الحاضرة الثانية عشرة



الغَيْبَةُ وَأَثَابُهَا



روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ اغْتَابَ مُسْلِمًا أَوْ مُسْلِمَةً لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ تَعَالَى صَلَاتَهُ وَلَا صِيَامَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، إِلَّا أَنْ يَغْفَرَ لَهُ صَاحِبُهُ»^(١).

الغيبة: هي ذكر الإنسان حال غيبته بما يكره نسبته إليه، مما يعدّ نقصاناً في العرف، بقصد الانتقاص والذم، أو التنبيه على ما يكره نسبته إليه^(٢).

ومن هنا يكون التعريف الثاني أعمّ من الأول؛ لأنّ الأول اقتصر على الذكر، وأمّا الثاني فهو يشمل القول والفعل، من كتابة أو إشارة أو غير ذلك، وفيه تنبيه على إظهار نقص الآخرين، ويدخل في ذلك حتّى النحنة والقهقهة، والإشارة بالعين والحاجب وغيرها.

ثمّ إنّّه قد وقع الخلاف بين الأعلام في أخذ قصد الانتقاص في تعريف الغيبة وعدمه، والمسألة المذكورة في الرسائل العملية، والمرجو من المؤمنين الرجوع إليها، كلّ بحسب تقليده.

ذمّ الشارع المقدّس للغيبة

لقد حرّم الشارع المقدّس الغيبة، وشبّه المغتاب بأكل لحم الميت، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(٣).

وقد وردت روايات عديدة عن رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في بيان بشاعة هذه

(١) معارج اليقين في أصول الدين: ص ٤١٢، ح ٧، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥٨، ح ٥٣. ومستدرک الوسائل: ج ٧، ص ٣٢٢، ح ٢، وج ٩، ص ١٢٢، ح ٣٤، مع ذكرهما الكتاب بالاسم الآخر له وهو: جامع الأخبار، فلاحظ.

(٢) كشف الرية في أحكام الغيبة، المطبوع ضمن رسائل الشهيد الثاني: ص ٢٨٤.

(٣) الحجرات: آية ١٢.

الصفة وهذا الداء، فعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِى عَلَى قَوْمٍ يَخْمَشُونَ وَجُوهَهُمْ بِأَظْفِيرِهِمْ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِئِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ النَّاسَ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(١).

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضاً قَالَ: «مَنْ اغْتَابَ امْرَأً مُسْلِمًا بَطَلَ صَوْمُهُ، وَنَقُضَ وَضُوءُهُ، وَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفُوحُ مِنْ فِيهِ رَائِحَةٌ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيْفَةِ، يَتَأَذَّى بِهِ أَهْلُ الْمَوْقِفِ، وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَتُوبَ مَاتَ مُسْتَحْلًا لَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ ﷻ»^(٢).

وعن الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ: «يَا نَوْفُ... اجْتَنِبِ الْغِيْبَةَ؛ فَإِنَّهَا إِدَامُ كِلَابِ النَّارِ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَوْفُ كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ وَلَدَ مِنْ حَلَالٍ، وَهُوَ يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ بِالْغِيْبَةِ...»^(٣). وفي الحقيقة هناك روايات ذكرت الغيبة ومساوئها تقشعرُّ منها الأبدان، وتصدُّقٌ منها الأسماع، كما روي أَنَّهَا أَشَدُّ مِنَ الزَّنا، فعن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْغِيْبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزَّنا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: صَاحِبُ الزَّنا يَتُوبُ فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَصَاحِبُ الْغِيْبَةِ يَتُوبُ فَلَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَكُونَ صَاحِبُهُ الَّذِي يَحِلُّهُ»^(٤)، وَلَكِنْ نَرَى

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): ج ١، ص ١١٥. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٢. مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ١١٩، ح ٢٢. وأنظر المصادر التالية: عوالي اللئالي: ج ١، ص ٢٧٦. مسند أحمد: ج ٣، ص ٢٢٤. سنن أبي داود: ج ٢، ص ٤٥١، ح ٤٨٧٨. كتاب الصمت وآداب اللسان: ص ١٠٤، ح ١٦٥. المعجم الأوسط: ج ١، ص ٧، والحديث مشهور في كتب الجمهور، وفي بعضها اختلاف يسير.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٨٢، ح ١٣. بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٣٣٤.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٢٧٨، ح ٩. مشكاة الأنوار: ص ٣٠٣ مع تقديم وتأخير. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): ج ٢، ص ١٦٤. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٨٧. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٤٨، ح ١٣ عن الأمالي، وج ٧٤، ص ٣٨٣، ح ٩ عن الأمالي أيضاً. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦.

(٤) الخصال: ص ٦٣، ح ٩٠. علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٥٧، ح ١. الاختصاص: ص ٢٢٦، منية المريد: ص ٣٢٧. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٩٣، ح ٦٨. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٤٢ عن الخصال والعلل. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٨٤، ح ١٨ عن العلل.

الكثير من الناس مَنْ يتساهل فيها، ويشنّع على الزاني، بل على الناظر للأجنبية - وإن كانا محرّمين - أكثر ممّا يفعلُه المعتاب نفسه، وكلّ ظنّه بأنّه لم يقل شيئاً إلا حقيقة.

فكثيراً ما نسمع من الناس أنّهم يذكرون أشخاصاً ويغتابونهم، وعندما يقال لهم: بأنّ هذا الكلام غيبة تراهم يحيونك على الفور: بأنّها حقائق! ظانّين بأنّ الغيبة لا تتناول الحقائق، وهذا عجيب جدّاً؛ إذ الغيبة ليس موردها إلا الحقائق، فعندما يقول شخص عن آخر: بأنّه بخيل، أو أنّه كذاب، أو غير ذلك، وكانت هذه الصفات موجودة فيه بالفعل فهذه هي الغيبة، وأمّا إذا لم تكن موجودة فهذا هو البهتان.

ومن هنا روى يحيى الأزرق، قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «مَنْ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ خَلْفِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِمَّا عَرَفَهُ النَّاسُ لَمْ يَغْتَبِهِ، وَمَنْ ذَكَرَهُ مِنْ خَلْفِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ اعْتَابَهُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَهُ»^(١).

والغيبة محرّمة بالإجماع بين المسلمين، بل تُعدّ حرمتها من ضروريات الفقه الإسلامي، وإنّها من المعاصي الكبيرة والموبقات المهلكة، ولشدّة حرمتها لا تتحقّق التوبة منها حتّى يغفرها صاحبها الذي أُغْتِيب، وهذا ما ورد في الرواية الشريفة المتقدمة التي بيّنت أنّها أشدّ من الزنا.

قال العلامة المجلسي رحمته الله: «وتحريم الغيبة في الجملة إجماعي، بل هو كبيرة موبقة؛ للتصريح بالتوعّد عليها بالخصوص في الكتاب والسنة، وقد نصّ الله على ذمّها في كتابه، وشبّه صاحبها بآكل لحم الميتة...»^(٢).

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٥٨، ح ٦. التفسير الصافي: ج ٥، ص ٥٣، وح ٦، ص ٥٢٣. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٩٤، ح ٧١. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٨٩، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٤٥، ح ٦ عن الكافي.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٢.

حقيقة الغيبة في عالم الغيب

إنّ لأعمالنا - واجبة أو محرّمة - صوراً وراء الصور التي نراها نحن، وقد أشار القرآن الكريم في عدّة مواضع إلى هذه الحقيقة.

فمثلاً عبّر عن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً بأنّهم يأكلون ناراً، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١). وعن الذين يتعاملون بالربا أنّهم لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، حيث يقول جلّت قدرته: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٢)، إلى غير ذلك. وما هو شاهد كلامنا الغيبة، فقد عبّر عنها البارئ عزّ وجلّ بأنّها أكل الإنسان للحم أخيه الميت.

فهذه صور غيبية وراء صورتها الظاهرية، وقد ذكرت الرويات الشريفة صوراً بشعة متعددة، تصف فيها الغيبة تختلف باختلاف الحثيات.

ومن هذه الصور:

١ - تشبيه مرتكب الغيبة بأكل لحوم إخوانه الموتى، وقد دلّت على هذه الصورة الآية المباركة، حيث قالت: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(٣).

٢ - إنّ مرتكب هذه الجريمة الموبقة تفوح منه رائحة أنتن من رائحة الجيفة، وقد دلّ على ذلك الحديث المتقدّم المروي عن النبي الأكرم ﷺ القائل: «مَنْ اغْتَابَ

(١) النساء: آية ١٠.

(٢) البقرة: آية ٢٧٥.

(٣) الحجرات: آية ١٣.

امرئاً مسلماً بطل صومه، ونقض وضوءه، وجاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة، يتأذى به أهل الموقف، وإن مات قبل أن يتوب مات مُستحلاً لما حرّم الله ﷻ». ^(١)

٣- إن الغيبة هي بنفسها إدام كلاب النار، يعني أن لها صورة أخرى في عالم الغيب تتمثل بها، وهي طعام الكلاب الموجودة في النار، كما جاء ذلك في الحديث المتقدم عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: «اجتنب الغيبة؛ فإنها إدام كلاب النار...». ويمكن تصور وجوهاً أخرى بمتابعة النصوص والآثار، تركنا ذلك للاختصار.

المفاسد المترتبة على الغيبة

قال ثاني الشهيدین عليه السلام: «واعلم أنّ السبب الموجب للتشديد في أمر الغيبة، وجعلها أعظم من كثير من المعاصي الكبيرة، هو اشتغالها على المفاسد الكلية المنافية لغرض الحكيم سبحانه، بخلاف باقي المعاصي؛ فإنها مستلزمة لمفاسد جزئية.

بيان ذلك: أنّ المقاصد المهمة للشارع اجتماع النفوس على همٍّ واحدٍ وطريقةٍ واحدةٍ، وهي سلوك سبيل الله بسائر وجوده الأوامر والنواهي، ولا يتم ذلك إلا بالتعاون والتعاقد بين أبناء النوع الإنساني، وذلك يتوقف على اجتماع همّهم، وتصافي بواطنهم، واجتماعهم على الألفة بالمحبة، حتى يكونوا بمنزلة عبدٍ واحدٍ في طاعة مولاه، ولن يتم ذلك إلا بنفي الضغائن والأحقاد والحسد ونحوه، وكانت الغيبة من كلّ منهم لأخيه مثيرة لضعفه، ومستدعية منه بمثلها في حقّه، لاجرم كانت ضد المقصود الكلي للشارع، وكانت مفسدة كلية؛ فلذلك أكثر الله ورسوله من النهي عنها، والوعيد عليها» ^(٢).

علاج الغيبة

إنّ هذه الرذيلة - وكما ذكرنا - من أبشع الرذائل والمعاصي، ولا بدّ للإنسان من

(١) كشف الريبة: ص ٢٨٩، المطبوع ضمن رسائل الشهيد الثاني عليه السلام.

علاجها قبل ارتحاله من هذا العالم إلى عالم الآخرة الذي لا عمل فيه، وإنّما حساب فحسب، ويقف المرتكب لها في محضر الأنبياء والمرسلين، والأوصياء المنتجبين، والملائكة المقرّبين، نادماً على ما ارتكبه في دار الدنيا، ولات حين مناص، وخسر هنالك المبطلون.

وقد ذكر أهل الأخلاق أنّ هذه الرذيلة وأمثالها يمكن علاجها عن طريق العلم النافع والعمل.

«أما العلم النافع: فهو أن يفكّر الإنسان في الآثار النافعة التي تترتب على معالجة هذه الموبقة، ويقارنها مع المضاعفات السيئة، والآثار الشنيعة التي تترتب على الغيبة، ثمّ يعرض كلا الأمرين على العقل، ويستهديه لما فيه الحسن والخير والصالح.

وأما من الناحية العملية: فلا بدّ من كفّ النفس عن هذه المعصية بعض الوقت مهما كان صعباً، ولجم اللسان، والمراقبة الكاملة للنفس، ومعاودة النفس بعدم اقتراف هذه الخطيئة، ومراقبتها والحفاظ عليها ومحاسبتها، حيث يمكن أن يتمّ إصلاح النفس بعد مضي فترة قصيرة بمشيئة الله تعالى، وتستأصل مادة الفساد، ويسهل عليك الأمر قليلاً قليلاً، وبعد فترة تحسّ بأنك تنفر منها بحسب طبيعتك، وتنزجر عنها، ثمّ تكون راحة النفس ومتعتها في ترك هذه المعصية»^(١).

ولو تدبّر الإنسان في بشاعة الغيبة من خلال الآيات والروايات المتقدّمة وصورتها الغيبية، لكان ذلك رادعاً حقيقياً له، بل لكلّ إنسان عاقل.

ويكفيه أن يتدبّر في هذا الخبر، وهو ما روي عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «ما النارُ في اليبسِ بأسرعٍ مِنَ الغيبةِ في حسناتِ العبدِ»^(٢)، وقوله ﷺ أيضاً: «يؤتى بأحدٍ يومَ القيامة، يُوقف بين يدي الربِّ ﷻ ويدفع إليه كتابه، فلا يرى حسناته فيه، فيقول: إلهي، ليس هذا

(١) أنظر: الأربعون حديثاً (الإمام الخميني ﷺ): ص ٢٩٠-٢٩٢.

(٢) كشف الرية: ص ٢٩٧، المطبوع ضمن رسائل الشهيد الثاني ﷺ. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٩. كشف الخفاء: ج ٢، ص ١٩٤، ح ٢٢٥١.

كتابي، فإنّي لا أرى فيه حسناتي! فيقال له: إنّ ربّك لا يضلُّ ولا ينسى، ذهب عملك باغتيال الناس، ثمّ يؤتّى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: إلهي، ما هذا كتابي، فإنّي ما عملت هذه الطاعات، فيقول له: إنّ فلاناً اغتابك فدُفعت حسناته إليك^(١).

وحكي عن بعض العلماء: أنّ أحداً اغتابه، فسمع بذلك، فجاءه ومعه طبق من الحلوى، وطرق بابه، وقدمها له: فتعجّب ذلك الرجل، وقال: ما المناسبة؟ فقال هذا العالم: لقد وهبت إليّ أعزّ ما عندك؟، وهي حسناتك، فأحببت أن أردّ جميلك هذا بهذا الطبق من الحلوى، فلقد ذهبت حسناتك من سجلّ أعمالك إلى سجلّ أعمالي باغتيالك إياي^(٢).

وقد جاء في الروايات الشريفة: «إنّ الغيبة تأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب»^(٣).

فلو تدبّرنا في هذه الأخبار وغيرها التي تكشف القناع عن وجه هذه الموبقة العظيمة، وأنها تذهب بأهمّ شيء عنده وهي حسناته، لكفانا رادعاً عنها. وكلّ ما ذكرناه من حرمة الغيبة، وأنها من الموبقات، وبشاعة صورتها الغيبة، جارٍ في الاستماع للغيبة.

فالمستمع كالفاعل لها بلا فرق من الناحية الشرعية، بل ورد في بعض الروايات أنّ المستمع مثل المغتاب في كلّ الأمور، حتّى في وجوب التسامح من الذي أُغتيب، وأنّ الاستماع من الكبائر.

(١) معارج اليقين في أصول الدين: ص ٤١٢، ح ١٠، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥٩ ضمن حديث ٥٣. مستدرك الوسائل: ج ٩، ص ١٢١، ح ٣٠.

(٢) من المسموعات في مجالس الوعظ عن الأكابر من أعلام الطائفة الحقة (قدس الله أسرارهم).

(٣) الرسائل العشر (الشيخ الطوسي عليه السلام): ص ٣٢٥. مستدرك الوسائل: ج ٩، ص ١٢٤، ح ٤٢.

فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «السامع للغيبة أحد المغتابين»^(١)، وقد علّق العلامة المجلسي رحمته الله على هذا الكلام بقوله: «ومراد عليه السلام: السامع على قصد الرضا والإيثار لا على وجه الاتفاق، أو مع القدرة على الإنكار ولم يفعل، ووجه كون المستمع والسامع على ذلك الوجه مغتابين مشاركتها للمغتاب في الرضا، وتكيّف ذهنهما بالتصورات المذمومة التي لا ينبغي، وإن اختلفا في أنّ أحدهما قاتل، والآخر قابل، لكن كلّ واحد منهما صاحب آلة، أمّا أحدهما فذو لسان يعبر عن نفسه قد تنجّست بتصور الكذب والحرام والعزم عليه، وأمّا الآخر فذو سمع تقبل عنه النفس تلك الآثار عن إيثار وسوء اختيار، فتألّفها وتعتادها، فتمكن من جوهرها سموم عقارب الباطل، ومن ذلك قيل: السامع شريك القاتل، وقد تقدّم في الخبر ما يدلّ عليه. فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلّا بأن ينكر بلسانه، فإن خاف، فبقلبه، وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه، ولو قال بلسانه: اسكت وهو يشتهي ذلك بقلبه، فذلك نفاق وفاحشة أخرى زائدة، لا يخرج من الإثم ما لم يكرهه بقلبه، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: مَنْ أَدَلَّ عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أدّله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق. وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ رَدَّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقّاً على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة. وقال أيضاً: مَنْ رَدَّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقّاً على الله أن يعتقه من النار»^(٢).

وروي أنّه نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى رجلٍ يغتاب رجلاً عند الحسن ابنه عليه السلام فقال:

(١) أنظر: أدب المجالسة: ص ٩٥، ح ١٩٧. شرح نهج البلاغة: ج ٩، ص ٦٥. شرح مئة كلمة لأمر المؤمنين عليه السلام: ص ١٥٦. المناقب (الخوارزمي): ص ٣٧٥. الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج ١، ص ٥٤٢، وج ٢، ص ١١٨٥. جواهر المطالب: ج ٢، ص ١٥٢، ح ٧١. عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٨٣. شرح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: ص ٣٧. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٦.

«يا بُني، نَزّه سمعك عن مثل هذا؛ فَإِنَّه نظر إلى أخبث ما في وعائه، فأفرغه في وعائك»^(١)، بل في بعض الروايات ورد الحث على وجوب ردّ الغيبة.

فعن النبي الأكرم ﷺ قال: «مَنْ رَدَّ عن أخيه غيبةً سمعها في مجلسٍ رَدَّ الله عنه ألف باب من الشرِّ في الدنيا والآخرة، فإن لم يردّ عنه (وأعجبه) كان عليه كوز من اغتاب»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «مَنْ أُغْتِيبَ عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه، نصره الله في الدنيا والآخرة، ومَنْ لم ينصره ولم يدفع عنه، وهو يقدر على نصرته وعونه، خفضه الله في الدنيا والآخرة»^(٣).

كفارة الغيبة

وإذا تورّطنا - لا سمح الله - بهذه الموبقة العظيمة، والجريرة الكبيرة، لزم علينا المبادرة إلى إصلاح ما أفسدناه، والندم والتوبة فوراً، والتأسّف على ما جئنا به.

وقد ذكر العلماء الأعلام أنّ الاستغفار بوحده غير كافٍ، بل لا بدّ من ضميّة معه، وهذه الضميّة قد أشارت إليها بعض الروايات، وقد ذكرنا بعضها، ومنها: الرواية التي جعلت الغيبة أشدّ من الزنا، المروية عن الرسول الأكرم ﷺ، حيث قال عليه السلام: «الغيبة أشدّ من الزنا. فقيل: يا رسول الله، ولمّ ذلك؟ قال: صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يحلّه»، وهذه الأشدّية ناتجة عن هذه الضميّة، أعني: (حتى يكون صاحبه الذي يحلّه).

(١) الاختصاص: ص ٢٢٥. شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ٢٨١، ح ٢٣٠، ضمن الحكم المنسوبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥٩، ح ٥٤ عن الاختصاص.

(٢) ثواب الأعمال: ص ٢٨٤. مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٥. مكارم الأخلاق: ص ٤٣٠. مستطرفات السرائر: ص ٦٢٤. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٩٤، ح ٧٦ عن مَنْ لا يحضره الفقيه.

بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٦. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٨٢، ح ١٣.

(٣) المحاسن: ج ١، ص ١٠٣، ح ٨١. ثواب الأعمال: ص ١٤٨. مشكاة الأنوار: ص ٣٣١. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٦.

قال الشهيد الثاني رحمته الله: «وقد ورد في كفارتها حديثان: أحدهما: قوله صلى الله عليه وآله: كفارة من استغثته أن تستغفر له. والثاني: قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِي عَرْضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَسْتَحْلِلْهَا مِنْهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَيْسَ هُنَاكَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ يَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَيَزِيدُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ طَرِيقُ الْجَمْعِ حَمْلُ الْاسْتِغْفَارِ لَهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَبْلُغْ عِيَةَ الْمَغْتَابِ، فَيَنْبَغِي الْاِقْتِصَارُ عَلَى الدُّعَاءِ لَهُ وَالْاسْتِغْفَارِ؛ لِأَنَّ فِي مُحَالَّتِهِ إِثَارَةً لِلْفِتْنَةِ وَجَلْبًا لِلضَّغَائِنِ، وَفِي حُكْمٍ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، بِمَوْتٍ أَوْ غِييَةٍ، وَحَمْلُ الْمُحَالَّةِ عَلَى مَنْ يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ إِلَيْهِ مَعَ بُلُوغِهِ الْغِيَةِ. وَيَسْتَحِبُّ لِلْمُعْتَذِرِ إِلَيْهِ قَبُولُ الْعُذْرِ وَالْمُحَالَّةِ اسْتِحْبَابًا مُؤَكَّدًا...»^(١).

وقد ضرب أهل البيت عليهم السلام أروع الأمثلة في قبول العذر والصفح حتى عن أعدى أعدائهم، لكن تعال سلني هل عرف أعداؤهم هذا المعنى الجميل، واللفظ الجليل؟! لا والله، بل قابلوا الإحسان بالإساءة، الله أكبر!

وعليك خزي يا أُميَّةُ دائماً	يبقى كما في النار دام بقاءك
هلا صفحت عن الحسين ورهطه	صفح الوصي أيه عن أبائك؟
وعففت يوم الطف عفة جدّه	المبعوث يوم الفتح عن طلقاءك؟
أفهل يدٌ سلبت إماءك مثلما	سلبت كريات الحسين يداك؟
أم هل برزن بفتح مكة حُسرّاً	كنسائه يوم الطفوف نساك؟ ^(٢) .

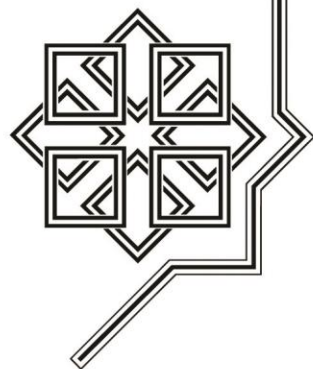
(١) كشف الريبة: ص ٣٢١، المطبوع ضمن رسائل الشهيد الثاني رحمته الله، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٤٣.

(٢) الغدير: ج ٦، ص ٣٨١. والأبيات من قصيدة رائعة للشيخ علي الشفهي رحمته الله.

الحاضرة التاسعة عشرة



صُنُوفُ الْمَوَاعِظِ



قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

إنَّ الله ﷻ بعث رسوله المصطفى مُحَمَّدًا ﷺ بهذا الكتاب الكريم إلى الناس كافة؛ لأجل هدايتهم وتذكيرهم بالمخزون الفطري الذي أودعه الله تبارك وتعالى فيهم، وهذا القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم^(٢)، جاءنا بأوامر ونواهي فيها كمالنا ورقيننا، وهناك من الآيات الشريفة ما اشتمل على أكثر من أمر ونهي، ولو سألنا سائل عن أوامر الله ونواهيها ما هي؟ وأراد منا جواباً مختصراً ومفيداً، لكان الجواب هذه الآية المباركة؛ لأنَّ هذه الآية جمعت بين صنفوف المواعظ، وروائع الحكم وغرورها، فجاءتنا بستّ مواعظ^(٣)، أمرتنا بثلاث منها، ونهتتنا عن ثلاث أخرى.

أشمل آيات الخير والشر هذه الآية المباركة

إنَّ محتوى هذه الآية المباركة له من قوّة التأثير ما جعل كثيراً من الناس يصبحون مسلمين على بينة من أمرهم، وها هو عثمان بن مظعون رضي الله عنه أحد أصحاب رسول الله ﷺ قال: «كنت أسلمت استحياءً من رسول الله ﷺ؛ لكثرة ما كان يعرض عليّ الإسلام، ولما يقرّ الإسلام في قلبي، فكنت ذات يوم عنده، حال تأمل، فشخص بصره نحو السماء، كأنه يستفهم شيئاً، فلما سري عنه، سألتُه عن حاله، فقال: نعم بينا أنا أحدثك، إذ رأيتُ جبرائيلَ في الهواء، فأتاني بهذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ﴾. وقرأها عليّ إلى

(١) النحل: آية ٩٠.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء: آية ٩.

(٣) بناءً على شمول لفظ الموعظة للثلاثة التي نهتتنا عنها الآية الشريفة، كما هو صريحها، حيث قالت: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

آخرها. فقرّر الإسلام في قلبي. وأتيتُ عمّه أبا طالب فأخبرته، فقال: يا آلَ قُريش، اتّبعوا مُحَمَّدًا ﷺ ترشدوا، فإنّه لا يأمركم إلّا بمكارم الأخلاق. وأتيت الوليد بن المغيرة، وقرأت عليه هذه الآية، فقال: إن كان مُحَمَّدٌ قاله فنعم ما قال، وإن قاله ربّه فنعم ما قال^(١).
وروي عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «جماعُ التقوى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾»^(٢).

فهذه الآية هي أكمل برنامج للفرد والمجتمع بصورة عامّة
فتقول في الموعظة الأولى من مواعظها الست: (إنّ الله يأمر بالعدل).

فما هو العدل؟

العدل: هو القانون الذي تدور حول محوره جميع أنظمة الوجود، حتى السماوات والأرض، فهي قائمة على أساس العدل، وهو ضد الجور، والاعتدال هو التوسط^(٣).

أقسام العدل

للعدل عدّة أقسام، ولكن كتقسيمٍ أولي فهو ينقسم إلى قسمين:
العدل العام: وهو عدل الحكّام والملوك والأمراء.
والعدل الخاص: وهو العدل بين أفراد العائلة، وبين الزوجات وبين الأبناء.
وينقسم من جهة أخرى ولحاظ آخر إلى العدل في الفعل، والعدل في القول.

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٦، ص ١٩٢. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٧٨، ح ١٩٥. وأنظر: تفسير النسفي: ج ٢، ص ٢٦٨.

(٢) مشكاة الأنوار: ص ٩٥. تفسير مجمع البيان: ج ١، ص ٨٢. روضة الواعظين: ص ٤٣٧. التفسير الأصفي: ج ١، ص ٦٦٠. التفسير الصافي: ج ٣، ص ١٥٢. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٧٨، ح ١٩٧. تفسير الثعلبي: ج ١، ص ١٤٢. تفسير البغوي: ج ١، ص ٤٥. تفسير أبي السعود: ج ١، ص ٢٨. مستدرک الوسائل: ج ١١، ص ٢٦٦، ح ١٤.

(٣) أنظر: تفسير الأمثل: ج ٨، ص ٢٩٩.

فأما العدل في القول، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾^(١)، فحينما يريد الإنسان التدخل في مسألة نزاعية لا بدّ عليه من القول بالعدل.

وهكذا إذا أراد أن يفعل فعلاً من الأفعال كالإنفاق كان عليه ذلك، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٢).

ولحسن حظ العدل أنّ الكل يدّعيه؛ فأنت لا ترى حاكماً من الحكّام، أو سلطاناً من السلاطين يُريد أن يصل إلى هدفه ومبتغاه إلاّ وقدّم لذلك شعار العدل؛ ليكون مطيّة للوصول إلى أغراضه الخسيسة أو الشريفة.

وهذا المفهوم من المفاهيم الواسعة والشاملة لجميع مرافق الحياة. فالعدل في الشجاعة الحدّ الوسط بين الجبن والتهور، والعدل في الإنفاق الحدّ الوسط بين الإسراف والتقتير، وهكذا يمكن القول بأنّه محور الحياة وواقعها. ثمّ قالت: (والإحسان) يعني يأمر بالإحسان، فالكلمة معطوفة على العدل، كما هو واضح.

ما هو الإحسان؟

الإحسان هو مرتبة عالية، وخلق رفيع يأمرنا به البارئ عزّ وجلّ، فهو تفضّل؛ ولذا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «العدل الإنصاف، والإحسان التفضّل»^(٣). وهو اسم جامع لكلّ معاني الخير.

وسيرة الأئمة عليهم السلام حافلة بذلك من العفو عمّن ظلمهم، والرحمة لمنّ عاдам، وقضاء حوائج المحتاجين، إلى غير ذلك.

(١) الأنعام: آية ١٥٢.

(٢) الفرقان: آية ٦٧.

(٣) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٥١، ح ٢٣١. تفسير القرطبي: ج ١٠، ص ١٦٥. التفسير الصافي: ج ٣، ص ١٥١، بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٩، ح ٢١ عن النهج.

ومن قصص الإحسان مارواه القندوزي، عن أبي الفرج ابن الجوزي في كتابه الملتقط حيث قال: «كان ببلخ^(١) رجل من العلويين وله زوجة وبنات، فتوفي الرجل، فخرجت المرأة بالبنات إلى سَمَرْقَنْد^(٢) خوفاً من الأعداء، فأدخلت البنات مسجداً في شدة البرد، فمضت في سكك البلد، فرأت الناس مجتمعين على شيخ هو شيخ البلد، فقالت له حالها. فقال لها الشيخ: أقيمي عندنا البينة أنك علوية، فيست منه، وعادت إلى المسجد فرأت شيخاً على دكان وحوله جماعة، وهو مجوسي، فشرحت حالها له فقال لخادمه: قل لسيدتك: إذهبي مع هذه المرأة إلى المسجد الفلاني واحلمي بناتها إلى الدار. فجاءت بالبنات فاسكنهن في دار مفرد، وكساهن ثياباً نفيسة، وأطعمهن أطعمةً لطيفة. فلما كان نصف الليل رأى شيخ البلد المسلم في منامه قصرًا من الزمرد الأخضر، فقال: لمن هذا القصر؟ فقليل: لرجل مسلم. فقال: يا رسول الله أنا رجلٌ مسلم. فقال له: أقم البينة عندي أنك مسلم، ونسيت ما قلت للعلوية؟! وهذا القصر للشيخ الذي هي في داره. فانتبه الرجل (وهو) يبكي فأخبر أنها في دار المجوسي، فجاء إليه قال: إنّي أريد أن أضيفها. قال المجوسي: ما إلى هذا سبيل. قال: هذه ألف دينار خذها وتسلمهن إلي. فقال: لا والله، ولا بمائة ألف. فلما ألح عليه قال له: المنام الذي رأيته، أنا أيضاً رأيته، وذلك القصر خلق لي، والله ما أحدٌ في داري إلّا وقد أسلموا معي ببركات العلوية، ورأيت النبي ﷺ فقال لي: القصر لك ولأهلك لما فعلت بالعلوية من الاحترام»^(٣).

(١) في معجم البلدان (ج ١، ص ٤٧٩): «بلخ مدينة مشهورة بخراسان... من أجلّ مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة، تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم. وقيل: إنّ أول من بناها هراسف الملك لما خرّب صاحبه بخت نصر بيت المقدس. وقيل: بل الإسكندر بناها، وكانت تسمى الإسكندرية قديماً، بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخاً».

(٢) في معجم البلدان (ج ٣، ص ٢٤٨): «سَمَرْقَنْد: بفتح أوله وثانيه، ويقال لها بالعربية سمران: بلد معروف مشهور، قيل: إنّه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبه الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه».

(٣) ينابيع المودة: ج ٣، ص ١٧٧.

هذا كله بالنسبة إلى الموعدة الثانية التي أمرتنا بها الآية المباركة.
ثم قالت الآية: ﴿وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾.

ما هو الإيتاء لذى القربى؟

إنّ مسألة إيتاء ذي القربى من المسائل التي تدرج تحت مفهوم الإحسان؛ لأنّ من ضمن مصاديق الإحسان هو مساعدة وإيتاء ذي القربى، سواء كان إيتاء على صعيد المال أم غيره.

ولكن الفرق الواضح بين الإحسان والإيتاء هو أنّ الأوّل عام، ويشمل جميع طبقات المجتمع، بخلاف الثاني فهو مخصوص بفئة معينة، وهم ذو القربى، وبلحاظ أنّ المجتمع يتألف من مجموعات صغيرة، فكلّما حصل انسجام واندماج على مستوى هذه المجموعات سوف يحصل اندماج على مستوى المجتمع الأُمّ؛ لأنّ ذلك يستلزم من كلّ مجموعة صغيرة أن تمدّد يد العون إلى المجموعة الأخرى من أقربائها، ممّا يؤدّي أخيراً إلى شمول العون لجميع الضعفاء والمعوزين.

وقد وردت بعض الروايات تُبيّن أنّ المقصود بذى القربى هم أهل بيت النبي ﷺ، وذريّته من الأئمة عليهم السلام، والمقصود بـ(إيتاء ذي القربى) هو أداء الخمس إليهم عليهم السلام^(١). ولكن مع هذا يمكن التمسك بالإطلاق الموجود في الآية لكلّ قرابة، ويحمل ما في الرواية على أظهر المصاديق، وهم أهل البيت عليهم السلام وذريّتهم الأطهار.

وبعدما ذكرت الآية المواعظ التي أمرتنا بها، وهي: (العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى)، انتقلت إلى المواعظ التي نهتتنا عنها، أو قل: الأصول السلبية الثلاث، وهي: (الفحشاء والمنكر والبغى)، فقالت: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾.

(١) أنظر: تفسير الأمل: ج ٨، ص ٢٩٩.

وقد ذكر المُفسّرون كلاماً كثيراً حول هذه المصطلحات الثلاث، ويمكن تلخيص ذلك بما يلي:

إنَّ الفحشاء إشارة الى الذنوب الخفية، والمنكر إشارة إلى الذنوب العلنية، والبغي إشارة إلى كلّ ما يتجاوز على حقوق الإنسان، وظلم الآخرين، والاستعلاء عليهم^(١).

ومن هنا قال البعض: «وأما الثلاثة التي نهى الله عنها، وهي الفحشاء والمنكر والبغي فنقول: إنَّه تعالى أودع في النفس البشرية قوى أربعة، وهي الشهوانية البهيمية، والعصبية السُّبُعية، والوهمية الشيطانية، والعقلية الملكية، وهذه القوّة الرابعة أعني: العقلية الملكية لا يحتاج الإنسان إلى تأديبها وتهذيبها؛ لأنّها من جواهر الملائكة، ومن نتائج الأرواح القدسية العلوية، إنّما المحتاج إلى التأديب والتهذيب تلك القوى الثلاثة الأولى.

أما القوّة الشهوانية، فهي إنّما ترغب في تحصيل اللذات الشهوانية، وهذا النوع مخصوص باسم الفحش، ألا ترى أنّه تعالى سمّى الزنا فاحشة، فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، فقله تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة عن إذن الشريعة، وأما القوّة الغضبية السُّبُعية فهي أبداً تسعى في إيصال الشرّ والبلاء والإيذاء إلى سائر الناس، ولا شكّ أنّ الناس ينكرون تلك الحالة، فالمنكر عبارة عن الإفراط الحاصل في آثار القوّة الغضبية.

وأما القوّة الوهمية الشيطانية فهي أبداً تسعى في الاستعلاء على الناس والترفع وإظهار الرياسة والتقدّم، وذلك هو المراد من البغي، فإنّه لا معنى للبغي إلّا التطاول على الناس والترفع عليهم، فظهر بما ذكرنا أنّ هذه الألفاظ الثلاثة منطبقة على أحوال هذه القوى الثلاثة، ومن العجائب في هذا الباب أنّ العقلاء قالوا: أحسّ هذه القوى الثلاثة هي الشهوانية، وأوسطها الغضبية، وأعلاها الوهمية. والله تعالى راعى هذا الترتيب، فبدأ

(١) أنظر: المصدر السابق: ج٨، ص ٣٠٢-٣٠٣.

بالفحشاء التي هي نتيجة القوة الشهوانية، ثم بالمنكر الذي هو نتيجة القوة الغضبية، ثم بالبغي الذي هو نتيجة القوة الوهمية»^(١).

وفي آخر الآية المباركة يأتي التأكيد مجدداً على أهمية هذه الأصول الستة: بقوله تعالى ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وبالفعل فإن إحياء هذه الأصول الثلاثة: (العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى)، ومكافحة الانحرافات الثلاث: (الفحشاء والمنكر والبغي) على صعيد العالم كفيل بأن يجعل الدنيا عامرة بالخير، وهادئة من كل اضطراب، وخالية من أي سوء وفساد، وعلى العكس تماماً ما لو ترك العمل بهذه المواعظ الست؛ فإن الدنيا سوف تكون خربة، ومملوءة بالشّر، ومضطربة أشد الاضطراب، ومنغمسة بالسوء والفساد، وذلك واضح ويّين بين الفترة التي تسلّم فيها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام زمام الحكم، وبين الفترة التي ملك بها آل مروان، وبنو أمية، وآل أبي سفيان، وبنو العباس، حتى أنهم جزّروا آل نبيهم وأهل بيته الأطهار عليه السلام وشتتوهم.

بعض بطيئة مدفون وبعضهم
وأرض طوس وسامراء وقد ضمنت
بكر بلاء وبعض الغرين
بغداد بدارين حلاً وسط قبرين^(٢).

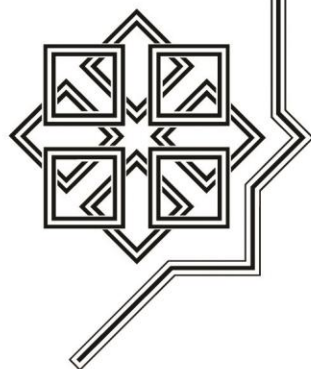
(١) التفسير الكبير (تفسير الرازي): ج ٢٠، ص ١٠٤.

(٢) البيتان من قصيدة رائعة لابن حماد العبدي عليه السلام من أعلام القرن الرابع الهجري. أنظر: الغدير: ج ٤، ص ١٥٣-١٦٣.

المحاضرة رقم



الحجَّات وأيامها



قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾^(١).

تناولت هاتان الآيتان مفهوماً لطالما تناول به أعداؤنا علينا؛ ليشنعوا ويهرجوا هنا وهناك لا لشيء، إلا لأن هذا الموضوع لا ينسجم مع مبتنياتهم الفكرية، وأخلاقهم المنحطّة، وأوصافهم الرذيلة التي ترفع عنها حتى بعض الحيوانات، فضلاً عن بني البشر، وهذا المفهوم والموضوع هو الحجاب.

ما هو الحجاب؟

«كُلُّ شَيْءٍ مَنَعٌ شَيْئاً مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ حَجَبَهُ حِجَاباً»^(٢) و «الحجاب: الستر»^(٣).
وأما اصطلاحاً: فهو أن تستر المرأة جميعَ بدنِها، وأمّا الوجه والكفان فيجب سترهما إذا كانت في الوجه أو اليدين زينة، أو كان هناك ناظر ينظر إليها بلذّة أو ريبة، أو كان هناك خوف من الوقوع في الفتنة.

الحجاب في قديم الزمان

قالوا: إنّ عادة احتجاب النساء قديمة جداً، فكانت هذه العادة موجودة عند نساء

(١) النور: آية ٣٠-٣١.

(٢) كتاب العين: ج ٣، ص ٨٦.

(٣) الصحاح: ج ١، ص ١٠٧.

اليونانيين القدماء، فكُنَّ يحجبن وجوههنَّ بطرف مآزرهنَّ، أو بحجابٍ خاصٍ كان يُصنع في بعض البلاد.

وقال لاروس في كتابه دائرة المعارف: «كان نساء الرومان مغاليات في الحجاب، لدرجة أنَّ القابلة (الداية) كانت لا تخرج من دارها إلَّا مخفورة ملثّمة باعتناء زائد، وعليها رداء طويل يُلامس الكعيبين، وفوق ذلك عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها»^(١).

وأما العرب فهم من الأمم التي كانت عادة الحجاب متأصلة فيها من القدم، وهو الذي يتبادر إلى الذهن من أمة كان من رجالها مَنْ يتلثمون. ولكن يظهر أنَّ هناك من النساء الساقطات كنَّ يسفرن للرجال ويتبرجنَّ لهم، فنزلت بعض الآيات القرآنية تحثُّ على الحجاب، ومنها الآيتان اللتان افتتحنا بهما الحديث.

سبب نزول هذه الآية

جاء في سبب نزول هذه الآية المباركة رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال فيها: «استقبل شابٌّ من الأنصار امرأةً بالمدينة، وكان النساء يتقنعنَّ خلفَ آذانهنَّ، فنظر إليها وهي مقبلة، فلما جازت نظر إليها ودخل في زقاق قد سمّاه بني فلان، فجعل ينظر خلفها، واعترض وجهه عظمٌ في الحائط أو زجاجةٌ فشقَّ وجهه، فلما مضت المرأة فإذا الدماء تسيل على صدره وثوبه، فقال: والله لا تينَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله ولأخبرنه قال: فأتاه فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وآله قال له: ما هذا؟ فأخبره فبهط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٢).

(١) قرأته في مصدر ونقلته منه، ولم يحضرني الآن أي كتاب هو، وليست دائرة المعارف بين يدي.

(٢) الكافي: ج ٥، ص ٥٢١، ح ٥. التفسير الصافي: ج ٣، ص ٤٣٠. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٥٨٨، ح ٩٣. وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ١٩٢، ح ٤.

لماذا الحجاب؟

أوجب الله تبارك وتعالى الحجابَ على المرأة، كما أوجب غَضَّ النظر عليها وعلى الرجل على حدٍّ سواء، ولكن قد يسأل سائل: أنّه لماذا الحجاب، أو ليس هذا معناه تقييد للمرأة وإذلال لها؟

والجواب عن مثل هذه الأسئلة التي تطرح هنا وهناك هو: أن الله تبارك وتعالى لا يوجب شيئاً أو يحرمه إلّا وفيه مصلحة شديدة للإنسان فعلاً أو تركاً، ومصلحة الحجاب للمرأة ملموسة وواضحة؛ فإنّ المرأة في نظر الإسلام جوهرة ثمينة، ونصف المجتمع الآخر، فالشارع يهتمّ بها كثيراً، فأراد أن يحفظها من الأعين الخائنة، والقلوب المريضة، والأيدي الآثمة، كما يحافظ صاحب الكنز على كنزه، وذلك عن طريق الحجاب الإسلامي، الذي يحفظ هيبتها وماء وجهها.

أمّا المرأة التي لا يهتمّ بها الشارع ولا يعتمد عليها، فتلك المرأة السافرة التي ينظر إليها الجميع، حالها حال الثوب المعروض في واجهة المحلات، فهي أشبه شيءٍ بالحجارة الي يدوسها الجميع، لا أنها جوهرة ثمينة، وكنز ثمين، كما هو الحال في المرأة المحجبة.

والملفت للنظر أنّ الإنسان بطبيعته وفطرته السليمة لا يميل إلى المرأة الباذلة لنفسها والعارضة لها في الأسواق، وهذا الكلام ملموس ومحسوس حتّى عند فسقة الناس، فتراهم إذا أرادوا الإقتران بامرأة، تقصّوا البيوت الطاهرة العفيفة، مع أنّهم ليس لهم من العفة شيء.

فإذن الهدف من الحجاب هو حماية المرأة، وسدّ المنافذ أمام عملية استغلالها، واستدراجها نحو السقوط في مستنقع الرذيلة، وتحويلها إلى أداة لتميع المجتمع من

حولها، وبالتالي تدميره، فبذهاب عفاف المرأة تدمر الأسرة الإسلامية، وتدمر الأسرة يُدمر المجتمع وينهار، كما هو واضح في المجتمعات الأخرى.

فحوى الآيتين ومحتواهما

تقول الآية الأولى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾، ومعناه التنقيص وتقليل النظر، فالآية لم تأمر المؤمنين بأن يغمضوا عيونهم، وإنما أمرت بغضها.

وهذا التعبير الرائع جاء لينفي غلق العيون بشكل تام، بحيث لا يعرف الإنسان طريقه بمجرد مشاهدته امرأة ليست من محارمه، فالواجب عليه أن لا يدقق النظر فيها، بل أن يرمي بصره إلى الأرض أو إلى جهة أخرى، وحينئذ يصدق عليه أنه غَضَّ من بصره.

ثم قالت الآية: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾، وهذا هو الحكم الآخر الذي أشارت إليه الآية المباركة، والمقصود من الفرج العورة، وحفظه معناه تغطيته عن الأنظار، وقد جاء في الرواية الشريفة عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فِي ذِكْرِ الْفُرُوجِ فَهِيَ مِنَ الزَّانَا، إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ، فَإِنَّهَا مِنَ النَّظَرِ»^(١).

ثم تحذّر الآية أولئك الذين ينظرون بشهوة إلى النساء، ويررون عملهم هذا بأنّه غير متعمد، تحذّرهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

وتناولت الآية الثانية شرح واجبات النساء في هذا المجال، فأشارت أولاً إلى الواجبات التي تشترك فيها مع الرجال، فقالت: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ

(١) تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٠١. التفسير الأصفي: ج ٢، ص ٨٤٣. التفسير الصافي: ج ٣، ص ٤٢٩. بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٣٣، ح ٥ عن تفسير القمّي.

أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿١﴾.

وبهذا حرّم الله النظر بريية على النساء أيضاً، مثلما حرّمه على الرجال وفرض تغطية فروجهن عن أنظار الرجال والنساء، مثلما جعل ذلك واجباً على الرجال، ثم أشارت الآية إلى مسألة الحجاب في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، وقال بعض المفسرين: أنّ المقصود بالمنع في هذا المقطع هو المنع عن أدوات الزينة عندما تكون على الجسم، وبالطبع يكون الكشف عن هذه الزينة مرادفاً للكشف عن ذلك الجزء من الجسم^(١).

ولعل السبب يعود إلى أنّه بالزينة تحصل الإثارة والإفتتان المحرّم، فالشارع قطع الفتنة من رأسها؛ وذلك عن طريق المنع من إظهار الزينة، وعلى هذا الأساس فلا يحقّ للنساء الكشف عن زينتتهن المخفية، وإن كانت لا تُظهر أجسامهن، أي لا يجوز لهنّ الكشف عن لباس يتزيّن به تحت اللباس العادي أو العباءة، بنصّ القرآن الذين نهاهن عن ذلك.

وذكرت الروايات التي رويت عن أهل البيت (عليهم السلام) هذا المعنى، فقد فسّروا الزينة المخفية بالقلادة والدملج والخلخال والحلي التي تُشدّ أعلى الساعد. وقد فسّرت أحاديث عديدة أخرى الزينة الظاهرة بالخاتم، والكحل وأمثاله، لهذا نفهم بأنّ المراد من الزينة المخفية الزينة التي تحت الحجاب^(٢).

وثاني حكم ذكرته الآية هو: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ وكلمة (خُمُر) جمع خمار، وهو الغطاء، إلّا أنّه يستعمل في الشيء الذي تستخدمه النساء لتغطية الرأس، (والجيوب) جمع جيب، بمعنى ياقة القميص، وأحياناً يطلق على الجزء الذي يحيط بأعلى اللياقة المجاورة لها^(٣).

(١) أنظر: تفسير الأمثل: ج ١١، ص ٧٧.

(٢) أنظر: مستدرک الوسائل: ج ١٤، ص ٢٧٦، ح ٣.

(٣) أنظر: تفسير الأمثل: ج ١١، ص ٧٨.

ويستتج من هذه الآية أن النساء كنّ قبل نزول الآية يرمين أطراف الخمار على أكتافهن، أو خلف الرأس، بشكل يكشفن فيه عن الرقبة وجانباً من الصدر، فأمرهنّ القرآن برمي أطراف الخمار حول أعناقهن، أي: فوق ياقة القميص؛ ليسترنّ بذلك الرقبة والجزء المكشوف من الصدر.

ونحن نرى أنّ سيرة أهل البيت (عليهم السلام) - رجالاً ونساءً - كانوا أوّل الناس عملاً بهذه الآية المباركة.

فهذه الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت تفكّر حتى بنعشها، فعن أسماء بنت عميس أنّ فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت لها: «إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى»، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله، أنا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، قال: فدعت بجريدة رطبة فحنتها، ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة (عليها السلام): «ما أحسن هذا وأجمله، لا تعرف به المرأة من الرجل»^(١).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لها (عليها السلام): «أي شيء خيرٌ للمرأة؟» قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجلٌ، فضمّها إليه وقال: ذرية بعضُها من بعض»^(٢).

وهكذا كانت ابنتها الحوراء زينب (عليها السلام)، فيقول يحيى المازني: «جاورت أمير المؤمنين (عليه السلام) في المدينة المنورة مدّةً مديدةً، وبالقرب من البيت الذي تسكنه السيدة زينب

(١) كشف الغمّة: ج ٢، ص ١٢٦. ذخائر العقبى: ص ٥٣. أسد الغابة: ج ٥، ص ٥٢٤. سير أعلام النبلاء: ج ٢، ص ١٢٨-١٢٩. تاريخ الإسلام: ج ٣، ص ٤٨. السنن الكبرى: ج ٤، ص ٣٤. الذرية الطاهرة: ص ١٥٣-١٥٤، ح ٢٠٥. الإستهباب: ج ٤، ص ١٨٩٧. نصب الراية: ج ٢، ص ٢٩٨. كنز العمال: ج ١٣، ص ٦٨٦، ح ٣٧٧٥٦. سبل الهدى والرشاد: ج ١١، ص ٤٩-٥٠. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٨٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١١٩. دعائم الإسلام: ج ٢، ص ٢١٥، ح ٧٩٣. مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): ج ٢، ص ٢١٠-٢١١، ح ٦٨٠. التحفة السنية (مخطوط): ص ٢١٨. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٨٤. مجمع الزوائد: ج ٤، ص ٢٥٥. كنز العمال: ج ١٦، ص ٦٠١، ح ٤٦٠١١، ومواضع أخرى، سبل الهدى والرشاد: ج ١١، ص ٤٥.

ابنته، فلا والله، ما رأيتُ لها شخصاً، ولا سمعتُ لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها عليه السلام تخرج ليلاً، الحسنُ عن يمينها والحسينُ عن شأها، وأمير المؤمنين عليه السلام أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف، سبقها أمير المؤمنين عليه السلام، فأخذ ضوء القناديل، فسأله الإمام الحسن عليه السلام مرّة عن ذلك، فقال عليه السلام: أخشى أن ينظر أحدٌ إلى شخصٍ أُختِكَ زينب»^(١).

وروي «أنّ فاطمة الصغرى قالت: كنتُ واقفةً بباب الخيمة، وأنا أنظر إلى أبي وأصحابه مجزّين كالأضاحي على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبي من بني أميّة، أيقتلوننا أو يأسروننا؟ فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رحمة، وهن يلذن بعضهن ببعض، وقد أخذ ما عليهن من أخرة وأسورة، وهن يصحن: وا جداه، وا أبتاه وا عليّاه، وا قلة ناصراه، وا حسناه، أما من مجيرٍ يُجيرنا؟ أما من ذائدٍ يذودُ عنّا؟

قالت: فطار فؤادي وارتعدت فرائصي، فجعلت أجيل بطرفي يميناً وشمالاً على عمّتي أم كلثوم خشيةً منه أن يأتيني. فبينما أنا على هذه الحالة وإذا به قد قصدي ففررت منهزمة، وأنا أظنّ أنّي أسلم منه، وإذا به قد تبعني، فذهلت خشيةً منه، وإذا بكعب الرمح بين كتفي، فسقطت على وجهي، فخرم أذني وأخذ قرطي ومقنعتي، وترك الدماء تسيل على خدي ورأسي تصهره الشمس، وولى راجعاً إلى الخيم، وأنا مغشيٌّ عليّ، وإذا أنا بعمّتي عندي تبكي وهي تقول: قومي نمضي ما أعلم ما جرى على البنات وأخيك العليل، فقمت وقلت: يا عمّته هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظّار؟ فقالت: يا بنتاه وعمتك مثلك فرأيتُ رأسها مكشوفةً، ومتّنها قد اسودّ من الضرب، فما رجعنا إلى الخيمة إلّا وهي قد نُهبَت وما فيها، وأخي عليُّ بن الحسين مكبوبٌ على وجهه، لا يطيق الجلوس من كثرة

(١) العقيلة والفواطم: ص ١٨١٧. وفيات الأئمة: ص ٤٣٥-٤٣٦.

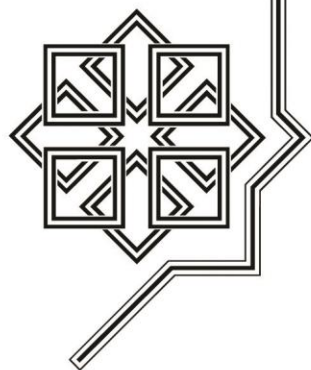
الجوع والعطش والأسقام، فجعلنا نبيكي عليه ويبيكي علينا^(١).
 ولم يكتفوا بذلك حتى اركبوهنَّ على تلك النياق الهزَل، يتصفَّح وجوههنَّ
 القريبُ والبعيدُ.
 وزادت البنْتُ على أُمِّهَا من دارها تُهدى إلى شرِّ دارٍ

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٦٠-٦١.

الحافظة العربية الحاصلة



لَيْلَةُ الْقَدِيمِ



قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * نَزَّلَ الْمَلَكُ الْوَحِيدُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿١﴾.

محتوى السورة ونزولها

محتوى السورة كما هو واضح من اسمها بيان نزول القرآن في ليلة القدر، وبيان أهمية هذه الليلة وبركاتها.

واختلف المفسرون في كونها مكية أو مدنية، فذهب المشهور إلى أنها مكية، واحتمل البعض أنها مدنية؛ مستشهداً بما روي عن النبي ﷺ بأنه رأى في منامه (بني أمية) ينزون على منبره ﷺ، فشق عليه ذلك وآله، فنزلت سورة القدر تسلياً له ﷺ.

ومن هنا قيل: «أن المقصود بالألف شهر في هذه السورة المباركة هو الإشارة إلى مدة حكم بني أمية التي تجاوزت ثمانين سنة، ومن المعلوم أن الألف شهر هي ثلاث وثمانون سنة وبعض الأشهر والأيام»^(١).

ويكفي في فضل هذه السورة المباركة، ما روي عن النبي الأكرم ﷺ من أنه قال: «مَنْ قَرَأَهَا أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «مَنْ قَرَأَ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، يَجْهَرُ بِهَا صَوْتُهُ كَانُ كَالشَّاهِرِ سَيْفُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا سِرًّا كَانَ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

(١) القدر: آية ١-٥.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٢٢، ح ٤٤. بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٧٠، ح ٥٩.

(٣) تفسير جوامع الجامع: ج ٣، ص ٨١٧. تفسير البضاوي: ج ٥، ص ٥١٤. تفسير أبي السعود: ج ٩، ص ١٨٣. الكشف: ج ٤، ص ٢٧٣. تخريج الأحاديث والآثار: ج ٤، ص ٢٥٣.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٢١، ح ٦. وسائل الشيعة: ج ٦، ص ٢٠٩، ح ١. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٣٨٣.

ومن المعلوم أنّ كلّ الفضل ليس هو نصيب القارئ لها من دون أن يدرك حقيقتها، بل المقصود هو قراءتها وإدراك معانيها، والعمل بها كما هو معلوم من هكذا روايات شريفة.

ليلة القدر ليلة نزول القرآن

يُستفاد من آيات الذكر الحكيم أنّ القرآن نزل في شهر رمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(١)، وظاهر الآية أنّ كلّ القرآن نزل في هذا الشهر. والآية الأولى من سورة القدر تقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وأنت تلاحظ أنّ (القرآن) لم يُذكر هنا صريحاً، ولكن الضمير في (أنزلناه) يعود إلى (القرآن) قطعاً، وذكرنا في محلّه أنّ الإيهام هنا لبيان عظمة القرآن^(٢)، ويؤيد هذا المعنى أنّ الباري عزّ وجلّ نسب نزول القرآن إليه، فقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾.

وبالتدبّر في سورة القدر، والآية المتقدمة من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، نستنتج هذه الحقيقة، وهي: (أنّ ليلة القدر هي إحدى ليالي شهر رمضان جزماً)؛ لأنّ هذه الحقيقة هي مقتضى الجمع بين الآية المذكورة والسورة المباركة، إلّا أنّه يبقى هناك سؤال، وهو أي ليال شهر رمضان هي؟ وهذا ما سنذكره في آخر البحث إن شاء الله تعالى.

ثمّ إنّّه من المعلوم أنّ القرآن نزل على النبيّ الأكرم ﷺ تدريجياً، وتمّ خلال ثلاث وعشرين سنة، فكيف نوفّق بين هذه الحقيقة، والحقيقة التي انتهينا إليها من أنّ نزول القرآن كان في إحدى ليال شهر رمضان؟!

(١) البقرة: آية ١٨٥.

(٢) أنظر: تفسير الأمل: ج ٢٠، ص ٣٤٣.

والجواب الذي يذكره أهل التحقيق في المقام هو: أنَّ هناك نزولين للقرآن: الأول: يُسمَّى بالنزول الدفعي، وهو نزول القرآن بأجمعه على قلب النبيِّ الخاتم ﷺ، أو على البيت المعمور، أو من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. والثاني: النزول التدريجي، وهو ما تمَّ خلال (٢٣) سنة من عصر النبوة. ومن هنا يُحمل النزول المراد بالسورة على النزول الأول لا الثاني^(١). ثمَّ إنَّ الآية الرابعة من هذه السورة المباركة ذكرت أنَّ الملائكة والروح تنزل في ليلة القدر، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو:

ما هو الروح؟ وما الذي تنزل به الملائكة والروح؟
أمَّا الروح فقد ورد في بعض الروايات أنَّ المقصود منه خلق أعظم من الملائكة، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه سُئل عن الروح، وهل هو جبرائيل؟ فقال عليه السلام «جبرئيل من الملائكة والروح أعظم من الملائكة، أليس أنَّ الله ﷻ يقول: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ﴾»^(٢).

وأمَّا الذي تنزل به الملائكة، فهو ما ذكرته هذه الآية في آخرها، حيث قالت: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرِ﴾، أي: لكلِّ تقدير وتعيين للمصائر، ولكلِّ خير وبركة، فالهدف من نزول الملائكة في هذه الليلة إذن هو لهذه الأمور.

أو بمعنى كلِّ خير وتقدير، فالملائكة تنزل في ليلة القدر ومعها كلُّ هذه الأمور، وهي الليلة التي تعيَّن فيها مقدّرات العباد لسنة كاملة، والشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٣).

(١) أنظر: المصدر السابق: ج ٢٠، ص ٣٤٤.

(٢) أنظر: المحاسن: ج ٢، ص ٣١٥ ضمن ح ٣٢. بصائر الدرجات: ص ٤٦٢-٤٨٤، ح ٤. الكافي: ج ١، ص ٣٨٧ ضمن ح ١. بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ٤، ح ٣، عن المحاسن.

(٣) الدخان: آية ٣-٤.

ومن الأمور المهمّة التي نزل بها جبرائيل عليه السلام الولاية، فعن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قال: «نزل جبرائيل في ثلاثين ألفاً من الملائكة ليلة القدر بولاية علي عليه السلام، وولاية الأوصياء من ولده صلوات الله عليهم أجمعين»^(١).

بقي علينا أن نتعرّض إلى ما وعدنا به، وهو أي ليلة من ليالي شهر رمضان هي ليلة القدر؟

لماذا خُفيت ليلة القدر؟

الاعتقاد السائد أنّ إخفاء ليلة القدر بين ليالي السنة، أو بين ليالي شهر رمضان المبارك، يعود إلى توجيه الناس إلى الاهتمام بجميع هذه الليالي، مثلما أخفى رضاه بين أنواع الطاعات؛ كي يتّجه الناس إلى جميع الطاعات، وأخفى غضبه بين المعاصي؛ كي يتجنّبها العباد جميعها، وأخفى أحباءه بين الناس؛ كي يحترم كلّ الناس، وأخفى الإجابة بين الأدعية؛ لتقرأ كلّ الأدعية، وأخفى الاسم الأعظم بين أسمائه؛ كي تعظم كلّ أسمائه، وأخفى وقت الموت؛ كي يكون الناس دائماً على استعداد^(٢).

ثم إنّ الملفت للنظر أنّ الآية تقول: (تنزل)، وفعل تنزل مضارع دالّ على الاستمرارية، فهذا التنزل من قبل الله بالملائكة والروح، لا بدّ أن يكون على ذاتٍ فيها القابلية لتحمل هذا التقدير الذي تنزل به الملائكة والروح، وهذا عامٌّ وفي كلّ زمان، ففي زمان النبي ﷺ كانت هذه الملائكة مع الروح تنزل عليه عليه السلام، وهكذا هو الحال في زمن الأئمة عليهم السلام، إلى الزمان الذي نعيشه - وهو زمان الغيبة - فالملائكة والروح تنزل على إمامنا المهدي المنتظر عليه السلام، كما أكّدت ذلك الروايات الشريفة^(٣).

(١) شرح الأخبار: ج ١، ص ٢٤٢، ح ٢٦٣.

(٢) تفسير الأمثال: ج ٢٠، ص ٣٥٠.

(٣) أنظر: تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٣١. التفسير الصافي: ج ٢، ص ١٤٦٣.

وأما المعروف المشهور من تعيين ليلة القدر في العشر الأخيرة من شهر رمضان، فقد دلت عليه جملة من الروايات، وأكدت بعضها على أنها في الليالي الفرد من هذه العشر.

فقد سئل المعصوم عليه السلام عن ليلة القدر، هل هي الليلة الواحدة والعشرون أم الثالثة والعشرون، فلم يعين، بل قال: «ما أيسر ليلتين فيما تطلب»^(١)، أو قال: «ما عليك أن تفعل خيراً في ليلتين»^(٢).

والذي عليه علماءنا في الماضي والحاضر، أن ليلة القدر هي في العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك، وأنها في الليالي الفرد منه، والأكثر منهم خصّها في الليلة التاسعة عشرة؛ باعتبارها أول ليلة فرد من العشرة الأخيرة، والواحدة والعشرين والثالثة والعشرين، ورجّحوا الليلة الثالثة والعشرين على جميع الليالي، حتى أن بعضاً من العلماء يكتفي بإحيائها على الباقيتين - التاسعة عشرة والواحدة والعشرون - والبعض منهم يحتاط في جميع الليالي الفرد الأخيرة، والبعض الآخر يحتاط في ستّ ليالي؛ لاختلاف رؤية الهلال أحياناً، فتكون ليلة فرد عند بعض العلماء هي زوج عند آخر، والكلّ حسن.

والمروي عن سيرة النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله أنه كان يطوي الفراش في العشر الأواخر من

(١) الكافي: ج ٤، ص ١٥٦، ح ٢. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٥٩، ح ٢٠٢٩. تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٥٨، ح ٤. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٩٠، ح ١٠. تفسير جوامع الجامع: ج ٣، ص ٨١٩. تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٠٧. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٢٥، ح ٥٨. وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٣٥٤-٣٥٥، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٩٤، ص ٢، ح ٤ عن الأمالي.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٥٨، ح ٣. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٨٩، ح ٩. رياض السالكين: ج ٦، ص ٣٧. وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٣٥٩، ح ١٤. بحار الأنوار: ج ٩٤، ص ٤، ضمن ح ٤ عن الأمالي.

شهر رمضان، ويعتزل النساء، ويعتكف ﷺ في المسجد^(١).

ليلة الجهنّي

ليلة الجهنّي هي الليلة الثالثة والعشرون من شهر رمضان، وسمّيت بهذا الاسم لأجل القصّة التي حدثت مع الرجل الذي اسمه عبد الله من قبيلة (جهينة).
وخلاصة القصّة: أنّ هذا الرجل كان صحابياً للنبي الأكرم ﷺ، وداره بعيدة عن المدينة، فأراد من النبي ﷺ أن يأمره بليلة يأتي فيها، فأسرّ له النبي الأكرم ﷺ أن يأتي ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك.

فتتبع الأصحاب هذا الصحابي في كلّ سنة، فوجدوه لا يأتي في الليالي العشرة الأخيرة إلّا في الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك، فسُمّيت هذه الليلة بـ «ليلة الجهنّي»^(٢)، ومن هنا اعتبرها البعض من العلماء أفضل من الليلة التاسعة عشرة والحادية والعشرين^(٣).

وأما هذه الليلة ففيها فقد أمير المؤمنين، وإمام المتقين عليه السلام، وا حزناه عليك سيّدي،
آه آه:

يومين إله المحراب خالي	بويه اشكّر وحشه الليالي
تفتّ الصخر ونّت الوالي	عسه لا كرب يومك يغالي ^(٤)

(١) أنظر: دعائم الإسلام: ج ١، ص ٢٨٢. بحار الأنوار: ج ٧، ص ٤٧٠، ح ١٥.

(٢) أنظر: مفاتيح الجنان: ص ٢٨٧.

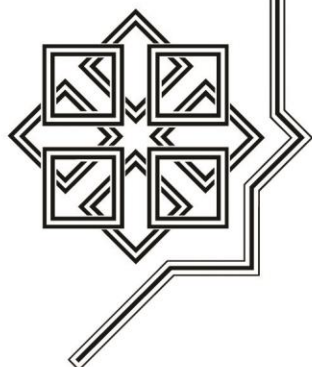
(٣) أنظر: المصدر السابق.

(٤) مجمع مصائب أهل البيت عليه السلام: ج ٤، ص ١٤٢.

الحامزة والياء في القرآن



فَضِّلْ الْقُرْآنَ



روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عليكم بالقرآن فإنه شافعٌ مُشَفَّعٌ، وماحلٌ مُصَدَّقٌ، ومَن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومَن جعله خلفه ساقه إلى النار...»^(١).

لم يكن ثمة كتابٌ عندنا - نحن المسلمين - أصدق من كتاب الله تبارك وتعالى، ولم نعرف على وجه البسيطة ولا تحت أفق السماء أصدق مضموناً ولفظاً منه؛ لأنه من الله عز وجل وحسب.

وهذا الكتاب السماوي العظيم - والذي مرّ بفترات ظلمٍ متعمّدة وغير متعمّدة - قد رسم لنا خطوط دستوره العظيم ولوائح أُسسهِ العالية، بشتّى الأساليب والطرق، فهو تارةً ينذر، وأخرى يشرّ، وثالثة يرشد، ورابعة يدعو، وهكذا...، وقد ذكر لنا ذلك عندما بيّن لنا مهمّة الرسول الأعظم ﷺ حيث يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢).

وهو اليوم كما كان بالأمس لازال غَضّاً طريّاً، ولا زالت ألحانه تفوح من شفتي رسول الله ﷺ، ولا زال السقاؤون يقفون؛ ليسمعوا تراتيل الإمام زين العابدين عليه السلام، وهو يتلو آياته^(٣).

وهو ذات القرآن، الذي كان كبار الأولياء والأوصياء، بل وحتى الأصفياء يجلسون فيذكرون غوامض أسرارهِ، ومكنون علمهِ المخزون، ومعاجزه، وأشياء أخرى، ممّا حيرت العقول، وأذهلت الألباب.

لا شكّ ولا شبهة في أنّ القرآن الكريم هو الدستور الشامل الكامل لبني البشر، الذي فيه سعادتهم وفوزهم في الدنيا والآخرة، ولكن - وللأسف الشديد - نرى هذا

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٩٩ ضمن الحديث الثاني.

(٢) الأحزاب: آية ٤٥.

(٣) أنظر: الكافي: ج ٢، ص ٦١٦، ح ١١.

القرآن العظيم وكلمات الله تبارك وتعالى ما هي إلّا إعلانات في أبواق المهوَّسين، يستعملونه في أغراضهم فيأخذون منه ما ينفعهم، ويتركون ما ينهّاهم عن الفحشاء والمنكر والبغى، مع أنّ المطلوب من جميع الناس هو التمسك به لا تلاوته فحسب، بل العمل بما جاء به القرآن، وتطبيق أوامره ونواهيه، فهذه هي الغاية القصوى والمهمّة العظمى، الموثقة من هكذا كتاب كريم، جاء به نبيّ عظيمٌ من ربّ العزّة والجلالة، وبذل الرسول الأكرم ﷺ من أجله الغالي والنفيس، فليس من المعقول جداً أن يكون كلّ هذا لأجل تلاوته فقط، أو لنيل البركة من خلال وضعه فوق الرفوف والمحافظة عليه، وإن كان ذلك فعلاً حسناً، ولكن الغاية تلاوته والتدبّر في معانيه، واللذان هما مقدّمة للعمل بأحكامه وآدابه، من أوامر ونواهي.

ومن بعد هذه المقدّمة، نأتي إلى كلمة النبيّ الأكرم ﷺ يقول فيها: «عليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع، وماحل مصدّق»، يشير الرسول الأعظم ﷺ بهذه الجملة إلى السبب الداعي إلى الاهتمام بالقرآن الكريم، والاهتداء بهديه، والاستنارة بنوره، ولم يأمرنا بالتمسك به، ويعلّل ذلك بأنّ القرآن شافعٌ ومشفّع.

أمّا الأوّل - أعني الشافع - فهو مَنْ يقف يوم القيامة، في موقف من مواقفها، ويتوسّط لمن تمسك به في الحياة الدنيا، بأن يصفح عنه ويعفو عن زلاته وسقطاته، وهذا تارة يكون قرآناً وأخرى إنساناً، فالنبيّ الأكرم ﷺ يقول: القرآن هو واحد من الشفعاء الذين يشفعون لكم، فعليكم بالتمسك به، وهو ليس شافعاً، يحتمل فيه الردّ والقبول، بل شافع مقبول الشفاعة.

فنحن نرى في حياتنا اليومية الكثير من الناس مَنْ يجعلوا لهم شفعاء في إسقاط دين، أو جمع بين زوجين أو غيرهما من الأمور، ولكن لا تقبل شفاعته ولا يعتنى به أصلاً.

أمّا القرآن الكريم فلا يخيّب مَنْ يعتنى به ويعتمد عليه، فشفاعته لأصحابه مقبولة

بالجزم واليقين، وكيف يخيب مَنْ يجعل كتاب الله تبارك وتعالى هديه ومقتداه؟! وقد قال النبي الأكرم ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً».

وهل يحتمل العاقل أن النبي ﷺ يقول: لا يضل مَنْ تمسك بالقرآن والعترتين، ومع هذا يضل، فإنه مستحيل قطعاً.

ثم يقول ﷺ: «وما حلُّ مُصَدِّق» وهذه العبارة على عكس الأولى تماماً، فالأولى: أن الذي يتمسك بالقرآن وهديه سوف يكون القرآن له شافعاً مقبول الشفاعة، أمّا في هذه الجملة فيريد النبي الأكرم ﷺ أن يقول: والذي لا يعمل بما جاء به القرآن، ولم يتبع هديه فإن القرآن سوف يسعى إلى الله تبارك وتعالى ويبث شكواه إليه تباركت أسماؤه، فكذاك تُقبل منه هذه الشكوى، كما هو الحال في قبول شفاعته.

وحيثُ سوف يكون القرآن لمن اتّبعه، وعمل وفق أوامره ونواهيه شافعاً، ولمن هجره وخالفه ساعياً إلى شكايته لله تبارك وتعالى، والله يقبل من القرآن الشفاعة والمحل، وفي حديث: «مَنْ حَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ»^(١)، فعلى الإنسان التمسك بالقرآن ما دام الحال هكذا، وأن فضل القرآن لا يعد ولا يُحصى، وهو يسمع ما يقوله البارئ عز وجل مخاطباً إياه: «وعزّي وجلالي وارتفاع مكاني، لأكرمّن اليوم مَنْ أكرمك ولأهينّن مَنْ أهانك»^(٢)، فأى فضل بعد هذا الفضل، وأيّ منزلة بعد هذه المنزلة؟!

ويكمل النبي الأكرم ﷺ حديثه الشريف في الدواعي التي دعت إلى أمره الناس بالتمسك بالقرآن، فيقول: «ومَنْ جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومَنْ جعله خلفه ساقه إلى النار».

وهذه هي الحقيقة؛ لأنّ الذي يجعل القرآن قائده وأُسوته ويتّبعه فسوف لا يثقل

(١) لم أعثر عليه في غير مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٧٦.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٦٠٢، ح ١٤. وسائل الشيعة: ج ٦، ص ١٦٩، ح ١.

عليه ما أمر به الباري عز وجل أو نهى عنه، فيأتي بما أمر به القرآن وينتهي عما نهى عنه، وبالتدبر فيه نرى ما أمر به فنعمل به، وما نهى عنه فننتهي عنه، وهذا فرع تلاوته والتبصر في معانيه.

فمثلاً قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١)، لا بد أن تكون هذه حقيقة راسخة في عقولنا وقلوبنا، ومختلطة بلحومنا ودمائنا، فإن الله تبارك وتعالى يريد منا أن تكون عبادتنا له وحده والاستعانة به عز وجل كذلك، ونحن نقرأ هذه الآية كل يوم في صلواتنا من الغداة وحتى العشي، ولكن الكثير منا لم يطبق هذا المعنى، وهكذا يقول عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٢)، ويقول أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^(٣)، إلى غير ذلك من الآيات الأمرة، فيأتي بما أمرت، ويتدبر في الآيات الناهية فينتهي عنها.

فمثلاً يقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤)، فينتهي عما نهت عنه هذه الآيات الشريفة، فينتهي عن السخرية بالآخرين، وعن التنابز بالألقاب، وعن الظن غير الحسن، وعن التجسس، وعن الغيبة، وكثير من هذه الصفات الذميمة التي نهى عنها القرآن الكريم، فإذا جعل الإنسان القرآن أمامه واهتدى بهديه، فلا شك ولا ريب سوف يكون قائداً له إلى الجنة، وذلك هو الفوز العظيم.

(١) الفاتحة: آية ٥.

(٢) البقرة: آية ٢٣.

(٣) البقرة: آية ١٨٣.

(٤) الحجرات: آية ١١-١٢.

وأما إذا جعله خلفه فسوف يسوقه إلى النار.

وهناك عدة مظاهر لجعل القرآن وراء الظهر، منها: عدم التصديق بما وعد به، ومخالفة أوامره، وارتكاب نواهيه، والأخذ بالمتشابه منه وترك المحكم، والحكم بخلاف ما جاء به، وتفسيره بالرأي، وعدم الإنصات له، وعدم السؤال لأهل الذكر عند عدم العلم، فالله تبارك وتعالى نهى عن جميع ذلك بنص القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١)، وقال عز من قائل: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢)، وفي آية أخرى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣)، وفي ثالثة: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥)، وأهل الذكر هم أهل القرآن الذي نزل في بيوتهم، وهم أدرى به من غيرهم، وهؤلاء هم محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين؛ لأن الله تبارك وتعالى سمى القرآن ذكراً، حيث قال عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾^(٦) وقال تبارك وتعالى أيضاً: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمٍ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٧)، فالذكر هو القرآن، وأهله هم أهل البيت عليهم السلام، فعن زرارة «عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المعنون بذلك؟ فقال: نحن والله. فقلت: فأنتم المسؤولون؟ قال: نعم. قلت: ونحن السائلون؟ قال: نعم.

(١) الأعراف: آية ٢٠٤.

(٢) المائدة: آية ٤٤.

(٣) المائدة: آية ٤٥.

(٤) المائدة: آية ٤٧.

(٥) النحل: آية ٤٣.

(٦) النحل: آية ٤٤.

(٧) الزخرف: آية ٤٤.

قلت: فعلينا أن نسألكم؟ قال: نعم. قلت: وعليكم أن تحيونا؟ قال: لا، ذلك إلينا إن شئنا فعلنا، وإن شئنا تركنا، ثم قال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

ولكنّ القوم جهلوا القرآن وأحكامه، ومع ذلك لم يسألوا أهل الذكر، بل وجعلوا القرآن خلفهم حتّى ساقهم إلى النار، نار الدنيا ونار الآخرة، أمّا نار الدنيا فبما ابتلاهم الله تبارك وتعالى من صنوف البلايا، وأمّا نار الآخرة فهي التي أعدها لهم جبار السموات والأرضين..

وياليتهم اكتفوا بجهلهم، وعدم سؤالهم لأهل الذكر فحسب، بل الأمر تعدّى ذلك، ووصل الأمر بهم إلى مخالفة كلامهم والردّ عليهم، ووصفهم تارةً بالهجر، وأخرى بالقول من عند أنفسهم، بل الأمر تعدّى ذلك أيضاً، فقد وصل الحال بالقوم إلى تقتيلهم وتشريدهم، بل وإحراق بيوت أهل الذكر، ووصفها ببيوت الظالمين، وهي بيوت المظلومين المقهورين، وسبي نساء هذه البيوت وسوقها من دار إلى شرّ دار.

ما ذنبُ أهل البيتِ	حتى منهمُ أخلوا ربوعه
تركوهمُ شتى مصارعهمُ	وأجمعها فضيعة
فمغيّبُ كالبدرِ ترتقبُ	الورى شوقاً طلوعه
ومكابدُ للسمِّ قد سُقيتِ	حشاشته نقيعه
ومضرجُ بالسيفِ أثرَ	عزّه وأبى خضوعه
ألفى بمشرعة الردى	فخراً على ظمأ شروعه
فلقى كما اشتتت الحمية	تشكر الهيجا صنيعه
ومصقّدٌ لله سلّم	أمر ما قاسى جميعه

(١) تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٨، عنه بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١٧٤، ح ٣.

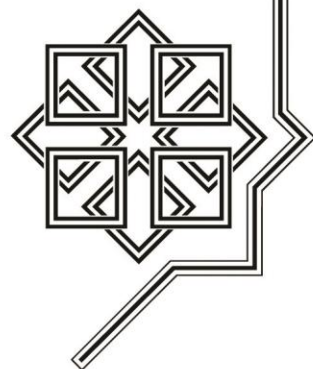
الله كفاً مسـطـيـعه	فلقسره لم تلقَ لولا
المهم مهجتها لسيعه	وسبيّة باتت بأفعى
مد عزّها الغرّ البديعة	سُليت وما سُليت محـا
تطيح أعمدها الرفيعة	فلتغد أخبيرة الخدور
الشريفة كالوضيعة	ولتبد حاسرة عن الوجه
القدر آمنة منيعه	فأرى كريمة من يواري
أُميّة برزت مروعه	وكرائم التنزيل بين
كفاة دعوتها صريعه	تدعو ومَن تدعو وتلك
عادت أنوفكم جديعه	واهـا عرائن العلى
القـوم بالعيس الضليعه	ما هزّ أضلعكم حداء
مَن ليس يعرف ما الوديعة ^(١)	حملت ودائعكم إلى

(١) الأبيات من قصيدة رائعة للشاعر الكبير المرحوم السيد حيدر الحلي^{رحمته الله}، ديوان السيد حيدر الحلي:

الحاضرة المعرفتنا البتراء



البراءة والحلم
والملازمة



قال رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «يا أبا ذر، مَنْ لم يَأْتِ يومَ القيامةِ بثلاث فقد خسر، قلتُ: وما الثلاث فذاك أبي وأمي؟ قال: ورعٌ يحجزه عما حَرَّمَ الله ﷻ عليه، وحلمٌ يردُّ به جهل السفية، وخُلُقٌ يداري به الناس»^(١).

هذا مقطع من الوصية المعروفة التي أوصى بها النبي الأكرم ﷺ الصحابي الجليل أبا ذر رضي الله عنه.

يذكر الرسول الأكرم ﷺ في هذا المقطع ثلاث أشياء، إذا لم يَأْتِ الإنسان بها يوم القيامة فهو من الخاسرين، والأشياء الثلاث هي: الورع والحلم والخُلُق الذي يداري به الناس، وستتعرض لهذه الأشياء الثلاثة تباعاً، إن شاء الله تعالى.

ما هو الورع

الورع في الأصل - كما ذكره أهل اللغة - هو الكفّ عن المحارم والتحرّج منها^(٢)، وفي الحديث: «قال الله ﷻ: ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك، تكن من أورع الناس»^(٣)، وفي آخر «صونوا دينكم بالورع»^(٤)، وفي حديث ثالث: «ملاك الدين الورع»^(٥). وقد فرّق بعضُ الأعلام بين التقوى والورع بأنّ التقوى هي ترك المحرّمات،

(١) مكارم الأخلاق: ص ٤٦٨، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٩٩، بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٨٧ ضمن حديث ٤ عن مكارم الأخلاق.

(٢) أنظر: كتاب العين: ج ٢، ص ٢٤٢. الصحاح: ج ٣، ص ١٢٩٧.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٧٧، ح ٧. تحف العقول: ج ٢٩٦. مشكاة الأنوار: ص ٩٤. الجواهر السنية: ص ٣٢٦. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٤٥، ح ٩.

(٤) ثواب الأعمال: ص ٢٤٦، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٧١، ح ١٥.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٨٦. تحف العقول: ص ٥١٣. مكارم الأخلاق: ص ٤٦٨. النهاية في

غريب الحديث: ج ٤، ص ٣٥٨، عنه بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ٣٧٩. مغني المحتاج: ج ١، ص ٢٤٣.

مسند الشهاب: ج ١، ص ٥٩. كنز العمال: ج ٣، ص ٤٣٠، ح ٧٣٠٠.

والورع ترك الشبهات، بل بعض المباحات^(١).

أقسام الورع

وقسّم البعض الورع إلى أقسام:

الأول: ما يخرج المكلف عن الفسق، وهو الموجب لقبول الشهادة، ويُسمّى ورع التائبين.

الثاني: ما يُخرج به عن الشبهات، فإنّ مَنْ حَامَ حول الحمى يوشك أن يدخل فيه، ويسمّى ورع الصالحين.

الثالث: ترك الحلال الذي يتخوّف إنجراره إلى المحرّم، ويُسمّى ورع المتّقين، مثل ترك الكلام عن الغير مخافة الوقوع في الغيبة.

الرابع: الإعراض عن غير الله؛ خوفاً من ضياع ساعة من العمر فيما لا فائدة فيه، ويسمّى ورع الصّديقين^(٢).

فهذه أقسام أربعة كلّها يُطلق عليها لفظ الورع، ولكنها تختلف باختلاف درجات المتورّعين، فمثلاً: تجد البعض من الناس ليس له إلّا القسم الأول، وهو أقلّ مراتبه وبه يخرج صاحبه من الفسق إلى العدالة، وهو في غاية الأهميّة، بل لعلّ ما ذكر في الوصيّة ينطبق عليه كما هو الظاهر جدّاً لقوله ﷺ: «ورعٌ يحجزه عَمَّا حَرَّمَ اللهُ ﷻ عليه».

وهناك من الناس مَنْ بلغ رتبةً عاليةً في الورع، فتمسّك بالقسم الأعلى منه؛ حتّى لا ينجر إلى ما فيه الحرام، فيترك كلّ ما فيه غير الله تبارك وتعالى، أو كلّ شبهة، وقد ضرب جمعٌ من علّماؤنا أروع الأمثلة في ذلك.

ومن ذلك ما حُكي من أنّ والد المقدّس الأردبيلي كان ذات يوم في شبابه يمشى

(١) أنظر: بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٢٩٦-٢٩٧.

(٢) أنظر: مجمع البحرين: ج ٤، ص ٤٩٠.

قرب نهر، فرأى تُفاحَةً فيه، فأخذها وأكلها، ثمَّ بعد ذلك ندم على فعلته هذه ندماً شديداً، وقال في نفسه: كيف أكلتها فلعلها سقطت من البستان الذي على ضفتي هذا النهر، فتتبع النهر، فإذا الأمر كما ظنَّ، فإذا به يرى بُستاناً يطلُّ على النهر المذكور، فهرع إلى صاحب البُستان وقصَّ عليه القصةَ كاملةً وطلب منه براءة ذمته والصفح عنه.

فقال له صاحب البُستان: لا أصفح عنك أبداً، ولا أبرأ ذمتك.

قال والد المقدس: أعطيك أضعافها، قال صاحب البُستان: لا أريد مهما أعطيتني، إلّا أن تتزوَّج ابنتي، وهي مفلوجة وعمياء وخرساء وصمّاء!.

فتعجّب والد المقدس من كلام هذا الرجل، ولكنه رأى أنّه لا فائدة في الكلام معه، إلّا الإذعان لما أَراده.

فقبل والد المقدس بذلك، وعندما دخل عليها، وجدها خاليةً ممّا ذكره أبوها!! وعندها تعجّب والد المقدس كثيراً، وممّا زاد تعجبه أنّه وجدها وكأَنَّها فلقة قمر.

قال والد المقدس: إنَّك ذكرت أنّها مفلوجة وعمياء وخرساء وصمّاء، إلّا أنّ الأمر

ليس كذلك، فهي خالية ممّا ذكرت، فما هو السرّ في الأمر؟

قال أبوها: نعم، إنّها هي مفلوجة؛ لأنّها ما خرجت من البيت، وقلت: إنّها عمياء؛ لأنّها لم تنظر إلى رجلٍ أجنبيٍّ قطّ، وخرساء؛ لأنّها لم تتكلم مع أي رجلٍ أجنبيٍّ، وصمّاء؛ لأنّها لم تسمع الغيبة.

فتزوَّجها والد المقدس، المولى محمّد الأردبيلي، فانجبت له ولده العظيم المولى أحمد الأردبيلي، المشتهر بالمقدّس الأردبيلي، وكيف لا يكون مُقدّساً من كان هذا أبوه وهذه أمّه^(١). وهناك حكايات كثيرة في ورع ثلّة من أولياء الله، تركناها للاختصار.

(١) سمعتها من أحد أساتذتي في الدرس، وهي مشهورة عن المقدّس الاردبيلي رحمته الله.

ما هو الحلم؟

الحلم هو ضبط النفس عند هيجان الغضب^(١)، فالحلم يكسر شوكة الغضب، وفيه دلالة على كمال العقل وقوة الإرادة في السيطرة على النفس الأمارة بالسوء، وهو من صفات الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام، والحلم يُزيّن صاحبه حتى يصبح محبوباً بين الجميع، ولا يُعرف الحلم إلا عند الغضب، كما روي ذلك عن إمامنا الصادق عليه السلام.^(٢) وقال الشاعر:

مَنْ يَدَّعِي الْحِلْمَ أَغْضَبَهُ لَتَعْرِفَهُ لَا يُعْرِفُ الْحِلْمُ إِلَّا سَاعَةَ الْغَضَبِ^(٣).

فيعفو الإنسان مع قدرته على العقوبة، ويكون الحلم ذا قيمة عالية عندما يكون الإنسان عزيزاً فيُذَل، أو صادقاً فيُتَّهم، أو يُسهَتزأ به حين يدعو إلى الحق، أو يؤذى بلا جُرم، أو يطالب بالحق فيخالفه الناس.

حَثُّ الروايات الشريفة على التحليّ بالحلم

وقد حثّت الروايات الشريفة على التحليّ بالحلم حثّاً بليغاً، فعن الإمام الرضا عليه السلام، قال: «لَا يَكُونُ الرَّجُلَ عَابِداً حَتَّى يَكُونَ حَلِيماً»^(٤). بل إنّ بعض الروايات أمرت بالتحلّم - أي التشبه بأهل الحلم - وما ذاك إلا لأهميته، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ؛ فَإِنَّهُ قَلٌّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ»^(٥).

(١) أنظر: مفردات غريب القرآن: ص ١٢٩.

(٢) أنظر: تحف العقول: ص ٣١٦. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٢٢٩، ح ٩.

(٣) ذكر عجزه ابن عبد البر في الاستذكار: ج ٨، ص ٢٨٧. وجامع بيان العلم وفضله: ج ٢، ص ١٥٥.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ١١١، ح ١. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٩. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٦٥، ح ١. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٤٠٣، ح ١٢ عن الكافي.

(٥) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٤٧، ح ٢٠٧. خصائص الأئمة: ص ١١٥. عيون الحكم والمواعظ: ص ١٦٢. نزهة الناظر وتبئيه الخاطر: ص ٥٣، ح ٣١. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٦٨، ح ١٤. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٤٠٥.

وقد ضرب الأئمة في ذلك أمثلة رائعة أذهلت عقول بني البشر، وهي منهم وعندهم سجية وعادة، لا يتكلفونها أبداً، فأخلاقهم أخلاق جدّهم المصطفى ﷺ الذي يقول عنه الباري عز وجل: ﴿وَلَنَّاكَ لَعَلَّيْ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

ولأذكر لك في المقام صورة من حلم أبي محمد الحسن الزكي عليه السلام أو الإمام الحسين عليه السلام كما رواها البعض أيضاً، يقول عصام بن المصطلق: دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي عليه السلام، فأعجبني سمته وحسن روائه، فأثار مني الحسد ما كان يجنه صدري لأبيه من البغض، فقلت: أنت ابن أبي طالب؟! قال: «نعم»، فبالغت في شتمه وشتيم أبيه، فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف، ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾»^(٢).

ثم قال لي: «خفف عليك، استغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا أعناك، ولو استرفدتنا أرفدناك، ولو استرشدتنا أرشدناك. فتوسم في الندم على ما فرط مني، فقال: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾»^(٣)، أمن أهل الشام أنت؟ قلت نعم. فقال: شنشنة أعرفها من أخزم، حيّاك الله وبيّاك، وعافاك، وآداك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك، تجدنا عند أفضل ظنك، إن شاء الله. قال عصام: فضاعت علي الأرض بما رحبت، ووددت أنّها ساخت بي، ثم تسلفت منه لوأذاً، وما على وجه الأرض أحب إلي منه ومن أبيه»^(٤).

(١) القلم: آية ٤.

(٢) الأعراف: آية ١٩٩-٢٠١.

(٣) يوسف: آية ٩٢.

(٤) تفسير القرطبي: ج ٧، ص ٣٥٠-٣٥١. تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٣، ص ٢٢٤. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٧٣٧.

فأنظر إلى حلم إمامنا الحسن عليه السلام، كيف ردّ به جهل هذا السفیه الغشوم بكلّ رحابة صدر، وهو إمام معصوم، وابن إمام، وأخو إمام، وجدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأمّه الصديقة الكبرى عليها السلام، ومع هذه المنزلة كلّها تراه منبسّطاً، وفي أعلى مراتب الحلم في ردّه على الشامي.

ماهي المداراة؟

والصفة الثالثة المهمّة أيضاً أن يأتي الإنسان يوم القيامة وهو متّصف بها، وهي: أن يكون ذا خلقٍ يداري به الناس، ويعامل كلّ واحدٍ منهم على قدر سعة إنائه، كما كان يصنع رسول الله صلّى الله عليه وآله مع أصحابه، فكلّ منهم يعطيه على قدر سعته وتحمله. وهو القائل صلّى الله عليه وآله: «أمرني ربي بمدارة الناس، كما أمرني بأداء الفرائض»^(١) و«رأس العقل بعد الإيمان بالله مُدارة الناس»^(٢).

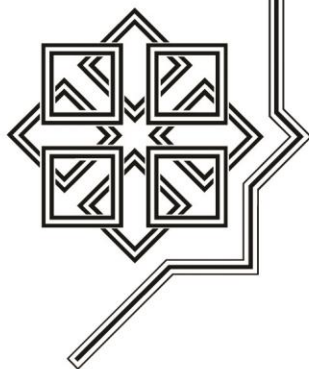
والمقصود من المداراة هو ملائمة الناس، وحسن صحبتهم واحتماهم؛ لئلا ينفروا. وهكذا كان خلق أهل البيت عليهم السلام في ورعهم وحلمهم ومداراتهم للناس، ولكنّ الناس ما تورّعوا في قتلهم ولا تشريدهم، ولا حتّى في سبي نسائهم وأطفالهم. ولا داروا العيال ولا العليل، وصنعوا بهم ما يُصنع بالترك أو الديلم، بل ما يصنع بأعداء الدين والإنسانية.

(١) معاني الأخبار: ص ٣٨٦، ح ٢٠. الكافي: ج ٢، ص ١١٧، ح ٤. الاعتقادات في دين الإمامية: ص ٨٥. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٨١، ح ١٩. مشكاة الأنوار: ص ٣٦٩. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٠٠، ح ١. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١٣٥، ح ٤٣. عن معاني الأخبار، ج ١٨، ص ٢١٣، ح ٤٣. عن الكافي، ج ٧، ص ٣٩٦، ح ١٨. عن المعاني أيضاً، ص ٤٤٠، ح ١٠٧. عن الكافي أيضاً.
(٢) تحف العقول: ص ٤٢. فتح الباري: ج ١٠، ص ٤٣٧. علل الدار قطني: ج ٧، ص ٣٠٥. الكامل: ج ٣، ص ٢٤٩. بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ١٤٥، ح ٤٩.

الحافظة العرفية البصرية



حوت الصدقة



في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام قال في حق الصدقة: «وَحَقُّ الصَّدَقَةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا ذُخْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ﷻ، وَوَدِيعَتُكَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْإِشْهَادِ عَلَيْهَا، فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ سَرّاً أَوْثَقَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ عَلَانِيَةً، وَتَعْلَمُ أَنَّهَا تَدْفَعُ الْبَلَايَا وَالْأَسْقَامَ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا، وَتَدْفَعُ عَنْكَ النَّارَ فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ لَمْ تَمْتَنِ بِهَا عَلَى أَحَدٍ...»^(١).

رسالة الحقوق للإمام سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام رسالة جمعت صنوف الحقوق والمواعظ، وأنواع المعارف والعلوم، فترى الإمام عليه السلام يتناول من الحقوق فيها أدقّها وأعظمها، فهو يذكر حقّ اللسان والبصر، وحقّ المولى القادر، فهي دستور كامل لو عمل به الإنسان لفاض في الدارين، وحصل على السعادتين.

ونحن اقتطعنا من هذه الرسالة الشريفة هذا المقطع من كلامه الشريف، الذي تناول جانباً اجتماعياً مهماً، وهو جانب الصدقة؛ ليعرّفنا الإمام عليه السلام فيه حقّ الصدقة وآثارها وحقيقتها.

ما هي الصدقة؟

الصدقة: هي مساعدة الفقراء بالمال، أو الطعام، أو الشراب، أو الملابس، أو المسكن، أو أيّ شيء آخر يحتاج إليه إنسان آخر لا يستطيع أن يحصل عليه بنفسه؛ لقلّة الموارد التي يمتلكها هذا الإنسان.

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٥٢. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦٢٠. تحف العقول: ص ٢٥٩، ح ١٢. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ١٧٣. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٤.

وتعتبر الصدقة، وإعانة الآخرين، وقضاء حوائجهم، رحمة من ربّ العالمين، سببها وساقها إلى المؤمنين؛ حتى يشبههم بها.

ومن هنا روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لا تدع الله أن يغنيك عن الناس؛ فإنّ حاجات الناس بعضهم إلى بعض متّصلة كاتّصال الأعضاء، فمتى يستغني المرء عن يده أو رجله؟! ولكن ادعُ الله أن يغنيك عن شرارهم»^(١).

حثّ الشريعة على الصدقة

لقد حثّت الشريعة الإسلامية على الصدقة حثّاً بليغاً؛ لما لها من آثار عظيمة على وحدة وتماسك المجتمع وتلاحمه، فهي مظهر من مظاهر الحضارة والرفق الاجتماعي، ومن هذا المنطلق أكّدت الروايات الشريفة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام على الالتزام بهذه الخصلة الكريمة، وذكرت آثارها وثوابها، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «إنّ الصدقة لتطفي عن أهلها حرّ القبور، وإنما يستظلّ المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته»^(٢).

وعن حفيده الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ما من شيء إلّا وقد وكلّت من يقضه غيري، إلّا الصدقة فإنّي ألقفها بيدي تلقفاً...»^(٣)، وعنه عليه السلام أيضاً: «قال الله تعالى: إنّ من عبادي من يتصدّق بشقّ تمر، فأربيها كما يُربي أحدكم فلوه حتى

(١) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ٣٢٢، ح ٦٩٥.

(٢) المعجم الكبير: ج ١٧، ص ٢٨٦. الجامع الصغير: ج ١، ص ٣١٣، ح ٢٠٤٩. كنز العمال: ج ٦، ص ٣٤٨، ح ١٥٩٩٦.

(٣) الكافي: ج ٤، ص ٤٧، ح ٦. تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٠٩ - ١١٠، ح ٥١. مشكاة الأنوار: ص ١٣٥. عدّة الداعي: ص ٦٠. تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٢، ح ٥٠٧. التفسير الأصفي: ج ١، ص ٤٨٨. التفسير الصافي: ج ٢، ص ٣٧٢. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٢٩٤، ح ١١٧٣. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٣٨٢، ح ٧. الجواهر السنية: ص ٣٤١. بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١٣٤.

أجعلها له مثل جبل أحد»^(١).

آثار الصدقة

هناك عدّة آثار للصدقة تعرضت لها الروايات الشريفة، نذكر طرفاً منها.

١ - دفع حرّ القبور، ومن أهم آثار الصدقة أنّها تدفع حرّ القبور، كما تقدّم الحديث عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «إنّ الصدقة لتطفئ عن أهلها حرّ القبور، وإنّا يستظلّ المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته»^(٢).

٢ - زيادة الرزق و استنزاله، وهناك جملة من الروايات وردت تُبين أنّ من آثار الصدقة زيادة الرزق واستنزاله، فعن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال «أكثرُوا من الصدقة تُرزقوا»^(٣)، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «استنزوا الرزق بالصدقة»^(٤).

٣ - قضاء الدين، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الصدقة تقضي الدين»^(٥).

٤ - سبب لشفاء المرضى، فعن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «تصدّقوا وداووا مرضاكم بالصدقة...».

٥ - دفع البلاء والقضاء، فعن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «الصدقة تدفع البلاء،

(١) أمالي الشيخ المفيد: ص ٣٥٤، ح ٧. أمالي الشيخ الطوسي: ص ١٢٥، ح ٨. الجواهر السنية: ص ٣٤٩. بشارة المصطفى: ص ٤٠٦، ح ٣٣. الدرّ النظيم: ص ٦٣١. بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٢٧، ح ٢٧ عن أمالي الشيخ المفيد، وص ٣٣٧، ح ١٢ عن أمالي الشيخ الطوسي، وج ٩٣، ص ١٢٢-١٢٣، ح ٣٠ عن أمالي الشيخ الطوسي أيضاً.

(٢) المعجم الكبير: ج ١٧، ص ٢٨٦. الجامع الصغير: ج ١، ص ٣١٣، ح ٢٠٤٩. كنز العمال: ج ٦، ص ٣٤٨، ح ١٥٩٩٦.

(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٣٣٣. بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ١٧٦.

(٤) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٣٤، ح ١٣٧. من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٨١، ح ٥٨٢٤. عيون الحكم والمواعظ: ص ٨٩. بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٩٩.

(٥) الكافي: ج ٤، ص ٩، ح ١. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٣٦٧، ح ١. بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١٣٤.

وهي أنجح دواءٍ، وتدفعُ القضاء وقد أبرم إبراماً، ولا يذهب بالأدواء إلا الدعاء والصدقة^(١)، وروى إبراهيم بن هاشم، عن موسى بن أبي الحسن، عن الإمام الرضا عليه السلام، أنه قال: «ظهر في بني إسرائيل قحط شديد، سنين متواترة، وكان عند امرأة لقمة من خبز فوضعتها في فيها لتأكل، فنادى السائل: يا أمة الله الجوع، فقالت المرأة: أتصدق في مثل هذا الزمان؟! فأخرجتها من فيها، فدفعها إلى السائل، وكان لها ولد صغير يحطب في الصحراء، فجاء الذئب فاحتمله، فوقعت الصيحة، فعدت الأم في أثر الذئب، فبعث الله إليه تبارك وتعالى جبرئيل عليه السلام فأخرج الغلام من فم الذئب، فدفعه إلى أمه، فقال لها جبرئيل عليه السلام: يا أمة الله أرضيت لقمة بلقمة^(٢)».

ثم إنه لو تأملنا في كلام الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام، لرأينا أن الإمام عليه السلام يؤكد على إخفاء الصدقة؛ لأنها ودیعة عند الله تبارك وتعالى، فهي لا تحتاج إلى الإشهاد ولا إلى العلانية؛ فإن المستودع هو الأمين المطلق، وهو العالم بالخفايا. فيقول الإمام عليه السلام حق الصدقة أن تعلم أنها لله تبارك وتعالى، فلا تحتاج إلى الإشهاد ولا إلى العلانية، وأن تعلم بأنها ذكرك ليوم المعاد، وأنها تدفع البلايا والأسقام في دار الدنيا.

وأما في الآخرة، فهي تطفئ غضب الرب، وتدفع عنك النار التي أعدها جبار السموات والأرضين.

وأهم ما في الصدقة، بل من شروط قبولها، هو عدم الإمتنان بها، وعلام يمتن الإنسان بها، وهي له، وآثارها راجعة إليه؟! وما أكد عليه الإمام عليه السلام ذكره من قبل القرآن الكريم؛ حيث يقول تبارك وتعالى:

(١) بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١٣٧.

(٢) ثواب الأعمال: ص ١٤٠. الرسالة السعدية: ص ١٣٥. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٣٨٠-٣٨١، ح ٤.

بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١٢٣، ح ٣٣ عن ثواب الأعمال.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(١)، فيبين الباري عز وجل أن المن والأذى سبب في بطلان الصدقة، وحيث خسر المتصدق ماله وثوابه، وذلك هو الخسران المبين.

وبخلاف ذلك نجد أن بعض الناس يجود بكل ما عنده، ومع هذا كأنه لم يقدم شيئاً بعد، بل يشعر دائماً بالتقصير، يقدم أهل بيته وأصحابه، ويجود بنفسه، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، فأنفق نفسه، وأي نفس تلك التي أنفقها سيّد الشهداء عليه السلام، هي نفس الرسول الأكرم ﷺ؛ لأنّ حسيناً منه وهو ﷺ من حسين^(٢).

أروحك أم روح النبوة تصعدُ من الأرض للفردوسِ والخورُ سجّدُ
ورأسك أم رأس الرسول على القنا بآية أهل الكهف راح يُردّد^(٣).

(١) البقرة: آية ٢٦٤.

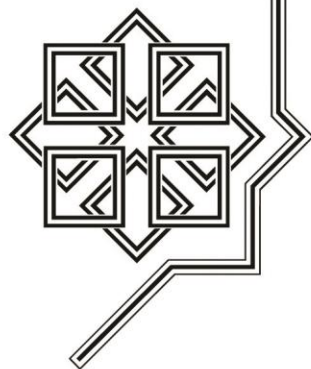
(٢) فقد روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «حُسينٌ مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسباط». كامل الزيارات: ص ١١٦، ح ١٠١. مسند أحمد: ج ٤، ص ١٧٢. سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٥١، وغيره من المسانيد والسنن.

(٣) البيتان من قصيدة رائعة للسيد صالح بن السيّد مهدي بحر العلوم المولود سنة ١٣٢٨ هـ والمتوفى في العقد الأخير من القرن العشرين.

الحاضرة العرفان الخبيثه



سَيِّدُكَ الْأَعْمَالِ



روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيّد الأعمال ثلاثة، إنصافُ الناسِ من نفسك، ومواساةُ الأخ في الله، وذكرُ الله على كُلِّ حالٍ»^(١).
 هناك مجموعة من الروايات الشريفة المروية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام تمثل قانوناً مهماً؛ لذا ينبغي الإهتمام بها والعمل بمضمونها، ومنها هذه الرواية الشريفة التي سمعها باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.
 يتناول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في هذه الكلمة ثلاثة أعمال هي سيدة الأعمال التي يُحبّها الله تبارك وتعالى ويريدها، وهي: (إنصاف الناس، ومواساة الأخ في الله، وذكر الله على كُلِّ حال).

فعلينا أولاً معرفتها، ثم العمل بها، والأخذ بمضامينها العالية.

١- ما هو المقصود من الإنصاف؟

المقصود من الإنصاف في اللغة: المعاملة بالعدل والقسط^(٢)، ومنه الحديث المروي عن إمامنا الكاظم عليه السلام حيث قال: «وخافوا الله في السرّ؛ حتّى تُعطوا من أنفسكم النّصف»^(٣)، أي: الإنصاف، ومثله حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً»^(٤)، يعني: أنّ القوم ما أنصفوه في المعاملة، بل جاروا عليه حتّى اتهموه

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٥٧٧، ح ٦. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٢٠٩-٢١٠. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): ج ٢، ص ٧١. بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ٤٠٤، ح ١٠٧ عن الأمالي.

(٢) مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٢٣.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٨٧، ح ٢. أمالي الشيخ المفيد: ص ١٥٧، ح ٨. مشكاة الأنوار: ص ١٣٩. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٣١٠، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ٣٩٦، ح ٨٣، عن الأمالي، وج ٧٠، ص ٣٤٦، ح ٣٠ عن الكافي.

(٤) نهج البلاغة: ج ١، ص ٥٩، وج ٢، ص ١٩. الإرشاد: ج ١، ص ٢٥١. بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٥٣.

بالكفر إلى غير ذلك من مظلومياته عليه السلام.

فترى الكثير من الناس مَنْ يحبُّ أن يفعل له أشياء، وهو لا يفعلها للناس بتاتاً، فيمَرُّ في الأسواق ويرى أحبَّاءه وأصدقاءه، ولكن لا يبادرهم السلام، بل يُحبُّ أن يُبادروه ذلك، وهكذا في باقي الحالات، أمثال عيادة المرضى وقضاء الحوائج، فتراه لا يقضي حاجةً لأحدٍ، ولا يعود أيُّ مريضٍ، ولكن يُحبُّ أن يفعل ذلك له، فهذا هو الاجحاف بعينه، والذي هو خلاف الإنصاف.

فالنبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله يريد أن يبيِّن: إنصاف الناس من نفسك هو أحد الأعمال الثلاثة التي هي سيدة الأعمال، فكلُّ ما يحبُّ الإنسان أن يفعل له من تقديرٍ واحترامٍ عليه تقديمه للناس؛ حتَّى يكون قد حقَّق معنى الإنصاف من نفسه، والذي هو سيد الأعمال، والذي يدخل به العبد الجنة.

ومن هنا روي أنَّ أعرابياً جاء إلى النبي الأكرم صلَّى الله عليه وآله، وهو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرز راحلته - أي ركاب الرحل من الجلد - فقال: يا رسول الله صلَّى الله عليه وآله علِّمني عملاً أدخل به الجنة، فقال صلَّى الله عليه وآله: «ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأتاه إليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأته إليهم، خلَّ سبيلَ الراحلة»^(١).

وعنه صلَّى الله عليه وآله أنه قال أيضاً: «مَنْ واسى الفقير من ماله، وأنصف الناس من نفسه، فذلك المؤمن حقاً»^(٢) إلى غير ذلك من الروايات.

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٤٦، ح ١٠. كتاب الزهد: ص ٢١، ح ٤٥. مستطرفات السرائر: ص ٦٤٢. مشكاة الأنوار: ص ٣١٩. مستدرك الوسائل: ج ١١، ص ٣١٢، ح ٤. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٦، ح ٣١. عن الكافي، وج ٧٤، ص ١٣٤، ح ٤٥ عن كتاب الزهد. وأنظر الحديث في المصادر التالية: مسند أحمد: ج ٦، ص ٣٨٣. مجمع الزوائد: ج ١، ص ٤٣. كنز العمال: ج ١، ص ٢٨٠-٢٨١.
(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٤٧، ح ١٧. الخصال: ص ٤٧، ح ٤٨، لكن من دون جملة (من ماله). وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٨٤، ح ٥. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥، ح ٥ عن الخصال.

هذا كله في الإنصاف وهو أحد الأعمال الثلاثة.

٢- مواساة الأخ في الله

المواساة معناها التخفيف عن الآخرين همومهم وآلامهم ومصاعب الحياة التي تصيبهم، فقد يواسي الأخ أخاه في الله عن طريق التسلية بالكلام، كما لو فقد عزيزاً، كأن يقول له: هذه سنة الله في الحياة، وهكذا كان حال الأنبياء والأوصياء والأولياء بعضهم مع البعض الآخر، حين يفقدون الأعزاء، بل أعزّ الأعزاء.

ومنه ما روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأنه واسى أهل بيت وعزّاهم بفقد عزيز من أعزائهم، قائلاً لهم: «إنّ هذا الأمر ليس بكم بدأ، ولا إليكم انتهى، وقد كان صاحبكم هذا يُسافر، فعُدّوه في بعض أسفاره، فإن قدم عليكم وإلا قدمتم عليه»^(١).

وكم لهذا الكلام من الوقع في النفوس والتخفيف من آلامها.

وقد تكون المواساة للأخ المؤمن عن طريق المال، فيما لو احتاج إلى ذلك، فهذا نوع من المواساة العملية، كما هو ديدن الأئمة عليهم السلام مع إخوة الإيمان، بل مع غيرهم أيضاً، فكانوا عليهم السلام ينفسون كرب المؤمنين بقضاء حوائجهم وديونهم، وإشباع جوعتهم وكسوتهم مع ما هم فيه عليهم السلام من فقر وحاجة، ويكفيك من ذلك ما نزل من القرآن فيهم عليهم السلام، كسورة: هل أتى، وغيرها من الآيات البينات، بل إنّ الإمام الحسن عليه السلام قطع طوافه في بعض الروايات لأجل مواساة أحد الشيعة.

فقد رُوي عن ابن عباس أنّه قال: «كنت مع الحسن بن علي عليه السلام في المسجد الحرام وهو معتكف، وهو يطوف حول الكعبة، فعرض له رجل من شيعته، فقال: يا ابن رسول

(١) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٨٣، ح ٣٥٧. عيون الحكم والمواعظ: ص ١٥١. بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ١٣٥. مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٣٥٧، ح ١٣ عن النهج.

الله، إِنَّ عَلِيَّ دِينَاً لِفُلَانٍ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَقْضِيَهُ عَنِّي؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَرَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، مَا أَصْبَحَ وَعَنْدِي شَيْءٌ. فَقَالَ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْتَمْهَلَهُ عَنِّي فَقَدْ تَهَدَّدَنِي بِالْحَبْسِ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَطَعَ الْإِمَامُ الطَّوَّافُ وَسَعَى مَعَهُ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَنْسَيْتَ أَنَّكَ مَعْتَكِفٌ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ قَضَى (أَخَاهُ) لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً كَانَ كَمَنْ عَبْدَ اللَّهِ تِسْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ، صَائِئاً نَهَارَهُ وَقَائِئاً لَيْلَهُ»^(١).

فهذه أعلى درجات المواساة، فلاحظ كيف أَنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطَعَ طَوَّافَهُ وَاعْتَكَفَاهُ مِنْ أَجْلِ قَضَاءِ حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ وَتَنْفِيسِ كَرْبَتِهِ.

٢. ذَكَرَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ

والخصلة الثالثة من الخصال التي تعدّ سيدة الأعمال هي ذكر الله على كلِّ حال. والمقصود من الذكر لله تبارك وتعالى هو اللّهُجُّ بِهِ ﷻ، سواء كان بالقرآن أو الدعاء، أو التّحميد والتّمجيد، أو الّهلة أو الحوقلة، أو غير ذلك ممّا يعبّده الشارع ذكراً لله ﷻ، وقد حثّت الآيات والروايات على الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٢).

وعن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنَ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ وَتَقْتُلُوهُمْ وَيَقْتُلُونَكُمْ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: ذَكَرُ اللَّهِ كَثِيرًا»^(٣).

(١) عدّة الداعي: ص ١٧٩. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٤٤٢، عنه بحار الأنوار: ج ٩٤، ص ١٢٩، ح ٥.

(٢) الأحزاب: آية ٤١ - ٤٢.

(٣) المحاسن: ج ١، ص ٣٨-٣٩، ح ٤٢. الكافي: ج ٢، ص ٤٩٩، ح ١ مع اختلافٍ يسير. وسائل الشيعة: ج ٧، ص ١٥٤-١٥٥، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ١٥٧، ح ٢٩ عن المحاسن.

وكلمة النبي ﷺ لا تشير إلى ذكر الله تبارك وتعالى في موطن دون آخر، بل النبي ﷺ يؤكد على ذكر الله تبارك وتعالى على كل حال، سواء في الشدة أو الرخاء، في المرض أو الشفاء، في البر أو البحر، لا كما يصنعه بعض ضعيفي الإيمان من الذين لا يذكرون الله عز وجل إلا في مواطن يظنون أن هلاكهم فيها، وكأنهم لا يعلمون أن حياتهم ومماتهم بيده جل وعلا في كل حال من الأحوال، وهذا ما حكاه القرآن الكريم حيث يقول: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(١)، فهؤلاء لا يدعون الله ولا يذكرونه، بل ولا يؤمنون به - كما هو صريح الآية المباركة - إلا في مواطن مظنة الهلاك، وأمّا في غيرها فلا.

فهم عندما يركبون السفن وتهيج الأمواج بهم حيثئذ يلجئون إلى الله تبارك وتعالى، ويدعونه مخلصين له الدين، ولكن وبما أن اليابسة - بحسب اعتقادهم - أنها مظنة النجاة، ولا هلاك فيها يرجعون إلى ما هم عليه من الشرك والإلحاد، ومع هذا يستجيب الله لهم برحمته وكرمه عز وجل، وينجيهم من هلاك البحر، ولكنه تباركت أسأؤه غير غافل عن أفعالهم، ومطلع على قلوبهم.

أمّا الذين هم أولياء الله حقاً، فقد كانوا يذكرون الله عز وجل في أشد الساعات وأحدها، بل حتى في لهوات الحرب، فهذا هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقوم فيصلي في معركة صفين، بل ما ترك حتى صلاة الليل - التي هي نافلة - في ليلة الهير، وعندما يُسأل أمير المؤمنين عليه السلام عن صلاته في هذا الوقت، يجيب قائلاً: قاتلناهم من أجلها فكيف نتركها من أجلهم؟!^(٢)

(١) العنكبوت: آية ٦٥.

(٢) أنظر: كشف اليقين: ص ١٢٢. منهاج الكرامة: ص ١٦١. نهج الحق وكشف الصدق: ص ٢٤٨. إحقاق الحق: ص ٢٠٦. حلية الأبرار: ج ٢، ص ١٨٠. وسائل الشيعة: ج ٤، ص ٢٤٦، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٨٠، ص ٢٣، ح ٤٣.

يعني يريد أن يقول الإمام عليه السلام: إِنَّ قَتَلْنَا مَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِنَّهَا هِيَ لِأَجْلِ الدِّينِ
وَالْإِلتِزَامِ بِالشَّرْعِ الْقَوِيمِ، والذي أهمّ ما فيه الصلاة، والتي هي عموده وفسطاطه،
فكيف نتركها إذا نحن قاتلناهم واشتغلنا بقتالهم، حتى ولو كانت هذه الصلاة نافلة؟!
بل ويطرّق الحال بأولياء الله فيذكرونه تعالى في ساعة نزول الموت بهم، وهذا ما
صنعه سيّد الأولياء والأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام عندما ضربه أشقى الأتقياء على
هامته، فوق الإمام عليه السلام على وجهه قائلاً:

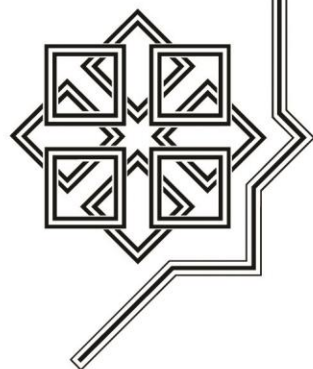
بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله... ثم قال: «فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ»^(١).

(١) خصائص الأئمة: ص ٦٣. شرح الأخبار: ج ٢، ص ٤٤٢. مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣٨٥.
بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ١٤٨، والكلمة متواترة.

الحاضنة العربية للسلامة



التفاحج والتكاثم



قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿١﴾.

تتناول هذه السورة المباركة تتفاخر الناس فيما بينهم، واعتمادهم على مسائل يعدونها معياراً للتفاخر، مع أن الأمر واقعاً وحقيقة ليس كذلك؛ لأن المعايير عند الناس ليست هي المعايير الموجودة في الشريعة، فقد يتفاخر الناس فيما بينهم في كثرة الأولاد أو الأموال، أو كثرة الحروب والغزوات، بل وحتى السرقات، أو غير ذلك، مع أن هذه الأمور ليست مورداً للتفخار والتفاضل في ميزان الشرع المقدس، ولذا يصرح القرآن ويقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢)، فالتقوى هي المعيار عند الله تبارك وتعالى في تقديم إنسان على آخر، وغيرها من الأمور التي بها يتهامز الناس فهي في الأعم الأغلب ليست ميزاناً ولا معياراً عند الله تبارك وتعالى.

والسبب في نزول هذه السورة هو: إن مجموعة من القبائل كانت تتفاخر على بعضها بكثرة الأموال والأنفس، حتى أنها كان تذهب إلى المقابر وتعد موتاهها، وتتفاخر في أن أفراد عشيرتها - أحياء وأموات - بمجموعهم أكثر من غيرهم، فنزلت هذه السورة المباركة، وقيل غير ذلك^(٣).

والمهم في المقام أن السورة تدمّ التفاخر والتكاثر بجميع صنوفه التي لا يرتضيها الشرع المبين، مهما كان سبب نزول السورة؛ لأنّ المورد لا يخصّص الوارد، بمعنى أن سبب النزول لهذه السورة المباركة حتى لو كان شخصاً معيّناً أو فرقة معينة، فهي تبقى

(١) التكاثر: آية ١-٨.

(٢) الحجرات: آية ١٣.

(٣) أنظر: تفسير الأمثل: ج ٢٠، ص ٤١٩.

سارية المفعول في الأجيال والأعوام اللاحقة؛ لأنَّ القرآن بآياته يجري مجرى الليل والنهار والشمس والقمر^(١)، لا يحده زمان ولا سبب، ويمكن أن تطبّق آياته على مصاديق عدّة، إلّا إذا علمنا التخصيص من خلال القرائن، أو من نفس الشارع المقدّس.

تبتدأ السورة بهذا العتاب ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يعني بالأموال والأنفس وغيرهما، حتّى أنكم ذهبتُم إلى المقابر؛ لتستكثروا بأفراد قبيلتكم، وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

واحتمل بعض المفسّرين أنّ جملة ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ المقصود منها هو: أنكم انشغلتم بالتكاثر والتفاخر حتّى لحظة موتكم وورودكم إلى المقابر^(٢).

ولكن بالتدقيق في سبب نزول السورة نرى أنّ المعنى الأول أكثر انسجاماً مع عبارة: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، ويؤيّد هذا المعنى، بل يدلّ عليه أيضاً كلام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث إنّ عليه السلام عندما تلا هذه الآية: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ حتّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ قال: «يا له أمرٌ ما أبعدُه! وزوراً ما أغفله! وخطراً ما أفضعه! لقد استخلوا منهم أي مُدّكر، وتناوشوهم من مكان بعيد أفبمصارع آبائهم يفخرون؟ أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجساداً خوت وحركات سكنت، ولأن يكونوا عبراً أحقّ من أن يكونوا مفتخرًا»^(٣)، فالإمام عليه السلام يشير بهذه الخطبة إلى المعنى الأوّل من المعنيين المذكورين في

(١) أنظر: تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٠٣.

(٢) تفسير جوامع الجامع: ج ٣، ص ٨٣٦. تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٣٢. تفسير غريب القرآن: ص ٢٤٥. التفسير الصافي: ج ٧، ص ٥٤٥. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٦٢، ح ٨، جامع البيان: ج ٣٠، ص ٣٦٢. تفسير ابن أبي حاتم: ج ١٠، ص ٣٤٥٩. تفسير ابن زمنين: ج ٥، ص ١٥٨. تفسير الثعلبي: ج ١٠، ص ٢٧٦. تفسير الواحدي: ج ٢، ص ١٢٢٩، وغيره من التفاسير.

(٣) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢٠٤-٢٠٥، ح ٢٢١، عنه تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٦١، ح ٦. وبحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٤٣٢، ح ٤٧، ج ٧٩، ص ١٥٦، ح ١.

تفسير ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

ثم تنتقل السورة إلى تهديد هؤلاء المتكاثرين قائلة لهم: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، فليس الأمر كما تتوهمون، وبه تتفاخرون، بل سوف تعلمون نتيجة هذا التكاثر الموهوم، ثم يؤكد القرآن هذا المعنى مرة أخرى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. وذهب بعض المفسرين إلى أن هذا ليس تكراراً وتأكيداً، بل الجملة الأولى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إشارة إلى عذاب القبر والبرزخ، والجملة الثانية: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إشارة إلى عذاب يوم القيامة^(١).

ويدل على هذا المعنى ما روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أنه قال: «... كَلَّا سوف تعلمون يريد في القبر، ثم كَلَّا سوف تعلمون، بعد البعث»^(٢).

ما هي دواعي التفاخر والتكاثر؟

هناك عدة عوامل ودواعي للتفاخر والتكاثر، منها: ما ذكرته السورة المباركة، وهو جهل الإنسان بجزاء الآخرة، ومنها: جهل الإنسان بقدره وقيمته، وضعفه ومسكته، وبدايته ونهايته.

ومن أهم الدواعي للتفاخر والتكاثر هو عقدة الحقارة وضعف الشخصية، فيريد الإنسان الضعيف عن طريق تفاخره بقومه وعشيرته، أحيائهم وأمواتهم، أن يرفع هذه العقدة، ولذلك روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَا مِنْ رَجُلٍ تَكَبَّرَ أَوْ تَجَبَّرَ إِلَّا لَذَلَّةٌ وَجَدَهَا فِي نَفْسِهِ»^(٣)، وتفاخر هذه القبائل بأمواتها لا يخرج عن التكبر والتجبر، فالأفراد

(١) نسبة في مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٣٢ إلى القيل، عنه تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٦١، ح ٧.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٣٢، عنه تفسير الأمل: ج ٥، ص ٦٦١.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣١٢، ح ١٧، عنه بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٢٥، ح ١٧.

الفاشلون يريدون أن يُعْطُوا فشلهم بهذه الطريقة، فيلجأون إلى التفاخر والمباهات بأمواتهم، إذا كان مَنْ يتفاخرون به ويتباهون فيه يستحقّ ذلك طبعاً، وإلاّ فيكون التفاخر والتكاثر بهم كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ومن بعد هذا الكلام نعود إلى السورة المباركة، حيث تقول: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.

من أعلى مراتب الإيمان اليقين، وهو المقام الذي قلّ مَنْ وصل إليه؛ ولذا يقول إمامنا الباقر (عليه السلام) «ولم يقسم بين الناس شيء أقلّ من اليقين»^(١)؛ وذلك لأنّ مقام اليقين مقام رفيع، ودرجة عالية، لا يمكن لكلّ أحد أن يصل إليها، وبه يعمر قلب الإنسان وروحه، وتطمئن نفسه.

ولليقين مراتب ثلاثة، أشارت السورة المباركة إلى اثنين منها، والثالث أشارت إليه سورة الواقعة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾^(٢). والراتب هي:

١ - علم اليقين: وهو الذي يحصل للإنسان عند مشاهدته الدلائل المختلفة، كمَنْ يشاهد دخاناً فيعلم علم اليقين أنّ هناك ناراً.

٢ - عين اليقين: وهو يحصل حين يصل الإنسان إلى درجة المشاهدة، كمَنْ يرى بعينه مثلاً النار.

٣ - حقّ اليقين: وهو كمَنْ يدخل النار بنفسه، ويحسّ بحرارتها، وهو أعلى المراتب الثلاثة.

وهذه المراتب الثلاث تختلف باختلاف مراتب الناس، ودرجات إيمانهم، ومدى

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٢، ح ٥. كتاب التمهيد: ص ٦٣، ح ١٤٥. بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ١٣٨، ح ٤ عن الكافي.

(٢) الواقعة: آية ٩٥.

رسوخ عقيدتهم، فترى إنساناً عظيماً مثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يقول: «لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»^(١)، ومعناه إنّي وصلت إلى أعلى مراتب اليقين، وترى آخر غير ذلك تماماً، وهكذا.

ومن هنا روي أنّه ذكر عند النبي صلى الله عليه وآله أنّ عيسى بن مريم عليه السلام كان يمشي على الماء، فقال صلى الله عليه وآله: «لو زاد يقينه لمشي على الهواء»^(٢).

ومن بعد هذا قد يسأل سائل ويقول: كيف يرى الإنسان الجحيم، ومتى؟ وفي صدد الجواب عن هذا السؤال فُسر قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ بتفسيرين:

الأول: مشاهدة الجحيم في يوم القيامة لنص بعض الآيات المباركة، أنّه ما من أحد إلا وهو وارد جهنّم، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٣).
الثاني: إنّ هذه المشاهدة ليست مشاهدة بالأبصار، وإنّما بالبصائر، وهذه المشاهدة تحصل في الدنيا.

ورجّح جمع من المفسّرين الرأي الأول لمناسبته للمقام^(٤).
ومعنى ذلك: أنّ من يتفاخر ويتكاثر للحياة الدّينا سوف يرى الجحيم يوم القيامة، ويُسأل عن كلّ صغيرة وكبيرة، ويرى أين موضع تفاخره وتكاثره!
ثمّ قالت السّورة ﴿ثُمَّ لَنُنَازِلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣١٧. منتهى المطلب: ج ٣، ص ٤٤.
(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١، ص ١٩٨، ح ١٦. شرح نهج البلاغة: ج ١١، ص ٢٠٢. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية: ج ٣، ص ٤٦.
(٣) مريم: آية ٧١.
(٤) أنظر: تفسير الأمثل: ج ٢٠، ص ٤٢٦.

ما هو النعيم الذي يُسأل عنه يوم القيامة؟

لقد وقع الخلاف بين المُفسّرين - عامّة وخاصّة - في تفسير النعيم الذي يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة.

فذهب البعض إلى أنّ المقصود منه هو السلامة وراحة البال والأمن^(١)، وهذه الأشياء بلا شكّ أنها نِعَم ونِعَم كبيرة جدّاً، ولا يتمكّن الإنسان أن يؤدّي حقّ شكرها، ولكن الكلام هل هي التي يُسأل عنها الإنسان أم غيرها؟ لأنّه قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(٢)، فَنِعَم الله تبارك وتعالى على عباده - الشاكر والناكر منهم - لا يمكن حصرها ولا عدّها أبداً.

وعندما نعرض هذا السؤال على الأئمّة عليهم السلام نجد الجواب في رواياتهم، فهذا أبو حنيفة يسأل الإمام الصادق عليه السلام عن النعيم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٣)، فقال الإمام عليه السلام: «ما النعيم عندي يا نعمان؟» قال أبو حنيفة: القوت من الطعام والماء البارد.

فقال عليه السلام: «لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتّى يسألك عن كلّ أكلةٍ أكلتها، وشربةٍ شربتها، ليطولنّ وقوفك بين يديه».

قال أبو حنيفة: فما النعيم؟ جُعِلَتْ فداك!

قال الإمام عليه السلام: «نحنُ أهل البيت النعيمُ الذي أنعم الله بنا على العباد، بنا اتّلفوا بعد

(١) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم: ج ١٠، ص ٣٤٦٠. تفسير السمرقندي: ج ٣، ص ٥٨٩. تفسير الثعلبي: ج ١٠، ص ٢٧٨. تفسير الواحدي: ج ٢، ص ١٢٣٠. تفسير السمعاني: ج ٦، ص ٢٧٦. تفسير النسفي: ج ٤، ص ٣٥٥. أحكام القرآن (ابن العربي): ج ٤، ص ٤٤٣. زاد المسير: ج ٨، ص ٣٠٢. التسهيل لعلوم التنزيل: ج ٤، ص ٢١٦. الإتقان في علوم القرآن: ج ٢، ص ٥٣٧. تحفة الأحوذى: ج ٩، ص ٢٠٣. فيض القدير: ج ٢، ص ٥٦٢، وغيره.

(٢) إبراهيم: آية ٣٤.

أَنْ كَانُوا مُخْتَلِفِينَ، وَبِنَا أَلْفَ اللَّهِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَبِنَا أَنْقَذَهُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي، وَبِنَا جَعَلَهُمُ اللَّهُ إِخْوَانًا، وَبِنَا هَدَاهُمُ اللَّهُ، فَهِيَ النِّعْمَةُ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ، وَاللَّهُ سَائِلُهُمْ عَنْ حَقِّ النِّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ النَّبِيُّ وَعَتْرَتُهُ^(١).

ولكن تعال معي وأنظر إلى ما جرى على هذا النعيم، الذي أنعم الله به على أُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ، وأخرج الناس بهم من الظلمات إلى النور، ماذا صنعت الأُمَّة بهم وماذا جرّت عليهم من الويلات؟!

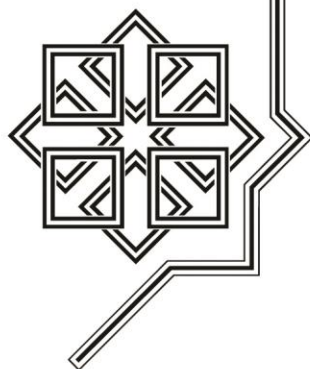
فهم الذين جعلوا الناس متتلفين بعد أن كانوا مختلفين، والأُمَّة جازتهم على ذلك بأن فرقتهم في البلاد، وأسكنتهم ظلم المطامير، وحرّ السجون، وقتلتهم شرّ قتل، وسبّتهم أعظم سبي.

(١) الدعوات: ص ١٥٨-١٥٩، ح ٤٣٤. تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٣٣. التفسير الصافي: ج ٥، ص ٣٧٠، وج ٧، ص ٥٤٧. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٦٣ عن مجمع البيان. تفسير الألوسي: ج ٣٠، ص ٢٢٦. غاية المرام: ج ٣، ص ٨٥، ح ١٢. بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٥٨، وج ٢٤، ص ٤٩، وج ٦٣، ص ٣١٥-٣١٦، وج ٧٠، ص ٧٠-٧١. مستدرک الوسائل: ج ١٦، ص ٢٤٧، ح ٤.

الحاضرة العربية السابعة



الضوابط



قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ ﴿١﴾.

تتناول هاتان الآيتان الشريفتان مفهوم الصراط، وأنه هناك صراط مستقيم صرحت به الآية الشريفة، والآخر غير مستقيم، والصراط المستقيم هو الذي يدعو إليه رسول الله ﷺ، وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُ، وهم الأئمة المعصومون من ذريته ﷺ؛ لأنه قد تواترت الأحاديث الشريفة بالأمر بالتمسك بهم^(٢)، وأنهم مع القرآن^(٣)، ولا يخرجون الناس من الهدى إلى الضلال^(٤).

بل بهم يُسلك إلى الرضوان، وبهم يهتدى إلى رضى الرحمن، وعلى مَنْ جحدهم غضب الرحمن^(٥).

فإذن هناك طريقتان: أحدهما إلى الجنة يهدي الله تبارك وتعالى إليه المؤمنين، كما

(١) المؤمنون: آية ٧٣-٧٤.

(٢) لاحظ في ذلك الحديث المتواتر (حديث الثقلين).

(٣) أنظر: كتاب سليم بن قيس: ص ١٦٩. غاية المرام: ج ٢، ص ٣٦٤، ح ٧٦. بصائر الدرجات: ص ١٠٣، ح ٦. الكافي: ج ١، ص ١٩١، ح ٥. الاعتقادات في دين الإمامية: ص ١٢٢. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٤٠، ح ٦٣. بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٣٤٢-٣٤٣، ح ٢٦ عن البصائر، وج ٢٦، ص ٢٥٠، ح ٢٠ عن كمال الدين، وج ٢٨، ص ١٥.

(٤) أنظر: المعجم الكبير: ج ٥، ص ١٩٤. كنز العمال: ج ١١، ص ٦١١، ح ٣٢٩٥٩. نهج الإيمان: ص ٥٠٣. وأنظر الحديث في مصادرنا التالية: بصائر الدرجات: ص ٧١، ح ١١، وص ٧، ح ١٨. مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٢٥٠، وج ٣، ص ٥. بشارة المصطفى: ص ٢٩٠، ح ١٤. الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف: ص ١١٨، ح ١٨١. غاية المرام: ج ١، ص ١٣٢، ح ٢٥، وج ٢، ص ٢٨٨، ح ٣.

(٥) أنظر: الزيارة الجامعة الكبيرة في المصادر التالية: عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٣٠٨. مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١٦. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٠٠. المزار (ابن المشهدي): ص ٥٣٢. المحتضر: ج ٢١٩. بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٣٢.

قال ﷺ: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾^(١).
والآخر إلى النار يهدي الله تبارك وتعالى إليه أهل النار، كما قال ﷺ: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾^(٢).

وهذا هو الصراط غير المستقيم الذي يدعو إليه مَنْ لا يؤمن بالله ولا بالآخرة، كما عبّرت الآية الثانية التي افتتحنا بها الكلام.
وقبل الدخول في تفصيل الكلام ينبغي لنا تعريف الصراط أولاً؟

ما هو الصراط؟

ذكر في تعريف الصراط أنّه: الطريق الذي يؤدّي إلى معرفة الله ﷻ^(٣)، ولكن هذا التعريف - كما يبدو - تعريف بالخاصّ؛ لأنّ الصراط على قسمين - كما ذكرنا - أحدها: الصراط المستقيم، وهو يؤدّي إلى ما يريده الله تبارك وتعالى.
والآخر غير المستقيم، وهو الذي يؤدّي إلى ما لا يريده الله ﷻ، فينبغي تعريف الصراط - كما صنع البعض - بأنّه الطريق الذي يسلكه الإنسان، فقد يكون مستقيماً، وقد يكون غير مستقيم^(٤).

والصراط المستقيم هو الدين الحقّ الذي نطلبه في طوال أيام حياتنا عندما نكرّر قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٥)، ونكرّر هذا المعنى في كلّ يوم غدوة وعشيّاً.
وسمّي الدين صراطاً؛ لأنّه يؤدّي بمن يسلكه إلى الجنّة، كما أنّ الطريق يؤدّي بمن يسلكه إلى مقصده.

(١) محمد: آية ٦٥.

(٢) الصافات: آية ٢٣.

(٣) أنظر: كتاب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ص ٦٧ حيث جاء فيه: «قال العلامة الفيض عليه السلام: الصراط هو الطريق إلى معرفة الله ﷻ».

(٤) أنظر: تفسير الميزان: ج ١، ص ٣٣.

(٥) الفاتحة: آية ٦.

وقد ذكرنا في أول كلامنا أن هناك صراطين، أحدهما: صراط الجنة، والآخر صراط النار، ولكن السؤال هو: هل أن هذين الصراطين مردُّهما إلى واحدٍ، ولكن يتمثل للكافر بشكلٍ، وللمؤمن بشكلٍ آخر، أو هما - حقيقةً وواقعاً - وجودان منفصلان، أحدهما خاصٌّ بالمؤمنين، والآخر بالكافرين؟

قال الشيخ المفيد رحمته الله في تفسير كون الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف: «والمراد بذلك: أنه لا تثبت لكافرٍ قدمٌ على الصراط يوم القيامة من شدة ما يلحقهم من أهوال يوم القيامة ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالذي يمشي على الشيء الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف. وهذا مثلٌ مضروب لما يلحق الكافر من الشدة في عبوره على الصراط، وهو طريق إلى الجنة وطريق إلى النار، يشرف العبد منه إلى الجنة ويرى منه أهوال النار»^(١)، وظاهر كلامه رحمته الله أن الصراط واحد.

ونقل العلامة الحلي رحمته الله كلاماً صريحاً في وحدة الصراطين، حيث قال: «وقيل: إنَّ هناك طريقاً واحداً على جهنم، يُكلَّف الجميع المرور عليه، ويكون أدق من الشعر وأحد من السيف، فأهل الجنة يمرُّون عليه لا يلحقهم خوف ولا غم، والكفار يمرُّون عليه عقوبة لهم وزيادة في خوفهم، فإذا بلغ كل واحدٍ إلى مُستقره من النار سقط من ذلك الصراط»^(٢).

ولو تأملنا في الآيتين المباركتين، نجد أن ظاهرهما الصراط الواحد؛ لأن الآيتين وجَّهتا الخطاب للنبي الأكرم صلَّى الله عليه وآله بأنَّه يدعو إلى الصراط المستقيم، والذين لا يؤمنون بالله تبارك وتعالى عن هذا الصراط - الذي يدعو إليه الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله - ناكبون، ومعناه مائلون وعادلون عنه^(٣)؛ لأن الكافر لا همَّ له بالصراط المستقيم أبداً.

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية: ص ١٠٩-١١٠.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٥٧٦.

(٣) في مجمع البحرين (ج ٤، ص ٣٦٧): «أي عادلون عن القصد، يقال: نكب عن الطريق من باب قعد: عدل ومال».

صراط الدنيا وصراط الآخرة

إنَّ مهمّة الأنبياء والرسل وجميع الأوصياء مهمّة واحدة، تتلخّص في الأخذ بأيدي الناس إلى ما فيه الخير والصلاح، عن طريق الموعظة الحسنة والكلمة الطيبة، بالإنذار تارةً، والتبشير تارةً أخرى، وهم بلا شكّ ولا ريب رحمة أرسلها الله تبارك وتعالى بمنّه ولطفه إلى عباده؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

فَمَنْ تبعه فاز في دار الدنيا والآخرة، وَمَنْ جحدته وعانده خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

والعلاقة وثيقة بين صراط الدنيا وصراط الآخرة، فَمَنْ جاز صراط الدنيا - وهو الآخذ بما أمر به القرآن الكريم، والانتفاء عما نهى عنه، والتمسك بحبل الله المتين، والعروة الوثقى وهم النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطيبين الأطهار ﺍﻟﻤﺠﺒﻮﺩﻯ - جاز صراط الآخرة إن شاء الله تعالى.

قناطر الصراط

هناك عدّة قناطر توضع على الصراط، لكلّ قنطرة من هذه القناطر أمرٌ وطلبٌ للمولى ﷺ، لا يجوزها أحدٌ إلّا إذا كان متّصفاً بهذا الأمر وهذه الصفة.

فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناده عن مولانا الباقر عليه السلام: قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بُعْثُهُمْ﴾^(٣)، سئل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «أخبرني الروح

(١) الأحزاب: آية ٤٤-٤٥.

(٢) الأنبياء: آية ١٠٧.

(٣) الفجر: آية ٢٣.

الأمين أَنَّ الله لا إله غيره، إذا جمع الأولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام، أخذ بكلّ زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدة وتغيّظ وزفير، وإنّها لتزفر الزفرة، فلو لا أن الله ﷻ أخرهم إلى الحساب لأهلكك الجمع، ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق، البرّ منهم والفاجر، فما خلق الله ﷻ عبداً من عباده ملكاً ولا نبياً إلا نادى: ربّ نفسي نفسي، وأنت يا نبيّ الله تنادي: أُمّتي أُمّتي. ثم يوضع عليها صراط أدقّ من حدّ السيف، عليه ثلاث قناطر: أماً واحدة فعليها الأمانة والرحم، وأماً الأخرى فعليها الصلاة، وأماً الأخرى فعليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره، فيكلفون الممر عليه فتحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين ﷺ، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْعَرَصِ﴾^(١)، والناس على الصراط، فمتعلّق، وقدم تزل، وقدم تستمسك، والملائكة حولهم ينادون: يا حلّيم، اغفر واصفح، وعد بفضلك وسلّم، والناس يتهافون فيها كالفراش، فإذا نجا ناج برحمة الله ﷻ، نظر إليها فقال: الحمد لله الذي نجاني منك بعد إياس بمنه وفضله، إن ربّنا لغفور شكور»^(٢).

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله أيضاً بإسناده عن النبي ﷺ أنّه قال لأمر المؤمنين عليه السلام: «يا عليّ، إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلا يجوز على الصراط إلّا من كانت معه براءة بولايتك»^(٣).

ونقل عن الخوارزمي أنّه روى عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الصراط صراطان:

(١) الفجر: آية ١٤.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٢٤١-٢٤٢، ج ٤. الكافي: ج ٨، ص ٣١٢-٣١٣، ج ٤٨٦. تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٢١. التفسير الأصفي: ج ٢، ص ١٤٤١. التفسير الصافي: ج ٥، ص ٣٢٦-٣٢٧، ج ٧، ص ٤٧٦-٤٧٧. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٣٧٣، ج ٢٣ عن الكافي. بحار الأنوار: ج ٧، ص ١٢٥، ج ١ عن الأمالي، ج ٨، ص ٦٥، ج ٢ عن تفسير القمّي.

(٣) الإعتقادات في دين الإمامية: ص ٧٠. معاني الأخبار: ص ٣٥-٣٦، ج ٦. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٢٢، ج ٩٨ عن معاني الأخبار. بحار الأنوار: ج ٨، ص ٦٦، ج ٤ عن معاني الأخبار، و ص ٧٠، ج ١٩ عن الإعتقادات، ج ٢٣، ص ١٠٠، ج ٤ عن معاني الأخبار أيضاً.

صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. فأما صراط الدنيا، فهو علي بن أبي طالب، وأما صراط الآخرة، فهو جسر جهنّم، مَنْ عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة^(١).

ويؤيّد هذا المعنى ما حكاه الشيخ النوري في كتابه المستدرک نقلاً عن كتاب الأنوار المضيئة، تأليف السيد بهاء الدين عليّ بن السيد غياث الدين الحسيني النيلي، الذي هو من علماء الإمامية وفقهاء الشيعة، يقول السيد المذكور: «أن رجلاً كان يقال له: محمد بن أبي أذينة، كان تولى مسبحة قرية لنا تُسمى قرية نيلة، انقطع يوماً في بيته فاستحضره فلم يتمكّن من الحضور، فسأله عن السبب فكشف لهم عن بدنه، فإذا هو إلى وسطه ما عدا جانبي وركيه إلى طرفي ركبته محرق بالنار، وقد أصابه من ذلك ألم شديد لا يمكنه معه القرار، فقالوا له: متى حصل لك ذلك؟

قال: اعلموا أنّي رأيت في نومي كأن الساعة قد قامت، والناس في حرج عظيم، وأكثرهم يُساق إلى النار، والأقل إلى الجنة، فكنت مع مَنْ سيق إلى الجنة، فانتهى بنا المسير إلى قنطرة عظيمة في العرض والطول، فقبل: (هذا الصراط) فسرنا عليها، فإذا هي كلّ ما سلكنّا فيها قلّ عرضها، وبعد طولها، فلم نبرح كذلك ونحن نسري (نسير) عليها، حتى عادت كحدّ السيف، وإذا تحتها وادٍ عظيم أوسع ما يكون من الأودية، تجري فيه نار سوداء يتقلقل فيها جمر كقلال الجبال، والناس ما بين ناجٍ وساقط، فلم أزل أميل من جهة إلى أخرى، حتى انتهيت إلى قريب من آخر القنطرة، فلم أتمالك حتى سقطت من عليها، فخضت في تلك النار حتى انتهيت إلى الجرف، فجعلت كلّما تشبّث به لم يتماسك منه شيء في يدي، والنار تحدرني بقوة جريانها، وأنا أستغيث، وقد انذهلت وطار عقلي، وذهب لبي، فألهمت فقلت: يا علي بن أبي طالب، فنظرت فإذا رجل واقف على شفير الوادي، فوقع في روعي أنّه الإمام عليّ عليه السلام، فقلت: يا سيدي، يا أمير المؤمنين. فقال: هات يدك. فمددت

(١) نقله عنه الشيخ محمد طاهر القمّي الشيرازي في كتابه الأربعين: ص ٧٨، والعلامة الأميني في الغدير:

يدي، فقبض عليها وجذبني، وألقاني على الجرف، ثم أَمَط النار عن وركي بيده الشريفة، فانتبهت مرعوباً، وأنا كما ترون. فإذا هو لم يسلم من النار إلا ما مسّه الإمام عليه السلام، ثم مكث في منزله ثلاث أشهر يداوي ما أحرق منه بالمراهم حتى برىء، وكان بعد ذلك قل أن يذكر هذه الحكاية لأحد إلا أصابته الحمى»^(١).

ما يخفف المرور على الصراط

هناك عدّة أعمال لها الأثر البالغ في تخفيف أمر الصراط، ومن جملة هذه الأمور موالاة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والبراءة من أعدائه، كما تقدّمت الإشارة إليه، بل أنّ موالاته عليه السلام والبراءة من أعدائه هي الصراط الأقوم الذي نسأله في صلواتنا، ونطلبه غدوةً وعشيّاً، فقد روي عنهم عليهم السلام: «أنّ الصراط صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الذي في الدنيا فهو أمير المؤمنين، فمن اهتدى إلى ولايته في الدنيا جاز على الصراط في الآخرة، ومن لم يهتد إلى ولايته في الدنيا لم يجز على الصراط في الآخرة»^(٢).

وهناك أعمال من صلوات وزيارات لها الأثر في تخفيف الممرّ على الصراط، ومن ضمن هذه الأعمال صلاة ليلة التاسع والعشرين من شهر شعبان، رواها جمال العارفين السيد ابن طاووس رحمته الله، حيث قال: «ومن صلّى في الليلة التاسعة والعشرين من شعبان عشر ركعات، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة و﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ عشر مرّات، والمعوذتين عشر مرّات، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرّات، أعطاه الله تعالى ثواب المجتهدين، وثقل ميزانه، ويخفف عنه الحساب، ويمرّ على الصراط كالبرق الخاطف»^(٣).

ومن جملة الأعمال أيضاً زيارة الإمام الثامن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، فقد ورد

(١) خاتمة مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٢) تأويل الآيات: ج ١، ص ٢٩.

(٣) إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٦٤-٣٦٥.

عنه عليه السلام أنّه قال: «مَنْ زارني على بعد داري وشطون^(١) مزاري أتيتُهُ يومَ القيامةِ في ثلاثِ مواطنٍ حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتبُ يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان»^(٢).

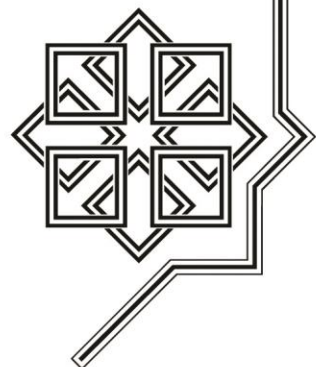
(١) الشطن: البعيد النازح. ومنه قيل: نوى شطون، وبئر شطون. ومن ذلك سمي الجبل شطناً. انظر: غريب الحديث، ابن قتيبة: ج ٢، ص ٣٦٧.

(٢) كامل الزيارات: ص ٥٠٦، ح ٤. أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٨٣، ح ٩. الخصال: ص ١٦٧-١٦٨، ح ٢٢٠. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٨٥، ح ٢. مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٣١٨٩. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٨٥، ح ٥. المزار (الشيخ المفيد): ص ١٩٥، ح ٢. المزار (ابن المشهدي): ص ٤٠، ح ٢١. روضة الواعظين: ص ٢٣٥. العقد النضيد والدرّ الفريد: ص ٣٤، ح ٢٤. معارج اليقين في أصول الدين: ص ٩٢، ح ٩. وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٥١، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ٣٤، ح ١٣ عن الخصال والأُمالي.

الحاضرة المعروفة بالتأبين



إخالة السيرة
على المؤمنين



عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «تَبَسُّمُ الرَّجُلِ فِي وَجْهِ أَخِيهِ حَسَنَةٌ، وَصَرَفُ الْقَذَى عَنْهُ حَسَنَةٌ، وَمَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِدْخَالِ السَّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ»^(١).

من الأفعال الحسنة التي حثَّ عليها الدين القويم، والشرائع السماوية جمعاء، هو إدخال السرور على المؤمنين، وبشَّتَى الطرق، ومختلف الوسائل، ومن الروايات التي حثَّت على هذا الفعل المهم، والعمل المقدَّس هذه الرواية الشريفة المروية عن إمامنا باقر علوم الأولين والآخرين، الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، وقد ذكرها العلامة المجلسي رحمته الله في البحار مع بيان لها هذا نصّه، قال: «بيان: (حسنة) أي خصلة حسنة توجب الثواب (وصرفه القذى عنه) القذى يحتمل الحقيقة، وأن يكون كناية عن دفع كل ما يقع عليه من الأذى، قال في النهاية: فيه جماعة على أقذاء: الأقذاء جمع قذى، والقذى جمع قذاة، وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك، أراد أن اجتماعهم يكون فساداً في قلوبهم، فشبهه بقذى العين والماء والشراب»^(٢).

وذكرت هذه الرواية الشريفة من بين كمِّ هائلٍ من الروايات التي تعرَّضت لثواب إدخال السرور على المؤمن^(٣).

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إِنَّ فِيهَا نَاجِيَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ بِهِ عَبْدَهُ مُوسَى عليه السلام قَالَ: إِنَّ لِي عِبَاداً أَبْيَحُّهُمْ جَنَّتِي وَأَحْكَمُّهُمْ فِيهَا، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَبِيحُّهُمْ جَنَّتِكَ وَتَحْكَمُّهُمْ فِيهَا؟ قَالَ: مَنْ أَدْخَلَ عَلَى مُؤْمِنٍ سُرُوراً، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مُؤْمِناً كَانَ فِي مَمْلَكَةِ جَبَّارٍ

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٨٨، ح ٢. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٣٤٩، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٨٨، ح ١٥ عن الكافي. جامع السعادات: ج ٢، ص ١٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٨٨.

(٣) أنظر - على سبيل المثال -: الكافي: ج ٢، ص ١٨٨-١٩٢، باب إدخال السرور على المؤمنين، فيه ١٦ رواية.

فولع به فهرب منه إلى دار الشرك، فنزل برجلٍ من أهل الشرك فأظله وأرفقه وأضافه، فلما حضره الموت أوحى الله ﷻ إليه: وعزّي وجلالي لو كان [لك] في جنتي مسكن لأسكنتك فيها، ولكنها محرّمة على مَنْ مات بي مشركاً، ولكن يا نار هبديه ولا تؤذيه، ويؤتى برزقه طرفي النهار، قلت: من الجنة؟ قال: من حيث شاء الله^(١).

والرواية الشريفة التي افتتحنا بها الكلام ذكرت أمرين من حقوق الإخوة وحقائق الإيمان، الأوّل: التّبسم، والثاني: صرف الأذى ودفعه عنه. ثم ذكرت أنّ الأهمّ من هذا كلّهُ هو إدخال السرور على المؤمن.

فكأنّما يريد أن يقول الإمام عليه السلام: إنّ أهمّ ما يصنعه المؤمن لإخيه المؤمن هو إدخال السرور، فقد يكون إدخال السرور عن طريق التّبسم، أو عن طريق إماطة الأذى عنه؛ لأنّ مصاديق إدخال السرور عديدة، كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه.

سُبُل إدخال السرور على المؤمن

هناك عدّة سُبُل يمكن بها إدخال السرور على المؤمنين، ومن هذه السبل قضاء حوائجهم والسعي فيها، وتنفيس كربتهم، ونصرتهم وردّ العادية عنهم، وقضاء دينهم، وإشباع جوعتهم، إلى غير ذلك من الطرق العديدة التي بفعلها يدخل السرور على المؤمنين، والذي مردّه إلى رضا الله تبارك وتعالى، فقد روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ أدخل السرور على مؤمنٍ فقد أدخله على رسول الله ﷺ، ومَنْ أدخله على رسول الله ﷺ، فقد وصل ذلك إلى الله، وكذلك مَنْ أدخل عليه كرباً^(٢).

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٨٨-١٨٩، ح ٣، كتاب المؤمن: ص ٥٠، ح ١٢٣، ثواب الأعمال: ص ٢٧٢. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٤٤٣-٤٤٤. بحار الأنوار: ج ٨، ص ٣١٤، ح ٩٢ عن الكافي، وج ٧١، ص ٢٨٨، ح ١٦ عنه أيضاً. مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٣٩٤، ح ٣ عن كتاب المؤمن.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٩٢، ح ١٤. كتاب المؤمن: ص ٦٨، ح ١٨٣. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٣٥٠، ح ٤. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٩٧، ح ٢٧. مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٣٩٥، ح ٥.

ولو أردنا استقصاء هذه السبل بكاملها لطلال بنا المقام، ولكن نقتصر على الميسور منها، وإن كانت الروايات قد استقصت ذكر هذه السبل ومقدار ثوابها، وأعظم ثواباً لهذه السبل هو قضاء حاجة المؤمن؛ لأنه بها تُنقّس كُربته في الغالب، خصوصاً إذا كانت قضاء دينه وإشباع جوعته.

والخلاصة: يمكن القول: إن قضاء حاجة المؤمن هي أعمّ هذه السبل، فقد تكون حاجة المؤمن دفع الظلم عنه، فإذا دفعناه عنه تحقّق معنى قضاء الحاجة. وقد تكون حاجة المؤمن المسارعة في نصرته، فإذا نصرناه تحقّق معنى قضاء الحاجة، وهكذا يمكن الكلام في الجميع.

ومن هنا سوف يتحقّق إدخال السرور على المؤمن بقضاء حاجته، غاية ما هناك أنّ قضاء الحاجة له كيفيات مختلفة، وصور متنوعة كلّها يُعبّر عنها بقضاء الحوائج، وهو المعنى الذي أكّده الروايات الشريفة وحثّ عليه.

فقد روي بسندٍ معتبر عن المشمعل الأسدي أنّه قال: «خرجت ذات سنة حاجّاً، فانصرفت إلى أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، فقال: من أين بك يا مشمعل؟ فقلت: جعلت فداك، كنت حاجّاً. فقال: أو تدري ما للحاجّ من الثواب؟ فقلت: ما أدري حتى تعلمني. فقال: إنّ العبد إذا طاف بهذا البيت أسبوعاً، وصلى ركعتيه، وسعى بين الصفا والمروة، كتب الله له ستّة آلاف حسنة، وحط عنه ستّة آلاف سيئة، ورفع له ستّة آلاف درجة، وقضى له ستّة آلاف حاجة للدنيا كذا، وادّخر له للآخرة كذا. فقلت له: جعلت فداك، إنّ هذا لكثير! قال: أفلا أخبرك بما هو أكثر من ذلك؟ قال قلت: بلى. فقال عليه السلام: لقضاء حاجة امرئ مؤمن أفضل من حجة وحجة وحجة، حتى عدّ عشر حجج»^(١).

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٨١-٥٨٢، ح ١٤. روضة الواعظين: ص ٣٥٩-٣٦٠. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٨٤-٢٨٥، ح ٤، عن الأمالي، ج ٩٦، ص ٣، ح ١ عن الأمالي أيضاً.

وروي عن حنان بن سدير عن أبيه قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكر عنده المؤمن، وما يجب من حقّه، فالتفت إليّ أبو عبد الله عليه السلام فقال لي: يا أبا الفضل، ألا أُحدّثك بحال المؤمن عند الله؟ فقلت: بلى، فحدّثني فجعلت فداك. فقال: إذا قبض الله روح المؤمن صعد ملكاه إلى السماء، فقالا: يا ربّي، عبدك ونعم العبد، كان سريعاً إلى طاعتك، بطيئاً عن معصيتك، وقد قبضته إليك، فما تأمرنا من بعده؟ فيقول الجليل الجبار: اهبطا إلى الدنيا، وكونا عند قبر عبدي، وسبّحاني ومجّداني وهلّلاني وكبرّاني، واكتبنا ذلك لعبدي حتى أبعثه من قبره. ثمّ قال لي: ألا أزيذك؟ قلت: بلى. فقال: إذا بعث الله المؤمن من قبره، خرج معه مثال يقدمه أمامه، فكلمّا رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة، قال له المثال: لا تجزع ولا تحزن، وأبشر بالسُرور والكرامة من الله ﷻ. قال: فما يزال يبشره بالسُرور والكرامة من الله (سبحانه) حتى يقف بين يدي الله ﷻ ويحاسبه حساباً يسيراً، ويأمر به إلى الجنّة والمثال أمامه، فيقول له المؤمن: يرحمك الله، نعم الخارج معي من قبري، ما زلت تبشّرني بالسُرور والكرامة من الله ﷻ حتى كان ذلك، فمَنْ أنت؟ فيقول له المثال: أنا السُرور الذي أدخلته على أخيك في الدنيا، خلّقني الله منه لأبشرك»^(١).

إذن فدفع الأذى عن المؤمنين، وقضاء حوائجهم، وإدخال السُرور عليهم من الأفعال التي يحبّها الله ورسوله وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليه السلام، وأقلّ حقّ يؤدّيه المؤمن لأخيه المؤمن الآخر هو التّبسّم في وجهه، وصرف القذى عنه، وإلاّ فحقوقهم أكثر وأكبر من ذلك.

ولأنّقل لك هذه الحكاية عن أحد علمائنا الأبرار، وهو المولى المقدّس الأَرْدَبيلي عليه السلام، وحاصلها: أنّ بعض الزوّار رآه في النجف فحسبه - لرثّة ثيابه - من بعض الفقراء المتكسّين، فسأله: هل تغسل هذه الثياب بالأجرة؟ قال: نعم، وواعده في الصحن ليأتي

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ١٩٥-١٩٦، ح ٣٥، عنه بحار الأنوار: ج ٦، ص ١٥٢، ح ٤، وج ٧١، ص ٢٨٣، ح ٣ عن الأمالي أيضاً.

بها إليه في الغد، فأخذها وغسلها بنفسه، وأتى إلى الصحن في الوقت المضروب، فوجد صاحبها هناك فدفعها إليه، وأراد صاحب الثياب أن يعطيه الأجرة فامتنع، فأخبره بعض المارة: إن هذا هو المقدس الأردبيلي، العالم الشهير، فوقع على أقدامه معتذراً بأنه لم يعرفه، فقال: لا بأس عليك: إن حقوق إخواننا أعظم من هذا^(١).

وهكذا كان ديدن الأئمة عليهم السلام مع شيعتهم المؤمنين المخلصين، بل وهكذا كان المؤمنون يحاولون إدخال السرور على إخوانهم بشتى الطرق والوسائل؛ لأنهم تعلموا من أئمتهم عليهم السلام أنه ما عبد الله بشيء أحب إليه من إدخال السرور على المؤمنين.

فهذا هو سيد الشهداء عليه السلام يتوسّط لقضاء حوائج المؤمنين لدى الفاسقين؛ لأجل إدخال السرور على المؤمنين، «فقد دخل الحسين عليه السلام على معاوية، وعنده أعرابي يسأله حاجة، فأمسك وتشاغل بالحسين، فقال الأعرابي لبعض من حضر: من هذا الذي دخل؟ قالوا: الحسين بن علي، فقال الأعرابي للحسين: يا ابن بنت رسول الله، لما كلمته حاجتي، فكلّمه الحسين في ذلك، ففضى حاجته، فقال الأعرابي:

أتيت العشمي فلم يجدي	إلى أن هزّه ابنُ الرسولِ
هو ابنُ المصطفى كرمًا وجوداً	ومن بطنِ المطهرةِ البتولِ
وإنّ لهاشمَ فضلاً عليكم	كما فضل الربيع على المحولِ

فقال معاوية: يا أعرابي أعطيك، وتمدحه؟ فقال الأعرابي: يا معاوية، أعطيتني من حقّه وقضيت حاجتي بقوله^(٢).

وقد روي عنه عليه السلام أنّه قال: «صحّ عندي قولُ النبيّ أفضلُ الأعمال بعد الصلاة

(١) من المسموعات التي نقلها لنا الأساتذة في الأخلاق.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٣٥، عنه بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢١٠، ح ٦، والعوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٨٤-٨٥، ح ٢.

إدخالُ السرور في قلب المؤمن بما لا إثم فيه، فإنّي رأيتُ غلاماً يواكلُ كلباً، فقلتُ له في ذلك، فقال: يا ابن رسول الله، إنّني مغمومٌ اطلبُ سروراً بسروره؛ لأنّ صاحبي يهودي أريد أفارقه. فأتى الحسين عليه السلام إلى صاحبه بائتي ديناراً ثمناً له، فقال اليهودي: الغلام فدى لخطاك، وهذا البستان له، ورددتُ عليك المال. فقال عليه السلام: وأنا قد وهبتُ لك المال. فقال: قبلتُ المالُ ووهبتُ للغلام. فقال الحسين: أعتقتُ الغلامَ ووهبتُ له جميعاً. فقالت امرأته: قد أسلمتُ ووهبتُ زوجي مهري. فقال اليهودي وأنا أيضاً أسلمتُ وأعطيتها هذه الدار^(١). فانظر وتأمل في هذه الأخلاق الحسينية العظيمة، فما أن رأى الإمام الحسين عليه السلام هذا الغلام يواكل الكلب، ويطلب سروراً بسروره للكلب، حتّى بادر الإمام إلى إكرامه والشفقة عليه، بأن ذهب إلى بيت اليهودي يشتريه منه ويحرّره.

وهكذا كانت الرحمة الحسينية التي ورثها عن أبيه عليه السلام، وجدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وأمّه الزهراء عليها السلام، وأخيه المجتبي عليه السلام، ولكن أسفني عليك يا أبا عبد الله، فقد أدمعت عيون المؤمنين لما صنّع بك، وبآل بيتك في يوم عاشوراء وما بعده فقد:

رضوا بجُردهم قراك وأضرموا	ناراً بأخية المكارم والندى
وسبوا إليك حرائر سبي الإماما	للشام في ركبٍ به شمرٌ حدى
ولمجلس الطاغى جُلبن حواسراً	يندبن يا جدّاه ما بين العدى ^(٢) .

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٩-٢٣٠. بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٤. العوالم (الإمام

الحسين عليه السلام): ص٦٤-٦٥. مستدرک الوسائل: ج١٢، ص٣٩٨، ح١٦.

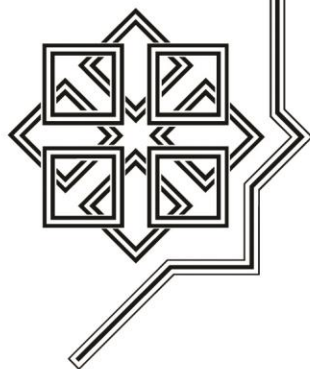
(٢) الأبيات من قصيدة رائعة لشيخنا الأستاذ، الخطيب الشهير، الشيخ محمد سعيد المنصوري رحمه الله، أنظر:

ديوان ميراث المنبر: ص١٥١.

الحاضرة العرب الناصية



مِنْ أَجْلِ
الْبَيْتِ إِلَى اللَّهِ



روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من أحبَّ السُّبُلَ إلى الله جرعتان: جُرْعَةٌ غِيْظٌ تَرُدُّهَا بِحِلْمٍ، وَجُرْعَةٌ حُزْنٌ تَرُدُّهَا بِصَبْرٍ»^(١).

هناك بعض الآيات والروايات تكرر ذكرها؛ لأهميتها أولاً، وأهمية الموضوع الذي وردت فيه، ومن هذا القليل الحديث الذي افتتحنا به كلامنا، فلقد روي هذا الحديث بطرق أخرى بتغيير يسير، فورد في الكافي الشريف: (وجرعة مصيبة) بدل (حُزْن)، وبديل (السُّبُل) كلمة (السبيل)^(٢)، والأمر سهل ما دام المضمون واحداً، أو قريباً جداً. ولأهميته أيضاً روي تارة عن الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله، وتارة أخرى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وثالثة عن الإمام زين العابدين عليه السلام عن جدّه رسول الله صلوات الله عليه وآله، والأمر في غاية السهولة بعد أن كان كلامهم:

ووالِ أَناساً قَوْلُهُمْ وَحَدِيثُهُمْ روى جَدُّنا عن جبرئيل عن الباري^(٣).

ولأنَّ السُّبُلَ كثيرة ومتعددة؛ بين أمير المؤمنين عليه السلام أحبّها إلى الله عزّ وجلّ؛ لأنَّ من السُّبُلِ ما يؤدِّي إلى الله تبارك وتعالى، مثل: (سبيل الله^(٤))، وسبيل المؤمنين^(٥))، ومنها: ما يؤدِّي

(١) تحف العقول: ص ٢١٩. مشكاة الأنوار: ص ٣٨١، ونسبه لرسول الله صلوات الله عليه وآله. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٥٨، ح ١٢٨.

(٢) أنظر: الكافي: ج ٢، ص ١١٠، ح ٩.

(٣) أنظر: الصراط المستقيم: ج ٣، ص ٢٠٧، ولم ينسبه لأحد، ولم أعثر على قائله، رغم التَّبَعِ الكثير.

(٤) مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. البقرة: آية ١٩٥.

(٥) مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. النساء: آية ١١٥.

إلى غيره عليه السلام، مثل: (سبيل الطاغوت^(١))، وسبيل المجرمين^(٢)).

وهنا قد بين أمير المؤمنين عليه السلام أحب السبل إلى الله تعالى، وهما السبيلان المذكوران.

والخلاصة: بعض السبل تؤدي إلى الله عليه السلام، وبعضها تؤدي إلى الشيطان؛ ولذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه خطأ خطأ، ثم قال: «هذا سبيل الله، ثم خطأ خطأ عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل متفرقة على كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾»^(٣).

والسبيلان هما: جرعة غيظ ترد بحلم، وجرعة حزن ترد بصبر.

أما الجرعة في اللغة: فهي كل شيء يبلعه الحلق فهو اجتراع، والاسم الجرعة، وإذا جرعه بمره، قيل: اجتريعه، والاجتراع بالماء كالابتلاع بالطعام^(٤).

والتعبير بالجرعة غاية في الروعة والجمال، فكأنه كناية عن التحمل والبلع بمرارة غير مألوفة، وهو كذلك؛ لذا صارت من أحب السبل إلى الله تعالى.

أما الجرعة الأولى: فهي عبارة عن غيظ يتعرض له المؤمن، ثم يقاوم ويصبر فيرده بضده، وهو الحلم، فلذا صار لازماً علينا معرفة الغيظ ومعرفة ضده.

أما الغيظ فهو: هيجان الطبع، وانزعاج النفس^(٥)، وعدم كظمه هو عين

(١) مثل قوله تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾. النساء: آية ٧٦.

(٢) مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. الأنعام: آية ٥٥.

(٣) مسند أحمد: ج ١، ص ٤٣٥. أنظر: سنن الدارمي: ج ١، ص ٦٧. صحيح ابن حبان: ج ١، ص ١٨٠، والآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

(٤) أنظر: كتاب العين: ج ١، ص ٢٢٥. تفسير التبيان: ج ٣، ص ٣٦.

(٥) أنظر: تفسير التبيان: ج ٣، ص ٣٦.

الغضب^(١).

فلو كظمه المؤمن ولم يفشه وحلم فقد صار ممسكاً لغيضه؛ لأنَّ كظم الغيظ هو الإمساك على ما في النفس من شدة الغضب بالتصبر؛ حتى لا يظهر له أثر سيء يضره ويضر غيره^(٢).

ويكفيك معرفة بمقام كظم الغيظ قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣)، فهم من المحسنين الذين يحبهم الله، وكفى به مقاماً ومنزلةً.

وما روي عنه عليه السلام أنه قال: «مَنْ كَظَمَ غِيضاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِفْضَائِهِ، وَحَلَمَ عَنْهُ، أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ شَهِيدٍ»^(٤)، وهو غاية في الترغيب؛ حتى علّق عليه بعض أعظم الشراح بقوله: «وفوائده (فوائد كظم الغيظ والحلم) غير محصورة، منها: أنه يوجب زيادة الأنصار والأعوان، ومنها: أنه يوجب الذكر الجميل بين الإخوان، والصيت الحسن في غابر الزمان، كما قيل:

فعفوك في الأيام كالمسك فايح
وصفحك في الإسلام كالنجم

إذن هذا هو الغيظ والذي يُردّ بحلم.

أمّا الحلم - بالكسر - فهو الأناة، تقول منه: حلّم الرجل، بالضم. وتحلّم: تكلف

الحلم^(٦).

(١) أنظر: عمدة القارئ: ج ٢، ص ١٦٣.

(٢) أنظر: الشفاء الروحي: ص ٢٣١.

(٣) آل عمران: آية ١٤٣.

(٤) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥١٦. من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٥.

(٥) شرح أصول الكافي (المازندراني): ج ١، ص ٢٤٠.

(٦) الصحاح: ج ٥، ص ١٩٠٣.

وقد ورد الأمر بالتحلّم عن أئمتنا الطاهرين عليهم السلام، ففي الكافي الشريف عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «كفى بالحلم ناصراً، وقال: إذا لم تكن حليماً فتحلّم»^(١).

وعلّق عليه المازندراني بقوله: «المراد: أنّ الحلم ناصر كافٍ للحليم؛ لأنّ الناس يحبّونه ويميلون إليه ويعينونه في المكاره، وقال: إذا لم تكن حليماً فتحلّم. فاكسب الحلم؛ لأنّ الحلم كساير الأخلاق، قد يكون خُلُقياً وقد يكون كسبياً، أو المراد: فتكلّف الحلم وأظهره؛ فإنّ ذلك قد يجزّي إلى إكتساب الحلم والإنصاف به، ويدلّ عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: إن لم تكن حليماً فتحلّم، فإنّه قلّ من تشبّه بقوم إلّا أوشك أن يكون منهم. أراد عليه السلام: أنّ الحلم أحسن، وإن يكن فالتشبه بالحليم حسن»^(٢).

وقد يغضب الإنسان فيكون غضبه لله تبارك وتعالى، إذا كان في الحلم مفسدة أكبر من الغضب، كما لو ظلّم إنسانٌ في حضرة إنسان آخر، أو اعتديّ عليه، فيكون الدفاع عنه أولى من الحلم عن المعتدي والظالم، كما روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قصّة ثابت بن قيس بن شماس، كان في أذنه وقر، «وكان إذا دخل المسجد تفسّحوا له حتّى يقعد عند النبي صلى الله عليه وآله فيسمع ما يقول، فدخل المسجد يوماً والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا مكانهم، فجعل يتخطّى رقاب الناس، وهو يقول: تفسّحوا تفسّحوا، حتّى انتهى إلى رجل، فقال له: أصبت مجلساً فاجلس، فجلس خلفه مغضباً، فلما انجلت الظلمة قال: من هذا؟ قال الرجل: أنا فلان، قال ثابت: ابن فلانة؟ ذكر أماً له كان يُعير بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه حياءً، فنزل قوله تعالى: ﴿لَا يَسَخَّرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾^(٣)... فقال صلى الله عليه وآله: من الذاكر فلانة؟

(١) الكافي: ج ٢، ص ١١٢، ح ٦.

(٢) شرح أصول الكافي: ج ٨، ص ٣٣٠-٣٣١.

(٣) الحجرات: آية ١١.

فقام ثابت فقال: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: أنظر في وجوه القوم، فنظر إليهم فقال: ما رأيت يا ثابت؟ فقال رأيت أسود وأبيض وأحمر، قال: فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى والدين، فنزل قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾^(٢)»^(٣).

وبالتأمل في هذه الواقعة نجد أن رسول الله ﷺ - وهو الذي مدحه القرآن الكريم بـ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤) - يقوم ويصنع مع المعتدي والساخر ما لم يألفه الكثير من المسلمين، لكن في الواقع فعله ﷺ من صميم الدين والخلق العظيم الذي مدحه الله تبارك وتعالى به؛ إذ كيف يحلم رسول الله ﷺ عن إنسان ارتكب ما هو بعيد عن روح الإسلام وتعاليمه، وتعاليم رسول الله ﷺ وأخلاقه العظيمة، بل ارتكب ذنباً عظيماً وهو السخرية من الآخرين، وعليه إذن في هكذا مورد وأمثاله يكون عدم الحلم هو المتعين؛ اقتداءً بالرسول الأكرم ﷺ، هذه هي الجرعة الأولى والسبيل الأول.

وأما الجرعة الثانية: جرعة حزنٍ تردّها بصبر.

الحزن كلمة حزينة بذاتها، تذيب القلب عند سماعها، ركبت بتركيب عجيب، يتهادى لها كل صلب، فضلاً عن اللين والحنون، لفظة مرّة المذاق، وجرعة عجيبة الطعم، وصعبة التناول.

هي كلمة تجمع كل ما هو خلاف السرور^(٥) ونقيض الفرح^(٦).

(١) الحجرات: آية ١٣.

(٢) المجادلة: آية ١١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٥٤.

(٤) القلم: آية ٤.

(٥) أنظر: الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٩٨.

قال المازندراني: «والْحُزْنَ بالضم خلاف السرور، وحزنه الأمر حزناً وأحزنه جعله حزناً، وحزنه تحزيناً جعل فيه حزناً، فهو محزون ومحزن وحزين. وحزناً بكسر الزاي وضمها»^(١).
ومن المعلوم أنَّ الحزن يكون في الرزايا، فينبغي أن يكون السرور في الفوائد وما يجري مجراها من الملائد، كما نصَّ على ذلك أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية^(٢).
فإن كان هذا الحزن لله تعالى خوفاً منه تباركت أسماؤه، وشوقاً لفراقه جلَّ وعلا، كان جميلاً، كما روي ذلك عن تلك المرأة الصالحة التي جاء زوجها إلى رسول الله ﷺ فقال له: إنَّ لي زوجة إذا دخلت تلقتني، وإذا خرجت شيعتني، وإذا رأيتني مهموماً قالت لي: ما يهْمُكَ؟ إن تهتمَّ لرزقك فقد تكفل لك به غيرُك، وإن كنت تهتمَّ بأمر آخرتك فزادك الله همًّا، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله عمَّالاً، وهذه من عمَّاله، لها نصف أجر الشهيد»^(٣).

وأما الحزن لأجل أمور الدنيا فقد نهانا الباري عزَّ وجلَّ عنه، حيث يقول - جلَّت أسماؤه -:
﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ...﴾^(٤).
والطريق السليم، والحل الذي رسمته لنا السماء للحزن هو الصبر، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٥).

إذن علاج الحزن هو الصبر، والذي ورد فيه الحثُّ الأكيد، فعن إمامنا

(١) أنظر: لسان العرب: ج ١٣، ص ١١.

(٢) شرح أصول الكافي: ج ١٠، ص ٤١٩.

(٣) أنظر: الفروق اللغوية: ص ٢٧٧.

(٤) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٣، ص ٣٨٩، ح ٤٣٦٩.

(٥) الحجرات: آية ٨٨.

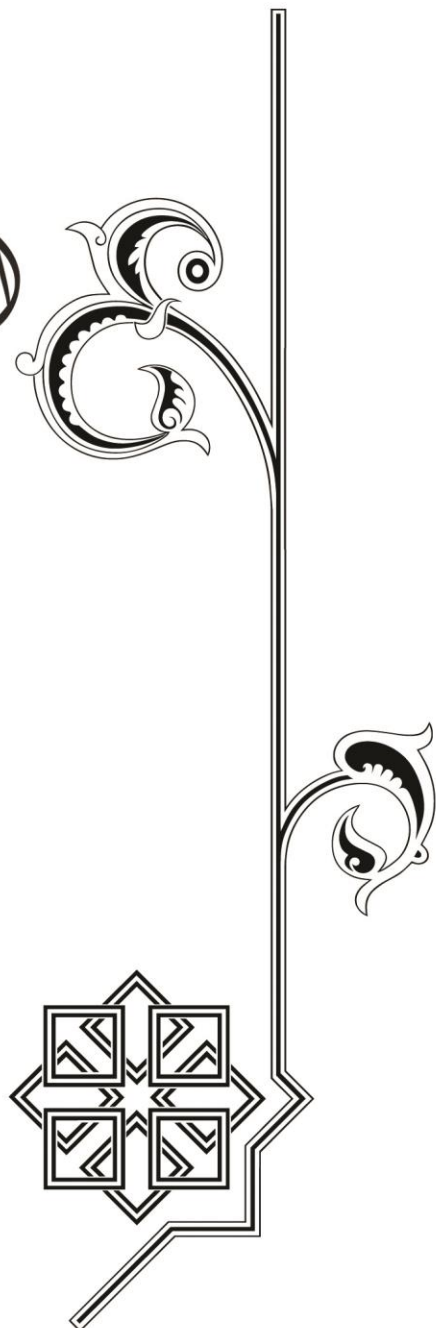
(٦) النحل: ١٢٧.

الصادق عليه السلام أنه قال: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»^(١).

(١) الكافي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٢، و ح ٥.

الحاضرة في السلطنة

العبد المذنب



قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الأعياد: «إنما هو عيدٌ لِن قَبْلِ الله من صيامه، وشكْر قيامه، وكلّ يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيدٌ»^(١).

بعد مضي شهر من الصيام والقيام، أتعب فيه المسلمون المؤمنون أنفسهم بإحيائه بالعبادة بشتّى أنواعها، من قراءة لكتاب الله العزيز الحكيم، وتلاوة الأدعية، والتقرب إليه ﷻ بالفرائض والنوافل و.. و.. فبعد كلّ هذا رَوَّح الله تبارك وتعالى على المسلمين بفرحة تعمّ قلوب جميع المؤمنين، يجتمعون فيه معاً مهتئين ومكبرين الله ﷻ، وحامديه على كمال التوفيق، وإتمام النعمة عليهم بالانتهاء من هذه الفريضة المقدّسة، وهي فريضة الصوم. ويُسمّى هذا اليوم السعيد في الأرض بالعيد، وفي السماء بيوم الجائزة^(٢) ينادي الحقّ تبارك وتعالى الملائكة: «يا ملائكتي، ما جزاء الأجير إذا عمِلَ عَمَلَه؟ فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا جزاؤه أن توفيه أجره، قال: فيقول ﷻ: فإنّي أشهدكم ملائكتي، أنّي قد جعلت ثوابهم عن صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضائي ومغفرتي، ويقول جلّ جلاله: يا عبادي، سلوني فوعزّي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئاً في جمعكم لأخرتكم إلّا أعطيتكم، ولدنياكم إلّا نظرت لكم، وعزّي لأسترن عليكم عثراتكم ما رأيتموني، وعزّي لا أخزيتكم ولا أفضحكم بين يدي أصحاب الخلود. انصرفوا مغفوراً لكم، قد أرضيتموني فرضيت عنكم، فتعرج الملائكة وتستبشر بما يعطي الله ﷻ هذه الأُمّة إذا أفطروا من شهر رمضان»^(٣).

(١) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٧٢١. روضة الواعظين: ص ٣٥٤. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٣٠٨، ح ١٢.

بحار الأنوار: ج ٨٨، ص ١٣٦، ح ٥ عن النهج. مستدرك الوسائل: ج ٦، ص ١٤٩-١٥٠، ح ١.
(٢) أنظر: الكافي: ج ٤، ص ٦٧-٦٨، ح ٦. أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٠٢-١٠٣، ح ١، ثواب الأعمال: ص ٦٤. فضائل الأشهر الثلاثة: ص ٨٠، ح ٦٢.

(٣) فضائل الأشهر الثلاثة: ص ١٢٧-١٢٨. روضة الواعظين: ص ٣٤٧. أمالي الشيخ المفيد: ص ٢٣٢، ح ٣. إقبال الأعمال: ج ١، ص ٢٥. فضائل الأوقات: ص ٢٥٢. الدرّ المشور: ج ١، ص ١٨٧. تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٢، ص ٢٩٢. بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٣٣٩ ضمن ح ١ عن أمالي الشيخ المفيد.

وهذا الكلام الذي افتتحنا به حديثنا هو كلام سيد البلغاء والمتكلمين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد روي في غير النهج بكيفية أخرى مشتركة، تشابه ما في النهج في بعض الجمل.

فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «اليوم لنا عيدٌ، وغداً لنا عيدٌ، وكلُّ يومٍ لا نعصى الله فيه، فهو لنا عيد»^(١).

والظاهر أن الحادثة تكررت مرتين، تعرّض فيها الإمام عليه السلام لذكر العيد. والمهم في المقام هو تناول كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الواردة في نهج البلاغة، إذ يقول الإمام عليه السلام: «إنما هو عيدٌ لمن قبل الله من صيامه، وشكر قيامه، وكلُّ يومٍ لا يعصى الله فيه فهو عيد». وستعرّض لهذه الجملة الشريفة بإيجاز.

شرائط قبول الصوم

يتعرّض الفقهاء في كتاب الصوم لشرائط الصوم غالباً، ويعرضون في الغالب عن التعرّض لشرائط القبول، مع أن الكثير منهم يذكر أن للصوم شروط صحّة وقبول، وعدم ذكرهم لها، إمّا لكونها خارجة عن غرضهم فعلاً، أو لكون شروط القبول لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى.

أما شروط الصحّة: فهي عديدة، منها: الإسلام، والإيمان، والعقل، والخلو من الحيض والنفاس، وعدم الإصباح جُنُباً، وعدم السفر، وعدم المرض، وما هو مذكور في محله.

وأما شروط القبول: فأوّل شرطٍ وأهمّها على الإطلاق هو التقوى، والتقوى شرط عامٌ لقبول الأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، سواء كان العمل

(١) مستدرک الوسائل: ج ٦، ص ١٥٤، ح ٨.

(٢) المائدة: آية ٢٧.

صوماً أم غيره من سائر العبادات.

ومن الشروط المهمة أيضاً، والتي تعرّضت الروايات لذكره، هو زكاة الفطرة، فعن أبي بصير وزرارة جميعاً، قالا: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِنَّ مِنْ تَمَامِ الصَّوْمِ إِعْطَاءَ الزَّكَاةِ - يعني: الفطرة - كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّهُ مَنْ صَامَ وَلَمْ يُؤَدِّ الزَّكَاةَ فَلَا صَوْمَ لَهُ إِذَا تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا، وَلَا صَلَاةَ لَهُ إِذَا تَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ بَدَأَ بِهَا قَبْلَ الصَّوْمِ، فَقَالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى»^(١).

مضافاً إلى ذلك كونها زكاة وصدقة مطهّرة للصائم من الهفوات والزلات، التي تعرّض لها العبد في أيام صيامه.

ومن هنا روي عن ابن عباس عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم زَكَاةَ الْفِطْرِ، طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطَعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ. فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ»^(٢).

وفي بعض الأحاديث: «إِنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ مَعْلَقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَرْفَعُ إِلَّا بِزَكَاةِ الْفِطْرِ»^(٣)، وهذا ظاهر في كونها من شروط القبول، «وهو كناية عن توقّف تمام ثوابه، حتى تؤدّى الزكاة، فلا ينافي حصول أصل الثواب بدونها»^(٤).

وزكاة الفطرة هذه تجب بدخول ليلة العيد على المشهور، ويجوز تأخيرها إلى زوال

(١) وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٣١٨، ح ٥.

(٢) سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٥٨٥، ح ١٨٢٧. سنن أبي داود: ج ١، ص ٣٦٢-٣٦٣، ح ١٦٠٩. المستدرک علی الصحيحین: ج ١، ص ٤٠٩. السنن الکبری (البیهقي): ج ٤، ص ١٦٣. سنن الدار قطني: ج ٢، ص ١٢١، ح ٢٠٤٨. فضائل الأوقات: ص ٣٠٨-٣٠٩، ح ١٤٧. عوالي اللئالي: ج ١، ص ١٧٧، ح ٢٢١، عنه مستدرک الوسائل: ج ٧، ص ١٣٨، ح ٥، وجامع أحاديث الشيعة: ج ٨، ص ٢٧١، ح ٩.

(٣) إعانة الطالبين: ج ٢، ص ١٩٠. الدرّ المشور: ج ١، ص ٣٤٤.

(٤) ذكره البكري الدميّاطي في إعانة الطالبين: ج ٢، ص ١٩٠.

الشمس يوم العيد لمن لم يصلّ صلاة العيد، والأحوط عدم تأخيرها عن صلاة العيد لمن يصلّيها^(١).

ويشترط في وجوبها: البلوغ، والعقل، وعدم الإغماء، والغنى. ويجب على مَنْ اجتمع فيه الشرائط أن يخرجها عن نفسه، وعن كلّ مَنْ يعوله، واجب النفقة أم غيره، وسواء أكان قريباً أم بعيداً، مسلماً أم كافراً، صغيراً أم كبيراً.

ويُستحب للفقير أن يخرجها، كأن يتصدّق على بعض عياله بصاع، ثمّ هو على آخر، يديرونها بينهم، ويُستحب بعد الانتهاء التصدّق على الأجنبي. والمقدار الواجب إخراجها فيها صاع، وهو أربعة أمداد، وتحديد الصاع بحسب الكيلو ثلاث كيلوات أو أكثر بقليل.

والضابط في الجنس الذي يُعطى: القوت الشائع لأهل البلد، سواء كان من الأجناس الأربعة (الحنطة والشعير والتمر والزبيب) أم من غيرها، كالأرز والذرة، أو تُدفع قيمة ذلك، وتفصيل الكلام فيها في محلّه من الرسائل العملية لمراجعنا العظام^(٢).
والخلاصة: فالعيد بنظر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو لمن قبل الله من صيامه، بالإضافة إلى الشرط الثاني، وهو (شكر القيام).

القيام وأهميته

ومن ضمن الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام في حديثه المبارك صفة القيام، الذي شكره الله تبارك لصاحبه، فهو مع مَنْ قبل الله صيامه، هؤلاء هم أصحاب العيد حقّاً، وخصّ الإمام عليه السلام القيام والصيام في حديثه الشريف لكون شهر رمضان شهر قيام

(١) أنظر: منهاج الصالحين (السيد السيستاني): ج ١، ص ٣٨١.

(٢) أنظر - على سبيل المثال -: العروة الوثقى مع تعليقات عدّة من الفقهاء العظام: ج ٤، ص ٢٠١-٢٢٥.

وصيام، والأوّل من صفات المتّقين كما ذكر الإمام عليه السلام نفسه ذلك لهمام في خطبة المتّقين، حيث قال عليه السلام فيها: «أما الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن، يُرتّلونه ترتيلاً، يُحزّنون به أنفسهم...»^(١)، وأما الصيام وفضله فهو أشهر من أن يُذكر.

وصفة الصيام والقيام متلازمتان في شهر رمضان المبارك لكثير من المؤمنين، ومن هنا ورد في بعض أدعية هذا الشهر الكريم هذا الدعاء المبارك: «إلهي ربّ الصائمون وفازَ القائمون»^(٢) الذي يشير إلى صفتي الصيام والقيام، ويمكن للإنسان أن يقوم الليل بقراءة القرآن الكريم، والأدعية المباركة، والمناجاة العالية المضامين. وأوضح من الجميع أن يقوم لله تبارك وتعالى بالصلاة؛ فإنّها خير موضوع، فمن شاء استقلّ، ومن شاء استكثر، كما ورد ذلك في الأثر الشريف^(٣).

وهي أفضل ما يتقرّب به العبد لربّه جلّ وعلا^(٤)، وهناك صلوات عديدة مستحبة في ليالي شهر رمضان المبارك أكّدت الروايات الشريفة^(٥) على أداء بعضها تأكيداً منقطع النظير، ومن تلك الصلوات صلوات ليالي القدر المباركة التي ورد التأكيد على أحيائها

(١) كتاب سليم بن قيس: ص ٣٧٢. نهج البلاغة: ج ٢، ص ١٦١، خطبة المتّقين رقم ١٩٣. كتاب التمهيد: ص ٧١. أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٦٧. صفات الشيعة: ص ٢٠. تحف العقول: ص ١٥٩. روضة الواعظين: ص ٤٣. كنز الفوائد: ص ٣٢. مكارم الأخلاق: ص ٤٧٦. كشف الغمّة: ج ١، ص ٩٩. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٣٩. بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ٣١٥، ح ٥٠ عن النهج، وص ٣٤١-٣٤٢، ح ٥١ عن الأمالي، وح ٦٥، ص ١٩٤.

(٢) مفاتيح الجنان: ص ٢٣٦، أدعية ليالي شهر رمضان المبارك.

(٣) أنظر: الألفية والنقلية: ص ٨٣. مكارم الأخلاق: ص ٤٧٢. بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٣٠٨-٣٠٩، ح ٩. جامع أحاديث الشيعة: ج ٤، ص ٥، ح ١٣. المعجم الكبير: ج ٨، ص ٢١٨. الإستذكار: ج ٢، ص ٩٨. كنز العمال: ج ٨، ص ١٣، ح ٢١٦٥٢.

(٤) أنظر: بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٠٦. جامع أحاديث الشيعة: ج ١٤، ص ٧٧.

(٥) أنظر: كتب الأدعية والأذكار، مثل: مصباح التهجد، المصباح، مفاتيح الجنان.

بالعبادة، وقراءة الأدعية، وتلاوة آيات الذكر الحكيم.

كلّ يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد

ثمّ يعمّم الإمام عليه السلام إطلاق العيد على كلّ يوم لا يعصى الإنسان فيه ربّه عزّ وجلّ، وهذا توسيع لدائرة مفهوم العيد، فليس العيد معناه لبس الجديد، بل العيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكلّ يوم لا يُعصى الله تبارك وتعالى فيه فهو عيد بالنسبة لذلك الإنسان. وأمّا الإنسان الذي قضى هذا الشهر المبارك - شهر رمضان - باللعب واللهو والمعاصي، فهو ليس من أهل هذا اليوم أصلاً؛ لأنّ هذا اليوم - يوم العيد - بنصّ كلام الإمام عليه السلام للصائمين، وليس لكلّ الصائمين، بل مَنْ قبل الله صيامه، وللقائمين الذين شكر الله قيامهم.

وأما مَنْ أفطر في هذا الشهر العظيم فلا قيمة لفرحه يوم العيد؛ لأنّه لا يوجد مقتضي لفرحه، ولا أهميّة له؛ لأنّ الفرح الحقيقي هو ذلك الفرح الذي يفرحه الإنسان لأجل نيّله طاعة من طاعات الله تبارك وتعالى.

ولذا يقول سيد الشهداء عليه السلام: «ولا تفرح إلّا بما نلتَ من طاعة الله...»^(١).

ومعلوم أنّ هذا الإنسان الذي قضى أيام هذا الشهر المبارك باللهو واللعب، لم ينل من طاعة الله عزّ وجلّ شيئاً، بل هو من أشدّ العاصين والمفرّطين بفرائض الله عزّ وجلّ، فيوم العيد بالنسبة له يوم حزن وألم على ما صدر منه من تفريط وعصيان؛ ولذا أكدت أدعية هذا الشهر المبارك على التوسّل بالله تبارك وتعالى كي يقبل صيام العباد وقيامهم، وأن يجعلهم من المرحومين، ولا يجعلهم من المحرومين، ولعلّ أصرح دعاء ما ورد في آخر

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٩١٧، عن أسرار الحكماء: ص ٩٠. شرح إحقاق الحق: ج ٢٧، ص ١٩٠، وص ١٩٨.

ليلةٍ من هذا الشهر المبارك، حيث جاء فيه وفي غيره: «اللهم لا تجعله آخر العهد من صيامنا إياه، فإن جعلته فاجعلني مرحوماً، ولا تجعلني محروماً»^(١).

وأما في اليوم الأول منه فيدعو الصائم بهذا الدعاء: «اللهم اجعل صيامي فيه صيام الصائمين، وقيامي فيه قيام القائمين، ونبّهني فيه عن نومة الغافلين، وهب لي جرمي فيه يا إله العالمين، واعف عني يا عافياً عنه المجرمين»^(٢).

وهكذا الإنسان المؤمن يدأب على هذه الأدعية، ويسعى جاهداً لأن يوفق، بأن يكون مقبول الصيام، ومشكور القيام؛ لكي يكون له العيد في السماء يوم الجائزة، التي يهبها الله تبارك وتعالى لعباده الصائمين القائمين.

لكن أسفي عليك يا مولاي يا أمير المؤمنين أن يمضي عيد تلك السنة ولم تكن حاضراً بجسمك الطاهر بين أهل بيتك، وإن كانت روحك لم تفارقهم حتى لحظة واحدة، فهم لا يزالون يسمعون تكبيراتك من فوق منابر مسجد الكوفة، والتي تهتّ لها بيوتات أهل الكوفة بأجمعها، فتوقظ المؤمنين، وتصبك أسباع المنافقين والملحدّين.

ولسان حال المؤمنين بإمامهم ومولاهم أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

ألا يا عينُ جودي واسعدينا	ألا فابكي أمير المؤمنين
وتبكي أمّ كلثوم عليه	بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا	فلا قرّت عُيُونُ الحاسدينا
وأبكي خيرَ مَنْ رَكَبَ المطايا	وحثَّ بها وأقرى الظاعينا
وأبكي خيرَ مَنْ رَكَبَ المطايا	وفارسها ومَنْ رَكَبَ السفينا

(١) فضائل الأشهر الثلاثة: ص ١٣٩، ح ١٤٩. إقبال الأعمال: ج ١، ص ٤٢٢. المصباح: ص ٦٤٠. بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ١٧٢. وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٣٦٥، ح ٢. مستدرک الوسائل: ج ٧، ص ٤٨٠، ح ٤ عن فضائل الأشهر الثلاثة.

(٢) المصباح: ص ٦١٢.

وَمَنْ لَبَسَ النِّعَالَ وَمَنْ حَفَاها
وَمَنْ صَامَ الْمَجِيرَ وَقَامَ لَيْلاً
وَمَنْ قَرَأَ الْمَثَانِي وَالْمِثْنَا
وَنَاجَى اللَّهَ خَيْرَ الْخَالِقِينَ^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٢٩٩. وقال العلامة المجلسي رحمته الله: «قال أبو مخنف: فلما فرغوا... أقبل الحسن والحسين عليهما السلام إلى المنزل، فالتفت بهم أم كلثوم وأنشدت تقول هذه الأبيات لما سمعت بقتله، وقيل: إنها لأم الهيثم بنت العريان الخثعمية، وقيل: للأسود الدؤلي».

تمّ الجزء الرابع من الكتاب،
ويليه الجزء الخامس إن شاء الله تعالى.

المحتويات

٩	المحاضرة الأولى: حكمةُ الخلقِ.....
٢١	المحاضرة الثانية: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.....
٢٩	المحاضرة الثالثة: زاد السفر إلى الله تعالى.....
٣٧	المحاضرة الرابعة: الصلاة حصن المؤمن.....
٤٥	المحاضرة الخامسة: ذكرُ الله.....
٥٩	المحاضرة السادسة: حُسنُ الخلقِ.....
٦٩	المحاضرة السابعة: الظلم.....
٧٩	المحاضرة الثامنة: الخوف من الله تعالى.....
٨٩	المحاضرة التاسعة: الفحش والسبّ والقذف.....
٩٧	المحاضرة العاشرة: الكلم الطيّب.....
١٠٧	المحاضرة الحادية عشرة: حقوق الوالدين والأرحام.....
١٢١	المحاضرة الثانية عشرة: الصداقة والأصدقاء.....
١٣٣	المحاضرة الثالثة عشرة: الجار والجوار.....
١٤٣	المحاضرة الرابعة عشرة: تزكية النفس ومحاسبتها.....

- المحاضرة الخامسة عشرة: حقوق الأئمة..... ١٥٣
- المحاضرة السادسة عشرة: حبّ النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام..... ١٦٩
- المحاضرة السابعة عشرة: الفوز في الدارين..... ١٨١
- المحاضرة الثامنة عشرة: الغيبة وآثارها..... ١٩٥
- المحاضرة التاسعة عشرة: صنوف المواعظ..... ٢٠٧
- المحاضرة العشرون: الحجاب وآثاره..... ٢١٧
- المحاضرة الحادية والعشرون: ليلة القدر..... ٢٢٧
- المحاضرة الثانية والعشرون: فضل القرآن..... ٢٣٥
- المحاضرة الثالثة والعشرون: الورع والحلم والمداراة..... ٢٤٥
- المحاضرة الرابعة والعشرون: حقّ الصدقة..... ٢٥٣
- المحاضرة الخامسة والعشرون: سيد الأعمال..... ٢٦١
- المحاضرة السادسة والعشرون: التفاخر والتكاثر..... ٢٦٩
- المحاضرة السابعة والعشرون: الصراط..... ٢٧٩
- المحاضرة الثامنة والعشرون: إدخال السرور على المؤمنين..... ٢٨٩
- المحاضرة التاسعة والعشرون: من أحب السبل إلى الله..... ٢٩٧
- المحاضرة الثلاثون: العيد..... ٣٠٧
- المحتويات..... ٣١٩